

(١٣٦٣)

براعة الاستهلال

من مصنفات علوم القرآن والأدب والبلاغة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال اقرأ باسم ربك الخ ".

ثم الظاهر أن هذه الجملة ليست من القرآن لأن الأمر بتحصيل الشيء غير ذلك الشيء، ولكن قام الإجماع على أنها من جملة القرآن خصوصا مع إثباتها في المصاحف بخطها سلفا وخلفا من غير نكير، فعلم منه أنها من جملة القرآن، تأمل.

قال السيوطي في إتقانه إن أول سورة اقرأ مشتمل على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من **براعة الاستهلال** لكونها أول ما نزل من القرآن فإن فيها الأمر بالقراءة وفيها البداءة باسم الله وفيها الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل، وفي هذا الإشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله (علم الإنسان ما لم يعلم) ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله انتهى ذكره ابن لقيمة في حاشية البيضاوي، والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم للإشعار بتبليغه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغاية القاصية من الكمالات، البشرية، قاله أبو السعود.

ثم وصف الرب بقوله (الذي خلق) لتذكير أول النعم الفائضة عليه منه تعالى، لأن الخلق هو أعظم النعم وعليه يترتب سائر النعم، قال الكلبي يعني الخلائق وفيه تنبيه على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة.." (١)

"**براعة الاستهلال**.

وهذه السورة مكية باتفاق الجمهور، وقال كثير إنها أول سورة نزلت، والصحيح أنه نزل قبلها ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] وسورة المدثر ثم الفاتحة، وقيل نزل قبلها أيضا ﴿ن والقلم﴾ [القلم: ١] وسورة المزمل، وقال بعضهم هي أول سورة نزلت كاملة أي غير منجمة، بخلاف سورة القلم ، وقد حقق بعض العلماء أنها نزلت عند فرض الصلاة فقرأ المسلمون بها في الصلاة عند فرضها، وقد عدت في رواية عن جابر بن زيد السورة الخامسة في ترتيب نزول السور. وأيا ما كان فإنها قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب وأمر بأن تكون أول القرآن.

قلت: ولا يناكد ذلك نزولها بعد سور أخرى لمصلحة اقتضت سبقها قبل أن يتجمع من القرآن مقدار يصير

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٥/٣١٠

به كتابا فحين تجمع ذلك أنزلت الفاتحة لتكون ديباجة الكتاب.

وأغراضها قد علمت من بيان وجه تسميتها أم القرآن.

وهي سبع آيات باتفاق القراء والمفسرين، ولم يشذ عن ذلك إلا الحسن البصري، قال هي ثمان آيات، ونسب أيضا لعمرو بن عبيد وإلى الحسين الجعفي١ قال هي ست آيات، ونسب إلى بعضهم غير معين أنها تسع آيات، وتحديد هذه الآيات السبع هو ما دل عليه حديث الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل، قسمت الصلاة نصفين بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ، فأقول حمدني عبدي، فإذا قال العبد ﴿الرحمن الرحيم﴾ يقول الله أثنى علي عبدي، وإذا قال العبد ﴿مالك يوم الدين﴾ ، قال الله مجدني عبدي، وإذا قال ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي، وإذا قال ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ، قال الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل اه. فهن ثلاث ثم واحدة ثم ثلاث، فعند أهل المدينة لا تعد البسملة آية وتعد ﴿أنعمت عليهم﴾ آية، وعند أهل مكة وأهل الكوفة تعد البسملة آية وتعد ﴿أنعمت عليهم﴾ جزء آية، والحسن البصري عد البسملة آية وعد ﴿أنعمت عليهم﴾ آية.

–

١ هو حسين بن علي بن الوليد الجعفي مولاهم الكوفي المتوفى سنة ٢٠٠هـ أحد أعلام المحدثين روي عن الأعمش وروى عنه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين.." (١)

"سنة للخطباء فلا يطيلوا المقدمة كي لا ينسبوا إلى العي فإنه بمقدار ما تطال المقدمة يقصر الغرض، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة. الثانية أن تشير إلى الغرض المقصود وهو ما يسمى **براعة الاستهلال** لأن ذلك يهيئ السامعين لسماع تفصيل ما سيرد عليهم فيتأهبوا لتلقيه إن كانوا من أهل التلقي فحسب، أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدرجة، ولأن ذلك يدل على تمكن الخطيب من الغرض وثقته بسداد رأيه فيه بحيث ينبه السامعين لوعيه، وفيه سنة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم. وقد تقدم بيان اشتمال الفاتحة على هذا عند الكلام على وجه تسميتها أم القرآن. الثالثة أن تكون المقدمة من جوامع الكلم وقد بين ذلك علماء البيان عند ذكرهم المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها. الرابع أن تفتتح بحمد الله.

---

(١) التحرير والتنوير، ١/١٣٤

إن القرآن أنزل هدى للناس وتبيانا للأحكام التي بها إصلاح الناس في عاجلهم وآجلهم ومعاشهم ومعادهم ولما لم يكن لنفوس الأمة اعتياد بذلك لزم أن يهيأ المخاطبون بها إلى تلقيها ويعرف تهيؤهم بإظهارهم استعداد النفوس بالتخلي عن كل ما من شأنه أن يعوق عن الانتفاع بهاته التعاليم النافعة وذلك بأن يجردوا نفوسهم عن العناد والمكابرة. وعن خلط معارفهم بالأغلاط الفاقرة. فلا مناص لها قبل استقبال تلك الحكمة والنظر من الاتسام بميسم الفضيلة. والتخلية عن السفاسف الرذيلة.

فالفاتحة تضمنت مناجاة للخالق جامعة التنزه عن التعطيل والإلحاد والدهرية بما تضمنه قوله ﴿مالك يوم الدين﴾ وعن الإشراك بما تضمنه ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ، وعن المكابرة والعناد بما تضمنه ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ . فإن طلب الهداية اعتراف بالاحتياج إلى العلم، ووصف الصراط بالمستقيم اعتراف بأن من العلم ما هو حق ومنه ما هو مشوب بشبه وغلط، ومن اعترف بهذين الأمرين فقد أعد نفسه لاتباع أحسنهما، وعن الضلالات التي تعتري العلوم الصحيحة والشرائع الحقة فتذهب بفائدتها وتنزل صاحبها إلى دركة أقل مما وقف عنده الجاهل البسيط، وذلك بما تضمنه قوله ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ كما أجملناه قريبا. ولأجل هذا سميت هاته السورة أم القرآن كما تقدم.

ولما لقن المؤمنون هاته المناجاة البديعة التي لا يهتدي إلى الإحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه قدم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطابهم إياهم وطلبتهم بالثناء والذكر." (١)

"ومنعوه من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون قال سيبويه وأما ترك تنوين سبحان فلأنه صار عندهم معرفة وقول الملائكة ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ خبر مراد منه الاعتراف بالعجز لا الإخبار عن حالهم لأنهم يوقنون أن الله يعلم ما تضمنه كلامهم. ولا أنهم قصدوا لازم الفائدة وهي أن المخبر عالم بالخبر فتعين أن الخبر مستعمل في الاعتراف.

ثم إن كلامهم هذا يدل على أن علومهم محدودة غير قابلة للزيادة فهي مقصورة على ما ألهمهم الله تعالى وما يأمرهم فللملائكة علم قبول المعاني لا علم استنباطها.

وفي تصدير كلامهم بسبحانك إيماء إلى الاعتذار عن مراجعتهم بقولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ فهو افتتاح من قبيل **براعة الاستهلال** عن الاعتذار. والاعتذار وإن كان يحصل بقولهم: ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ لكن حصول ذلك منه بطريق الكناية دون التصريح ويحصل آخر الابتداء فكان افتتاح كلامهم

---

(١) التحرير والتنوير، ١/١٥١

بالتنزيه تعجيلا بما يدل على ملازمة جانب الأدب العظيم: ﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ ساقوه مساق التعليل لقولهم: ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ لأن المحيط علمه بكل شيء المحكم لكل خلق إذا لم يجعل لبعض مخلوقاته سبيلا إلى علم شيء لم يكن لهم قبل بعلمه إذ الحصول بقدر القبول والاستعداد أي فلا مطمع لنا في تجاوز العلم إلى ما لم تهيء لنا علمه بحسب فطرتنا. والذي دل على أن هذا القول مسوق للتعليل وليس مجرد ثناء هو تصديره بإن في غير رد إنكار ولا تردد.

قال الشيخ في دلائل الإعجاز ١ ومن شأن إن إذا جاءت على هذا الوجه أي أن تقع إثر كلام وتكون لمجرد الاهتمام أن تغني غناء الفاء العاطفة "مثلا" وأن تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمرا عجيبا فأنت ترى الكلام بها مقطوعا موصولا وأنشد قول بشار:

بكرا صاحبي قبل الهجير ... إن ذاك النجاح في التبكير

وقول بعض العرب:

فغنها وهي لك الفداء ... إن غناء الإبل الحداء

فإنهما استغنيا بذكر إن عن الفاء. وإن خلفا الأحمر لما سأل بشارا لماذا لم يقل

_

١ صفحة ١٩٧ طبع المنار.." [(١)]

"بالبعث والجزاء لأنه لما أجريت صفات ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ أثير في الكلام الإطماع والتخويف فكان حقيقيا بأن يشعروا بان المصير إما إلى ثوابه وإما إلى عقابه فليزنوا أنفسهم ليضعوها حيث يلوح من حالهم.

وتقديم المجرور في ﴿إليه المصير﴾ للاهتمام وللرعاية على الفاصلة بحرفين: حرف لين، وحرف صحيح مثل: العليم، والبلاد، وعقاب.

وقد اشتملت فاتحة هذه السورة على ما يشير إلى جوامع أغراضها ويناسب الخوض في تكذيب المشركين بالقرآن ويشير إلى أنهم قد اعتزوا بقوتهم ومكانتهم وأن ذلك زائل عنهم كما زال عن أمم أشد منهم، فاستوفت هذه الفاتحة كمال ما يطلب في فواتح الأغراض مما يسمى براعة المطلع أو **براعة الاستهلال**.

[٤] ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾

استئناف بياني نشأ من قوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ [غافر: ٢]المقتضي أن كون القرآن

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٠٠/١

م نزلا من عند الله أمر لا ريب فيه كما تقدم فينشأ في نفوس السامعين أن يقولوا: فما بال هؤلاء المجادلين في صدق نسبة القرآن إلا الذين كفروا بالله وإذ قد كان المكذبين بالقرآن أمرا معلوما كان الإخبار عنهم بأنهم كافرون غير مقصود منه إفادة اتصافهم بالكفر، فتعين أن يكون الخبر غير مستعمل في فائدة الخبر لا بمنطوقه ولا بمفهومه، فإن مفهوم الحصر وهو: أن الذين آمنوا لا يجادلون في آيات الله كذلك أمر معلوم مقرر، فيجوز أن يجعل المراد بالذين كفروا نفس المجادلين في آيات الله وأن المراد بكفرهم كفرهم بوحدانية الله بسبب إشراكهم، فالمعنى: لا عجب في جدالهم بآيات الله فإنهم أتوا بما هو أعظم وهو الإشراك على طريقة قوله تعالى: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾ [النساء: ١٥٣].

ويجوز أن يجعل المراد بالذين كفروا جميع الكافرين بالله من السابقين والحاضرين، أي ما الجدل في آيات الله إلا من شأن أهل الكفر والإشراك، ومجادلة مشركي مكة شعبة من شعب مجادلة كل الكافرين، فيكون استدلالا بالأعم على الخاص، وعلى كلا الوجهين ترك عطف هذه الجملة على التي قبلها.

والمراد بالمجادلة هنا المجادلة بالباطل بقرينة السياق فمعنى ﴿في آيات الله﴾ في." (١)

"سعيهم ومنها رزقهم.

والموعظة بأن الله قادر على إفساد ذلك النظام فيصبح الناس في كرب وعناء يتذكروا قيمة النعم بتصور زوالها.

وضرب لهم مثلا في لطفه تعالى بهم بلطفه بالطير في طيرانها.

وأيسهم من التوكل على نصرة الأصنام أو على أن ترزقهم رزقا.

وفظع لهم حالة الضلال التي ورطوا أنفسهم فيها.

ثم وبخ المشركين على كفرهم نعمة الله تعالى وعلى وقاحتهم في الاستخفاف بوعيده وأنه وشيك الوقوع بهم.

ووبخهم على استعجالهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ليستريحوا من دعوته.

وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعهم العلم، وأنذرهم بما قد يحل بهم من قحط وغيره.

[١] ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ .

افتتحت السورة بما يدل على منتهى كمال الله تعالى افتتاحا يؤذن بأن ما حوته يحوم حول تنزيه الله تعالى

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٦/٢٤

عن النقص الذي افتراه المشركون لما نسبوا إليه شركاء في الربوبية والتصرف معه والتعطيل لبعض مراده. ففي هذا الافتتاح **براعة الاستهلال** كما تقدم في طالع سورة الفرقان.

وفعل ﴿تبارك﴾ يدل على المبالغة في وفرة الخير وهو في مقام الثناء يقتضي العموم بالقرينة، أي يفيد أن كل وفرة من الكمال ثابتة لله تعالى بحيث لا يتخلف نوع منها عن أن يكون صفة له تعالى.

وصيغة تفاعل إذا أسندت إلى واحد تدل على تكلف فعل ما اشتقت منه نحو تطاول وتغابن، وترد كناية عن قوة الفعل وشدته مثل: تواصل الحبل.

وهو مشتق من البركة، وهي زيادة الخير ووفرته، وتقدمت البركة عند قوله تعالى: ﴿وبركات عليك﴾ في [سورة هود٤٨].

وتقدم ﴿تبارك﴾ عند قوله تعالى: ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ في أول [الأعراف: ٥٤]." (١)

"أغراضها

اشتملت هذه السورة على وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومع ذلك إثبات البعث، وسؤال بعضهم بعضا عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالإخبار عن وقوعه.

وتهديدهم على استهزائهم.

وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي من أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله.

ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين.

وصفة يوم الحشر إنذارا للذين جحدوا به والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث.

وأدمج في ذلك أن علم الله تعالى محيط بكل شيء ومن جملة الأشياء أعمال الناس.

[١-٣] ﴿عم يتساءلون، عن النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون﴾.

افتتاح الكلام بالاستفهام عن تساؤل جماعة عن نبأ عظيم افتتاح تشويق ثم تهويل لما سيذكر بعده، فهو من الفواتح البديعة لما فيها من أسلوب عزيز غير مألوف ومن تشويق بطريقة الأجمال ثم التفصيل المحصلة لتمكن الخبر الآتي بعده في نفس السامع أكمل تمكن.

وإذا كان هذا الافتتاح مؤذنا بعظيم أمر كان مؤذنا بالتصدي لقول فصل فيه، ولما كان في ذلك إشعار بأهم ما فيه خوضهم يومئذ يجعل افتتاح الكلام به من **براعة الاستهلال**.

---

(١) التحرير والتنوير، ٨/٢٩

ولفظ ﴿عم﴾ مركب من كلمتين هما حرف "عن" الجار، و"ما" التي هي اسم استفهام بمعنى: أي شيء، ويتعلق ﴿عم﴾ بفعل ﴿يتساءلون﴾ فهذا مركب. وأصل ترتيبه: يتساءلون عن ما، فقدم اسم الاستفهام لأنه لا يقع إلا في صدر الكلام المستفهم به، وإذا قد كان." (١)

"الموت أول منازل الآخرة فهذا من **براعة الاستهلال**.

وغرقا: اسم مصدر أغرق، وأصله إغراقا، جيء به مجردا عن الهمزة فعومل معاملة المصدر الثلاثي المتعدي مع أنه لا يوجد غرق متعديا ولا أن مصدره مفتوح عين الكلمة لكنه لما جعل عوضا عن مصدر أغرق وحذفت منه الزوائد قدر فعله بعد حذف الزوائد متعديا.

ولو قلنا: إنه سكنت عينه تخفيفا ورعيا للمزاوجة مع نشطا، وسبحا، وسبقا، وأمرا، لكان أرقب لأن متحرك الوسط يخفف بالسكون، وهذا مصدر محذوف هو مفعول مطلق للنازعات، أي نزعا غرقا، أي مغرقا، أي تنزع الأرواح من أقاصي الأجساد.

ويجوز أن تكون ﴿النازعات﴾ صفة للنجوم، أي تنزع من أفق إلى أفق، أي تسير، يقال: ينزع إلى الأمر الفلاني، أي يميل ويشتاق.

وغرقا: تشبيه لغروب النجوم بالغرق في الماء وقال الحسن وقتادة وأبو عبيدة وابن كيسان والأخفش، وهو على هذا متعين لأن يكون مصدر غرق وأن تسكين عينه تخفيف.

والقسم بالنجوم في هذه الحالة لأنها مظهر من مظاهر القدرة الربانية كقوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾ [النجم:١].

ويحتمل أن تكون ﴿النازعات﴾ جماعات الرماة بالسهام في الغزو يقال: نزع في القوس، إذا مدها عند وضع السهم فيها. وروي هذا عن عكرمة وعطاء.

والغرق: الإغراق، أي استيفاء مد القوس بإغراق السهم فيها فيكون قسما بالرماة من المسلمين الغزاة لشرفهم بأن غزوهم لتأييد دين الله، ولم تكن للمسلمين وهم بمكة يومئذ غزوات ولا كانوا يرجونها، فالقسم بها إنذار للمشركين بغزوة بدر التي كان فيها خضد شوكتهم، فيكون من دلائل النبوءة ووعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم.

و ﴿الناشطات﴾ : يجوز أن تكون الموصوفات بالنشاط، وهو قوة الانطلاق للعمل كالسير السريع. ويطلق النشاط على سير الثور الوحشي وسير البعير لقوة ذلك، فيكون الموصوف إما الكواكب السيارة على وجه

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/٣٠

التشبيه لدوام تنقلها في دوائرها وإما إبل الغزو، وإما الملائكة التي تسرع إلى تنفيذ ما أمر الله به من أمر التكوين وكلاهما على وجه الحقيقة، وأياما كان فعطفها على ﴿النازعات﴾ عطف نوع على نوع أو عطف صنف على صنف.." (١)

"يسخرون من المؤمنين ويلزمونهم ويستضعفونهم وكيف انقلب الحال في العالم الأبدي.

[١-٣] ﴿ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ .

افتتاح السورة باسم الويل مؤذن بأنها تشتمل على وعيد بلفظ ﴿ويل﴾ من **براعة الاستهلال**، ومثله قوله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ [المسد:١]. وقد أخذ أبو بكر بن الخازن من عكسه قوله في طالع قصيدة بتهنئته بمولود:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا

والتطفيف: النقص عن حق المقدار في الموزون أو المكيل، وهو مصدر طفف إذ بلغ الطفافة. والطفاف بضم الطاء وتخفيف الفاء ما قصر عن ملء الإناء من شراب أو طعام، ويقال: الطف بفتح الطاء دون هاء تأنيث، وتطلق هذه الثلاثة على ما تجاوز حرف المكيال مما يملأ به وإنما يكون شيئا قليلا زائدا على ملأ الإناء، فمن ثم سميت طفافة، أي قليل زيادة.

ولا نعرف له فعلا مجردا إذ لم ينقل إلا بصيغة التفعيل، وفعله: طفف، كأنهم راعوا في صيغة التفعيل معنى التكلف والمحاولة لأن المطفف يحاول أن ينقص الكيل دون أن يشعر به المكتال، ويقابله الوفاء.

و ﴿ويل﴾ كلمة دعاء بسوء الحال، وهي في القرآن وعيد بالعقاب وتقريع، والويل: اسم وليس بمصدر لعدم وجود فعل له، وتقدم عند قوله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ في سورة البقرة [٧٩].

وهو من عمل المتصدين للتجر يغتنمون حاجة الناس إلى الابتياع منهم وإلى البيع لهم لأن التجار هم أصحاب رؤوس الأموال وبيدهم المكاييل والموازين، وكان أهل مكة تجارا، وكان في يثرب تجار أيضا وفيهم اليهود مثل أبي رافع، وكعب بن الأشرف تاجري أهل الحجاز وكانت تجارتهم في التمر والحبوب، وكان أهل مكة يتعاملون بالوزن لأنهم يتجرون في أصناف السلع ويزنون الذهب والفضة وأهل يثرب يتعاملون بالكيل.

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٦/٣٠

والآية تؤذن بأن التطفيف كان متفشيا في المدينة في أول مدة الهجرة واختلاط المسلمين بالمنافقين يسبب ذلك.." [1]

"وتكون إشارة إلى موارد أعظم الشرائع الواردة للبشر، فالتين إيماء إلى رسالة نوح وهي أول شريعة لرسول، والزيتون إيماء إلى شريعة إبراهيم فإنه بنى المسجد الأقصى كما ورد في الحديث وقد ورد في أول الإسراء، و ﴿طور سينين﴾ إيماء إلى شريعة التوراة، و ﴿البلد الأمين﴾ إيماء إلى مهبط شريعة الإسلام، ولم يقع إيماء إلى شريعة عيسى لأنها تكملة لشريعة التوراة.

وقد يكون الزيتون على تأويله بالمكان وبأنه المسجد الأقصى إيماء إلى مكان ظهور شريعة عيسى عليه السلام لأن المسجد الأقصى بناه سليمان عليه السلام فلم تنزل فيه شريعة قبل شريعة عيسى ويكون قوله: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ إيماء إلى شريعة إبراهيم وشريعة الإسلام فإن الإسلام جاء على أصول الحنيفية وبذلك يكون إيماء هذه الآية ما صرح به في قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ [الشورى:١٣]، وبذلك يكون ترتيب الإيماء إلى شرائع نوح وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام غير جار على ترتيب ظهورها فتوجيه مخالفة الترتيب الذكري للترتيب الخارجي أنه لمراعاة اقتران الاسمين المنقولين عن اسمي الثمرتين، ومقارنة الاسمين الدالين على نوعين من أماكن الأرض، يتأتى محسن مراعاة النظير ومحسن التورية، وليناسب ﴿سينين﴾ فواصل السورة.

وفي ابتداء السورة بالقسم بما يشمل إرادة مهابط أشهر الأديان الإلهية براعة استهلال لغرض السورة وهو أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، أي خلقه على الفطرة السليمة مدركا لأدلة وجود الخالق ووحدانيته. وفيه إيماء إلى أن ما خالف ذلك من النحل والملل قد حاد عن أصول شرائع الله كلها بقطع النظر عن اختلافها في الفروع، ويكفي في تقوم معنى **براعة الاستهلال** ما يلوح في المعنى من احتمال.

وجملة ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ مع ما عطف عليه هو جواب القسم.

والقسم عليه يدل على أن التقويم تقويم خفي وأن الرد رد خفي يجب التدبر لإدراكه كما سنبينه في قوله: ﴿في أحسن تقويم﴾ . فلذلك ناسب أن يحقق بالتوكيد بالقسم، لأن تصرفات معظم الناس في عقائدهم جارية على حالة تشبه حالة من ينكرون أنهم خلقوا على الفطرة.

والخلق: تكوين وإيجاد لشيء، وخلق الله جميع الناس هو أنه خلق أصول الإيجاد." [2]

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٨/٣٠

(٢) التحرير والتنوير، ٣٧٣/٣٠

"صفحة رقم ٦١١

سورة الناس

مقصودها الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن ، واسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر ، وأكثر شره بالمكر والخداع ، وأحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه ، فإن الوسسة لا تكون إلا بما يشتهي ، والناس مشتق من الأنس ، فإن أصله أناس ، وهو أيضا اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس ، فطابق حينئذ الاسم المسمى ، ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفقاتحة الذي هو المراقبة ، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام وفذلكة النظام ، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها **براعة الاستهلال** ، ورعاية الجلال والجمال ، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول ، والدليل بالمدلول ، والمثل بالممثول ، والله المسؤول في تيسير السؤل ، ت وتحقيق المأمول ، فإنه الجواد ذو الطول ، وبه يسِتعان وعليه التكلان : (بسم الله (المحيط علما بكل باطن كإحاطته بكل ظاهر) الرحمن (الذي عمت نعمته كل باد وحاضر) الرحيم (الذي خص أولياءه بإتمام النعمة عليهم في جميع أمورهم الأول منها والأثناء والآخر .

الناس : (١ - ٦) قل أعوذ برب. .. . . .

) قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس (( )

لما جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية وغيرها العامة للإنسان وغيره ، وذلك هو جملة الشر الموجود في جميع الأكوان والأزمان ، ثم وقع فيها التخصيص بشرور بأعيانها من الفاسق والساحر والحاسد ، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب الخارجة التي ترجع إلى ظلم الغير ، والمعايب الداخلة التي ترجع." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وأنت حل بهذا البلد)

قال تعالى: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ [البلد:٢] يعني: أقسم بهذا البلد وأنت في هذا البلد، فالقسم مقيد بكون النبي صلى الله عليه وسلم حالا بهذا البلد، وفيه عناية بالنبي صلى الله عليه وسلم، لأن الله أقسم بالبلد لأجل وجود النبي صلى الله عليه وسلم فيه، وفيه الإشارة إلى عدم شرف أهل مكة، وأنهم جهلوا جهلا عظيما بهمهم بإخراج من هو حقيق بالبلد، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو أحق الناس أن يقيم في

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٦١١/٨

بلد الله الحرام، وشرف هذا البلد يتم بحلول النبي صلى الله عليه وسلم فيه، فمثل هذا حقه أن يوقر وأن يؤمن به وأن يتبع وأن يصدق، لا أن يطرد ويخرج من هذا البلد.

قال الشهاب: والحل صفة أو مصدر بمعنى: الحال، ولا عبرة بمن أنكره لعدم ثبوته في كتب اللغة.

إذا: قوله تعالى: ((وأنت حل)) أي: وأنت حال مقيم موجود في هذا البلد، وقيل معناه: وأنت يستحل فيه حرمتك، ويتعرض لأذيتك، ففيه تعجيب من حالهم في عداوته، وتعريض بتجميعهم وتفريقهم؛ لأنه لا يستحل فيه الحمام، فكيف يستحل فيه دم مرشد الأنام عليه الصلاة والسلام! وقيل: معناه ((وأنت حل)) به في المستقبل، أي: سيحل له القتال فيه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن هذا البلد حرمه الله عز وجل، وإن مكة لم تحل لأحد قبلي، ولن تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار) يعني: ساعة الفتح، فعندما فتحها أحل الله له أن يفعل بأعدائه ما يشاء، ثم قال: (فإن ترخص أحد بقتال النبي صلى الله عليه وسلم فقولوا له: إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لك)؛ فلذلك فإن مكة البلد الحرام لا يجوز لأحد أن يستحل القتال فيها بحال من الأحوال.

وهذه السورة مكية بإجماع المفسرين، وسورة النصر: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ [النصر: ١ – ٢] إلى آخرها هي آخر سورة أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا مما يدل على أن في هذه الآية إخبارا بشيء لم يكن قد وقع، فقوله: (وأنت حل بهذا البلد) يعني: سوف يأتي وقت تحل لك فيه مكة، وذلك ساعة من النهار كما حصل في فتح مكة، ثم عادت حرمتها بعد الفتح كما كانت قبل الفتح.

فهذه الآية إشارة إلى ما سيقع من فتح مكة وإحلالها له صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار يقتل فيها ويأسر، مع أنها ما أحلت لأحد قبله ولا تحل لأحد بعده، ففيه تسلية له ووعد بنصره وإهلاك عدوه.

والحل على هذين الوجهين ضد الحرمة، قال بعض المفسرين: هذا فيه بعد، لاسيما الوجه الأخير، فالتفسير الأول أولى، يعني: وأنت حال في هذا البلد، أي: أقسم بهذا البلد وأنت حال فيها، وفي ذلك زيادة في شرفها لوجودك وحلولك فيها.

قال بعضهم: وإنما كان الأول أولى لتشريفه صلى الله عليه وسلم، بجعل حلوله به مناطا لأعوانه، فهذا تشريف لمكة حتى أقسم الله بها؛ وإنما زاد شرفها لوجود النبي صلى الله عليه وسلم فيها، مع التنبيه من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج **براعة الاستهلال**، وأنه كابد المشاق، ولاقى من الشدائد في سبيل الدعوة إلى الله ما لم يكابده داع قبله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن

هذا القسم: (لا أقسم بهذا البلد) جوابه في قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ [البلد:٤]، فذكر هذا القسم بالبلد مع حلول النبي صلى الله عليه وسلم فيه تحقيق لمضمون الجواب، وهو أن الإنسان بالفعل خلق في كبد، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كابد من المشاق، ولاقى من الشدائد في سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ما لم يكابده داع قبله صلوات الله عليه وسلامه.." [(١)]

"﴿الر﴾ الكلام فيه وفي محله وفيما أريد بالإشارة والآيات والكتاب في قوله
﴿تلك آيات الكتاب﴾ عين ما سلف في مطلع سورة يونس
﴿المبين﴾ من أبان بمعنى بان أي الظاهر أمره في كونه من عند الله تعالى وفي إعجازه بنوعيه لا سيما الإخبار عن الغيب أو الوضاح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم أو بمعنى بين أي المبين لما فيه من الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت وأسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فإبانته إنباؤه عن قصة يوسف عليه السلام فإنه قد روي أن أحبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالإبانة من قبيل **براعة الاستهلال** لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الإضافي فقيل." [(٢)]

"﴿يوسف أيها الصديق﴾ أي أرسل إليه فأتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق أحواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره فهو من باب **براعة الاستهلال**
﴿أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ أي في رؤيا ذلك وإنما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا إمكان لوقوعه في عالم الشهادة أي بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالإفتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أولا نبئنا بتأويله وفي قوله أفتنا مع أنه المستفتي وحده إشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بأمور العامة وأنه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال
﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أي إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إن كان السجن في الخارج كما قيل

---

(١) تفسير القرآن الكريم – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٣/١٩٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/٢٥٠

فأنبئهم بذلك

﴿لعلهم يعلمون﴾ ذلك ويعملون بمقتضاه أو يعلمون فضلك ومكانك مع ما أنت فيه من الحال فتتخلص منه وإنما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الأدب واحترازا عن المجازفة إذ لم يعلموه على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه لعل المنايا دون ما تعداني ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه." (١)

"وأنت حل بهذا البلد

إما لتشريفه عليه الصلاة والسلام بجعل حلوله به مناطا لإعظامه بالإقسام به او للتنبيه من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج **براعة الاستهلال** وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدرة وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك أو لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحه على معنى وأنت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل عليه الصلاة والسلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام إلا الإذخر." (٢)

"شبه العهد بالحبل، وشبه الموثق منه – كالعزيمة الموثقة بالأمر الموجب – بعقد الحبل، والظاهر نظرا إلى **براعة الاستهلال** وما فيها من التفصيل بعد الإجمال: أن المراد عقود الله تعالى عليهم في دينه الكريم من التحليل والتحريم، وحال سائر ما يجب الوفاء به من العقود يعلم بطريق الدلالة، وفي هذه الإحالة إعمال النص عبارة ودلالة، والإعمال خير من الإهمال.

ولشدة الاعتناء بتلك العقود أمرنا بالوفاء بها مجملا، ثم فصلها بقوله تعالى:

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٨٢/٤

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٦٠/٩

﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ إلى آخر الأحكام، والبهيمة: كل حي لا يميز، ثم اختص بذوات الأربع، وإضافتها إلى الأنعام للبيان، ومعناه: البهيمة من الأنعام؛

الجزء: ٣ - الصفحة: ٢٣٥

لقوله تعالى في سورة الحج (١): ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ [الحج: ٣٠]، وهي الإبل البقر والغنم، سميت بذلك للين (٢) مسها، وزيد هنا عبارة البهيمة إشارة إلى رد قول الثنوية الذين لا يرون ذبح الحيوانات وأكلها، ويقولون: هي بهائم لا تعقل، وأكلها من القسوة وقلة الرحمة.

﴿إلا ما يتلى﴾؛ أي: يبين (٣) لكم حاله، يعني: من جهة الحرمة بقرينة الاستثناء من التحليل، وهذا أبلغ إيجازا في التعبير، والمصير في مثل هذا إلى التقدير من ضيق العطن كما لا يخفى على أصحاب الفطن.

وفيه بيان أن (٤) التحريم لا يكون إلا بنص متلو (٥).

﴿غير محلي الصيد﴾ حال من الضمير في ﴿لكم﴾، و ﴿الصيد﴾ يحتمل المصدر والمفعول.

﴿وأنتم حرم﴾ حال من المستكن في ﴿محلي﴾، والحرم: جمع حرام، وهو المحرم، وتقديره: أحلوا بهيمة الأنعام غير محلين لها في الإحرام إذا كان صيدا، والأنعام يتناولها لأن البقرة الوحشية منها والظباء كالعنوز، فالمستثنى منه ينتظمها

(١) ". * * *

"ذكر اختلافهم في سورة يونس «١» «٢» عليه السلام

حرف:

قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم من غير رواية هبيرة والكسائي والبرجمي «٣» والأعشى «٤» عن أبي بكر الر [١] والمر [الرعد: ١] بإخلاص الفتح في جميع القرآن، وقال الخزاعي عن أصحابه: الر مفتوحة مفخمة

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٩٢/٣

«٥» غير الشديدة، وقال ابن اليتيم «٦» عن حمزة عن حفص: المر خفيف تام غير مكسور «٧» ولا يمد الراء في كل القرآن. وروى هبيرة «٨» عنه الراء بالكسر في كل السور

---

(١) مكية إجماعا، وتسمى السابعة، لأنها سابعة السبع الطوال. قيل: إلا ثلاث آيات من قوله فإن كنت في شك مما ... إلى آخرها وآيها مائة وعشر آيات في الشامي، وتسع عند الباقين، ومقصودها وصف الكتاب بأنه من عند الله، لأن غيره لا يقدر على شيء منه، وذلك دال على أنه واحد في ملكه لا شريك له. وتمام الدليل على هذا قصة قوم يونس على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى التسليم. (البيان في عد آي القرآن) ص ١٦٣، و (مصاعد النظر) ٢/ ١٦٢ و (التحبير في علم التفسير) ١٧٢، و (موسوعة فضائل سور وآيات القرآن) ١/ ١٨٧.

(٢) شرع المؤلف هنا في بيان ما للقراء السبعة في الحروف المقطعة- حروف التهجي- التي في أوائل السور وموضع (يونس) هنا هو الموضع الأول الذي فيه الخلاف إذ موضعا (البقرة والأعراف) قبله لا خلاف فيهما من حيث الرواية والأداء، إلا من حيث المعنى والتفسير والإعجاز، فهناك أقوال عدة للعلماء مبثوثة في الكتب. انظر: (الجامع) للقرطبي ١/ ١٠٨، و (معترك الأقران) ١/ ٥٦، و (**براعة الاستهلال**) ٩١. والمؤلف تعرض هنا لحكم الراء وفي نظائرها في أوائل (هود ويوسف وإبراهيم والحجر)، فالحكم واحد في الكل، وهو دائر بين الفتح والتقليل والإمالة. وخص موضع (الرعد) هنا بالذكر لزيادة الميم فيه.

قال الشاطبي: وإضجاع را كل الفواتح ذكره .. حمى غير حفص. انظر: ص ٥٨.

(٣) فائدة: ليس للبرجمي عن أبي بكر إمالة إلا في لفظة (أعمى) الأول في (الإسراء) [٧٢] انظر: باب إمالات عاصم (غاية الاختصار) ١/ ٢٨١.

(٤) والأعشى عن أبي بكر عن عاصم لا يميل فواتح السور. انظر (غاية الاختصار) ١/ ٢٨٠.

(٥) في (م) مفخم.

(٦) الحسن بن المبارك أبو القاسم الأنماطي المعروف بابن اليتيم البغدادي، أخذ القراءة عرضا وسماعا عن عمرو بن الصباح صاحب حفص، وعلى عبيد وروى القراءة عنه أحمد بن سهل الأشناني وابن شنبوذ. (غاية ١/ ٢٢٩).

(٧) يقصد بالكسر هنا الإمالة.

(٨) رواية هبيرة عن حفص عن عاصم ذكرها ابن مجاهد في كتاب (السبعة) ص ٣٢٢.." [(١)]

"وافتتح كتابه بالحمد تأسيا بما هو متعلق به وهو القرآن، ولما أخرجه (١) أبو داود من حديث أبى هريرة (٢) - رضى الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم» (٣) ويروى: [«كل كلام»] (٤)، ويروى: «بذكر الله» ويروى: «فهو أقطع» وهى مفسرة (٥) ل «أجذم» (٦)، أى: مقطوع عن الخير والبركة.

وفى هذا البيت من أنواع البديع: **براعة الاستهلال.**

ولما افتتح بالحمد ثنى بالصلاة على النبى (٧) صلى الله عليه وسلم فقال:

ص:

ثم الصلاة والسلام السرمدى ... على النبى المصطفى محمد

ش: (ثم): حرف عطف يقتضى التشريك والترتيب والمهلة على الأصح فى [الثلاثة] (٨)، و (الصلاة) مبتدأ، و (السلام): معطوف،

---

(١) فى ز: خرجه.

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر. من قبيلة دوس وقيل فى اسمه غير ذلك. صحابى. رواية الإسلام. أكثر الصحابة رواية. أسلم ٧ هـ وهاجر إلى المدينة. ولزم صحبة النبى صلى الله عليه وسلم. فروى عنه أكثر من خمسة آلاف حديث. ولاه أمير المؤمنين عمر البحرين، ثم عزله للين عريكته. وولى المدينة سنوات فى خلافة بنى أمية.

ينظر: الأعلام للزركلى (٤/ ٨٠)، و «أبو هريرة» لعبد المنعم صالح العلى.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩) وأبو داود (٢/ ٦٧٧) كتاب الأدب باب الهدى فى الكلام (٤٨٤٠) وابن ماجة (٣/ ٣٣٧) كتاب النكاح باب خطبة النكاح (١٨٩٤) واختلف فى وصله وإرساله فرجح النسائى والدار قطنى الإرسال قاله الحافظ فى التلخيص (٣/ ٣١٥).

(٤) سقط فى ص.

(٥) فى د: وهو مفسر.

---

(١) جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو الداني ١١٦٥/٣

(٦) فى ص: الأجذم.

(٧) فى ص: رسول الله.

(٨) سقط فى م. وذكر اللغويون ل «ثم» خمسة معان:

أحدها: التشريك فى الحكم مع الترتيب والمهلة نحو: جاء زيد ثم عمرو. وهى موضوعة لهذه الثلاثة المعانى وفى كل منها خلاف.

الثانى: التشريك والترتيب مع تخلف المهلة فتكون كالفاء الناسقة، ذكره الفراء، قال الشاعر:

كهز الردينى تحت العجاج ... جرى فى الأنابيب ثم اضطرب

لأن الهز متى جرى فى الأنابيب يعقبه الاضطراب ولم يتراخ عنه.

الثالث: التشريك مع تخلف الترتيب الذى هو أصل وضعها فيكون معناها كمعنى الواو، زعمه قوم كالفراء والأخفش، واحتجوا بقول الله سبحانه: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها [الزمر: ٦]، وقوله تعالى: وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه [السجدة: ٧ – ٩]، وقوله تعالى: ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن [الأنعام: ١٥٣ – ١٥٤]، وقوله تعالى: فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد [يونس: ٤٦] وقوله تعالى: ثم إن علينا بيانه [القيامة: ١٩] وقوله تعالى: خلقكم من طين ثم قضى أجلا [الأنعام: ٢] وقال الشاعر:

سألت ربيعة: من خيرها ... أبا ثم أما؟ فقالت: لمه." (١)

"للعاطفة الوطنية الحية والحسرة البالغة والألم الصادق، وبدأ – عافاه الله – قصيدته بهذا البيت العجيب:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرق عليها فبكاها!

وليس هذا من **براعة الاستهلال** في شيء بل العكس، وما يظن فيه مراعاة للنظير إنما هو مراعاة للسخف، لان هذا البيت في مستهل القصيدة لا يناسب مجاهدا مثل سعد زغلول ولا يدرك سامعه انه رثاء لسعد بل قد يحسبه رثاء لإحدى النساء العظيمات أو لإحدى الملكات

المحسنات، وكان الأولى به أن يترك هذا الوصف المؤنث إلى موقف آخر في القصيدة يكون انسب من هذا، ولكن ذهنه الكليل أدركه الكبر كما أفسده جنون الشهرة، فعثر في أول النظم. . . وخير ما في مقدمة قصيدته بعد ذلك المطلع المخجل منظور فيه إلى قول أبي شادي:

---

(١) شرح طيبة النشر للنويري، النويري، محب الدين ٨٧/١

صبغت به حمر الورود وضرجت ... بدم بذلت مدامع لاقاح!

وتشبعت بجميل حبك غضة ... فتجاذبت بأريجها الفياح!

والقصيدة في جملتها خالية من كل جديد ولم تبلغ حتى منزلة قصيدة حافظ بك إبراهيم بين المحافظين دع عنك قصيدة عباس محمود العقاد أو قصيدة محمود عماد بين المجددين، وبعد هذا ينتقد شوقي شعر العقاد بأنه جاف كثير الثرثرة لا حياة فيه ولا حلاوة له، ويعطف على شعر الجارم الذي جاءت مرثيته في ذكرى الأربعين خالية من كل طريف مقصورة على ألفاظ مرصوفة وعلى جملة من المعاني القديمة، وإذ شاء التجديد النسبي اقتبسه من نظم غيره مثل قوله:

وعقيدة لو هزت الاجبال من ... ذعر لما اهتزت مع الاجبال!

فانه مأخوذ من قول أبي شادي منذ سنين:

تخر الراسيات ولا سبيل ... إلى هدم الكريم من اعتقاد!

وبعد كل هذا يعجب أولئك السادة المحافظون لتجنب معظم أدباء العرب – وفي مقدمتهم أدباء العراق – الاشتراك في المهازل الشوقية والمجاملات الفارغة." (١)

"الجزائر ومعلموها وطلابها في عهد جمعية العلماء، وبذلك تتحقق أولى البراهين على عمق الأصالة العربية والعروبية في الجزائر.

واقرأ معي **براعة الاستهلال**، التي استهلت «البصائر» بها عودتها في سلسلتها الثانية بعد تعطيلها بسبب الحرب العالمية من سنة ١٩٣٩ إلى ١٩٤٧م.

يستهل افتتاحيته بهذا الدعاء المؤثر في بيان ندر مثيله: "اللهم يا ناصر المستضعفين انصرنا ... واجعل لنا في كل غاشية من الفتنة، ردءا من السكينة، وفي كل داهمة من البلاء درعا من الصبر، وعلى كل داجية من الشك علما من اليقين، وفي كل نازلة من الفزع واقية من الثبات، وفي كل ناجمة من الضلال نورا من الهداية، ومع كل طائف من الهوى رادعا من العقل، وفي كل عارض من الشبهة لائحا من البرهان ... ومع كل فرعون من الطغاة المستبدين موسى من الحماة المقاومين" [ص:٤١].

إن من هذا البيان لسحرا، ففيه العقيدة، والحكمة، والبلاغة، والمنطق، والت اريخ، والتصوف، وكل ذلك في عبارات قلت فدلت.

وفي نفس السياق التاريخي يمضي الكاتب في زرع حكمه، فيلقي على قارئه هذه الحكمة البالغة "كذلك

(١) مجلة لغة العرب العراقية، أنستاس الكرملي ٤٩٢/٥

حملة الألسنة والأقلام [من العلماء والمثقفين في الأمة] .. فلتأتهم المصائب من كل صوب، ولتنزل عليهم الضرورات من كل سماء، وليخرجوا من كل شيء إلا من شيئين: القلم واللسان. إن بيع القلم واللسان، أقبح من بيع الجندي لسلاحه" [ص:٤٣].

إن هذا لهو ميثاق الشرف يضعه الإبراهيمي لكل عالم ولكل مثقف في تعامله مع قضايا وطنه، ذلك أن أخطر شيء على المثقف، هو بيع الذمة، إذ تكون في ذلك نهايته، وإن عد من الأحياء.

وفي التذكير بعراقة الإنسان الجزائري، في أعماق الحضارة العربية يسوق كاتب "عيون البصائر" هذا التصوير البلاغي الفني لجهود جمعية العلماء في تثبيت أصالة الجزائر، فيقول: "وجاءت جمعية العلماء على عبوس من الدهر، وتنكر من الأقوياء فنفخت من روح العروبة في تلك الأنساب فإذا هي صريحة، وسكبت من سر البيان العربي في تلك الألسنة فإذا هي فصيحة، وأجالت الأقلام في كشف تلك الكنوز فإذا هي ناصعة بيضاء لم يزدها تقادم الزمان إلا جدة ... جمعية العلماء هي التي حققت للجزائري نسبه العربي الصريح بريئا من شوائب الإقراف والهجنة [ص:٥٧].

إن في كل لفظة من هذه العبارات، يكمن إيحاء يحيل إلى قضية معينة ... فإضافة إلى سحر البيان، وبراعة التصوير، وهندسة اللفظة، تضاف خصوبة المرجعية التاريخية والعقدية، والفكرية ...." [١]

" الباب الرابع في الفواتح والخواتم واللواحق وفيه فصلان

الفصل الأول في الفواتح من البسملة والحمدلة والتصلية والسلام في أول الكتب والبعدية التي يقع بها فصل الكلام وبيان أصول ذلك وأصل مشروعيته

الفصل الثاني في الخواتم واللواحق من كتابه إن شاء الله في آخر المكتوب وكتابة التاريخ ومعرفة معناه ومعرفة التواريخ القديمة وأصل وضع التاريخ في الإسلام والتاريخ بالهجرة والوقت الذي يؤرخ فيه وبيان بناء التاريخ العربي على الليالي دون الأيام واختلاف مذاهب النحاة والكتاب في التعبير عن ذلك وبناء تاريخ العجم على الأيام دون الليالي ومعرفة استخراج كل تاريخ من تواريخ الأمم من الآخر وكتابة المستند والحمدلة في آخر الكتب والتصلية على النبي بعدها والاختتام بالحسبلة وبيان مواضع ذلك جميعه من الورق وكيفية وضعه

المقالة الرابعة في المكاتبات وفيها بابان

الباب الأول في أمور كلية تتعلق بالمكاتبات وفيه فصلان

---

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، البشير الإبراهيمي ٩/٣

الفصل الأول في مقدمات المكاتبات من أصول يعتمدها الكاتب فيها من حسن الافتتاح **وبراعة الاستهلال** وتقديم مقدمة تناسب المكتوب فيه في أول المكاتبة ومعرفة الفرق بين الألفاظ الجارية في الخطاب ونحوه من ." (١)

" الجناب العالي القاضوي أو المجلس العالي أو المجلس السامي الشيخي أو المجلس السامي الصدري وما أشبه ذلك والمعنى في وضع هذه الألقاب في هذا الموضع أن يدل أو لقب يذكر بعد اللقب الأصل وتابعه على الوظيفة كما تدل **براعة الاستهلال** على صورة الحال في المكاتبة أو الولاية أو غيرهما وربما كان المحل مما يقتضي التلقيب بالمولوي فيقدم لقب المولوي على لقب الوظيفة مثل أن يقال المقر الشريف العالي المولوي الأميري فإن كان اللقب الأصل مضافا لمجلس الأمير أو مجلس القاضي أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر قام المضاف إليه مقام لقب الوظيفة فيقوم الأمير من مجلس الأمير مقام الأميري والقاضي من مجلس القاضي مقام القضائي والشيخ من مجلس الشيخ مقام الشيخي والصدر من مجلس الصدر مقام الصدري ثم لا ينعت بعد ذلك في هذه الحالة إلا بالأجل ويؤتى بعده بما يناسبه من الألقاب

النمط الثالث ما يلي لقب الوظيفة

وهو الكبير أو الكبيري فيؤتى به تلو اللقب الدال على الوظيفة مثل أن يقال المقر العالي الأميري الكبيري أو الجناب العالي القضائي الكبيري أو المجلس السامي الكبيري إذا كان بالياء أو الكبير إذا كان بغير الياء

النمط الرابع ما يقع قبل لقب التعريف الذي هو الفلاني أو فلان الدين

وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة كالكافلي والكفيلي للنواب والوزيري للوزراء والحاكمي للقضاة فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل الفلاني الكافلي أو الكفيلي بحسب ما يقتضيه الحال وإن كان حاكما ." (٢)

" المعاصي الوبية ونحو ذلك من الافتتاحات البهجة والابتداآت الرائقة مما ستقف على الكثير منه في خلال هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

الأصل الثاني أن يأتي في ابتداء المكاتبة **ببراعة الاستهلال** المطلوبة في كل فن من فنون الكلام

---

(١) صبح الأعشى، ٤٧/١

(٢) صبح الأعشى، ١١٤/٦

بأن يأتي في صدر المكاتبة بما يدل على عجزها فإن كان الكتاب بفتح أتى في أوله بما يدل على التهنئة أو بتعزية أتى في أوله بما يدل على التعزية أو في غير ذلك من المعاني أتى في أوله بما يدل عليه ليعلم من مبدأ الكتاب ما المراد منه كما يحكى أن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب إلى الخليفة كتابا يعرفه فيه أن بقرة ولدت عجلا وجهه وجه إنسان فكتب أما بعد حمد الله خالق الأنام في بطون الأنعام وفضلاء الكتاب وأئمتهم يعتنون بذلك كل الاعتناء ويرون تركه إخلالا بالصنعة ونقصا في الكتابة حتى أن الوزير ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر قد عاب أبا إسحاق الصابي على جلالة قدره في الكتابة واعترافه له بالتقدم في الصناعة بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك فقال في أوله

الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين الوحيد الفريد العلي المجيد الذي لا يوصف إلا بسلب الصفات ولا ينعت إلا برفع النعوت الأزلي بلا ابتداء الأبدي بلا انتهاء القديم لا منذ أمد محدود الدائم لا إلى أجل معدود الفاعل لا من مادة امتدها الصانع لا بآلة استعملها الذي لا تدركه الأعين بألحاظها ولا تحده الألسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهزمه الدهور بكرورها ولا تجاريه أقدام النظراء والأشكال ولا تزاحمه مناكب القرناء والأمثال بل هو الصمد الذي لا كفء له والفرد الذي ." (١)

" لا توءم معه والحي الذي لا تخترمه المنون والقيوم الذي لا تشغله الشؤون والقدير الذي لا تؤوده المعضلات والخبير الذي لا تعييه المشكلات ثم قال إن هذه التحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتحه بها ولكنها تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب الشامل للجويني أو كتاب الاقتصاد للغزالي وما جرى مجراهما فأما أن توضع في أول كتاب فتح فلا

واعلم أن **براعة الاستهلال** في المكاتبات قد تقع مع الابتداء بالتحميد كما في كتاب عمرو بن مسعدة المتقدم ذكره وكما كتب أبو إسحاق الصابي عن الطائع إلى بعض ولاة الأطراف عند زوال الوحشة بينه وبين الأمراء ووقوع الصلح والاتفاق أما بعد فالحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبل بعد بتاته وجابر الوهن إذا انثلم وكاشف الخطب إذا أظلم

وقد تقع مع الابتداء بالتقبيل كما كتبت إلى بعض الرؤساء بثغر الإسكندرية ملوحا إلى التعبير عنه بالثغر وعن الريح التي تهب عليه من جانب البحر بالمثلم وعن مستنزه من مستنزهاته بالرمل وعن المساكن التي به بالقصور مع قربه من البحر ومناسبة ذكر النسيم بالثغر بما صورته يقبل أرض ثغر قد رق ملثمه وراق مبسمه باثا لشكر يعترف الرمل بالقصور عن حده وتقف أمواج البحر المحيط دون عده

---

(١) صبح الأعشى، ٦/٢٦٥

وقد تقع مع الابتداء بالدعاء وتكون براعة الاستهلال في الدعاء المعطوف على المبتدأ به بأن يكون الدعاء مناسبا للحالة المكتوب فيها كما ." [١]

" نبه عليه صاحب المثل السائر وغيره وسيأتي الكلام على أمثلة ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى

ثم من المكاتبات ما يعسر معه الإتيان ببراعة الاستهلال فيما يلي ذلك من الكلام في مقدمة المكاتبة قبل الخوض في المقصود ولا يهملها جملة على أن الشيخ شهاب الدين محمودا الحلبي رحمه الله قد ذكر في كتابه حسن التوسل أنه إن عسر عليه براعة الاستهلال أتى بما يقارب المعنى وبكل حال فإذا أتى ببراعة استهلال في أول مكاتبته استصحبها إلى الفراغ من الخطبة إن كان الكتاب مفتتحا بخطبة وإلا استصحبها إلى الفراغ من مقدمة الكتاب الآتي بيانها

الأصل الثالث أن يأتي في المكاتبة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة يصدر به تأسيسا لما يأتي به في مكاتبته

مثل أن يأتي في صدور كتب الحث على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه وخذلان أعدائه وإعزاز الموحدين وقمع الملحدين وفي صدور كتب الفتح بإنجاز وعد الله الذي وعده أهل الطاعة من النصر والظفر وإظهار دينه على الدين كله وفي صدور كتب جباية الخراج يصدر بحاجة قيام الملك وأس السلطنة إلى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان في عمارة الثغور وتحصين الأعمال وتقوية الرجال ونحو ذلك مما يجري على هذا النمط مما سيأتي بيانه في مقاصد المكاتبات في الكلام على الابتدآت والجوابات فيما بعد إن شاء الله تعالى

فقد قيل إنه لا يحسن بالكاتب أن يخلي كلامه وإن كان وجيزا من مقدمة يفتتحه بها وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة ليوفي التأليف حقه قال في ." [٢]

" الفصل الثاني من الباب الأول من المقالة الخامسة

في بيان ما تجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات على سبيل الإجمال

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في حسن التوسل يجب على الكاتب أن يراعي في ذلك أمورا

---

(١) صبح الأعشى، ٢٦٦/٦

(٢) صبح الأعشى، ٢٦٧/٦

منها **براعة الاستهلال** بذكر الرتبة أو الحال أو قدر النعمة أو لقب صاحب الولاية أو اسمه بحيث لا يكون المطلع أجنبيا من هذه الأحوال ولا بعيدا منها ولا مباينا لها ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد من أول الخطبة إلى آخرها

ومنها أن يراعي المناسبة وما تقتضيه الحال فلا يعطي أحدا فوق حقه ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله ويراعي أيضا مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنة بها على مقدار ذلك

ومنها أن لا يصف المتولي بما يكون فيه تعريض بذم المعزول وتنقيص له فإن ذلك مما يوعز الصدور ويورث الضغائن في القلوب ويدل على ضعف الآراء في اختيار الأول مع إمكان وصف الثاني بما يحصل به ." (١)

" يخليها من **براعة الاستهلال** المناسبة للحال والمقصر لها مراع لزيادة الإطناب في الوصف

قلت ولا يخفى أن ما ذكراه في التقاليد يجيء مثله في العهود لجريها على موجبها من مول ومولى

اما إذا كانت الولاية بيعة فإنه يجعل موضع الوصايا ذكر التزام الخليفة البر والإحسان للخلق ووعد النظر في أمور الرعية وصلاح احوالهم وذكر التحليف للخليفة أو له وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البيعة له على الوفاء بالعهد والدخول تحت الطاعة قال في حسن التوسل والأمر الجاري في ذلك على العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن التصرف على ما يقتضيه الحال وذكر من ذلك تقليدا أنشأه لمتملك سيس وتقليدا كتبه بالفتوة وسيأتي ذكر ذلك مع ما شاكله في مواضعه إن شاء الله تعالى

الوجه السابع قطع الورق

واعلم أن الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بجملتها ينحصر قطع الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها

أحدها قطع البغدادي الكامل وهو مختص بالبيعات والعهود مطلقا على أي الافتتاحات كان

الثاني قطع الثلثين من المنصوري وهو لأجل الولايات السلطانيات لأرباب السيوف وبعض أرباب الأقلام ولا يفتتح فيها إلا بالحمد

الثالث قطع النصف منه وهو لما دون ذلك ولا يفتتح فيه إلا بالحمد أيضا ." (٢)

---

(١) صبح الأعشى، ٢٦٧/٩

(٢) صبح الأعشى، ٢٧٩/٩

"كما كانوا يسمون غيرها بذلك

السبب الخامس أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولى عهده بالخلافة بأن يكون خليفة بعده إمضاء لعهده كما فعل معاوية رضي عنه في أخذه البيعة لولده يزيد

المقصد الثالث في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة

واعلم أنه يجب على الكاتب أن يراعي في كتابة البيعة أمورا

منها أن يأتي في **براعة الاستهلال** بما يتهيأ له من اسم الخليفة أو لقبه كفلان الدين أو لقب الخلافة كالمتوكل أو المستكفي أو مقتضى الحال الموجب للبيعة من موت أو خلع ونحوهما او غير ذلك مما يجري هذا المجرى

ومنها أن ينبه على شرف رتبة الخلافة وعلو قدرها ورفعة شأنها وأنها الغاية التي لا فوقها والدرجة التي لا بعدها وأن كل رتبة دون رتبتها وكل منصب فرع عن منصبها ومنها أن ينبه على مسيس الحاجة إلى الإمام ودعاية الضرورة إليه وأنه لا يستقيم أمر الوجود وحال الرعية إلا به ضرورة وجوب نصب الإمام بالإجماع وإن شذ عنه الأصم فخالف ذلك

ومنها أن يشير إلى أن صاحب البيعة استوعب شروط الإمامة واجتمعت فيه ويصفه منها بما يعز وجوده ويمتدح بحصوله كالعلم ." (١)

" يجعله خليفة في حياته ثم يخلفه بعده قال ولو أوصى بالإمامة فوجهان لأنه يخرج بالموت عن الولاية فلا يصح منه تولية الغير واستشكل الرافعي رحمه الله هذا التوجيه بكل وصية وبأن ما ذكره من جعله خليفة بعده إن أريد به استنابته فلا يكون ذلك عهدا إليه بالإمامة وإن أريد جعله إماما في الحال فهو إما خلع نفس العاهد وإما اجتماع إمامين في وقت واحد وإن أريد جعله خليفة أو إماما بعد موته فهو الوصية من غير فرق

قلت وهذا جنوح من الرافعي رحمه الله إلى صحة الخلافة بالوصية أيضا كما تصح بالاستخلاف

الوجه الثالث فيما يجب على الكاتب مراعاته

واعلم أنه يجب على الكاتب أن يراعي في كتابة العهد بالخلافة أمورا

منها **براعة الاستهلال** بذكر ما يتفق له من معنى الخلافة والإمامة واشتقاقهما وحال الولاية ولقب العاهد والمعهود إليه ولقب الخلافة إلى غير ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات

---

(١) صبح الأعشى، ٩/٢٨٥

ومنها أن ينبه على شرف رتبة الخلافة وعلو قدرها ورفعة شأنها ومسيس الحاجة إلى الإمام ودعاية الضرورة إليه ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا

ومنها أن ينبه على اجتماع شروط الإمامة في المعهود إليه من حين ." (١)

" المملكة وإن كان خارجا عن يده فهو داخل في عموم ولايته حتى لو غلب على شيء منها أو فتحه لم يحتج فيه إلى تولية جديدة من الخليفة

ولا مانع لذلك فسيأتي في الكلام على المناشير أنه يجوز للإمام أن يقطع أرض الكفر قبل أن تفتح وإذا جاز ذلك في الإقطاع ففي هذا أولى

وحينئذ فتكون سلطنة الديارالمصرية الآن مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء

الوجه الثالث فيما يجب على الكاتب مراعاته فيه

واعلم أنه يجب على الكاتب مراعاة أمور

منها **براعة الاستهلال** بما يتهيأ له من اسم السلطان أو لقبه الخاص مثل فلان الدين او لقبه بالسلطنة مثل الناصر والظاهر ونحوهما أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم في البيعات وعهود الخلفاء

ومنها التنبيه على شرف السلطنة وعلو رتبتها ووجوب القيام بأمر الرعية وتحمل ذلك عن الخليفة

ومنها الإشارة إلى اجتهاد الخليفة وإعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة وأنه لم يجد بذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه فيصفه بالصفات الجميلة ويثني عليه بما يليق بمقام الملك

ومنها الإشارة إلى جريان لفظ تنعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو تفويض وقبول ذلك ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد

ومنها إيراد ما يليق بالمقام من الوصية بحسب ما يقتضيه الحال من علو رتبة الخلافة وانخفاضها مبينا لما يلزمه القيام به من حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة وتنفيذ الأحكام وإنصاف المظلوم من الظالم وحماية البيضة والذب عن الحرم وإقامة الحدود ." (٢)

" المهيع الثاني فيما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة هذه الولايات

واعلم أنه يجب على الكاتب في ذلك مراعاة أمور

---

(١) صبح الأعشى، ٩/٣٦٦

(٢) صبح الأعشى، ٩/٤٢٥

الأمر الأول **براعة الاستهلال** بذكر اسم المولى أو نعته أو لقبه أو الوظيفة أو حال الولاية مع استصحاب **براعة الاستهلال** إلى آخر الخطبة ونحوها من الافتتاحات كما أشار إليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في كتابه حسن التوسل كما تقدم ذكره في الكلام على البيعات والعهود

الأمر الثاني مراعاة قطع الورق في الجملة لكل ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات والولايات وغيرها والذي يختص بهذا المكان ذكر مقادير قطع الورق فيما يتعلق بهذه الولايات خاصة وهي خمسة مقادير أحدها قطع الثلثين ويختص في الولايات بكبار التقاليد دون غيرها وثانيها قطع النصف وفيه تكتب صغار التقاليد والمراسيم المكبرة والتفاويض وكبار التواقيع وثالثها قطع الثلث وفيه تكتب صغار المراسيم المكبرة والتواقيع المتوسطة ورابعها قطع العادة المنصوري وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التي لأصحابها بعض ميزة لا تنتهي بهم إلى رتبة قطع الثلث وخامسها قطع العادة الصغير وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التي هي في الرتبة الأخيرة

الأمر الثالث معرفة ما يناسب كل قطع من هذه المقادير من الأقلام وقد تقدم في المقالة الثالثة نقلا عن التعريف ما لكل مقدار من الأقلام ." [١]

" الشاهد به ديوان الوقف أو نحو ذلك على ما شرح فيه ثم يكتب في الصدر بعد البسملة ما صورته رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الفلاني باللقب الخاص ولقب السلطنة ويدعى له بما فيه **براعة الاستهلال** بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك وأقلها ثلاث فقرات فما زاد أن يستقر المجلس السامي الأمير الأجل إلى آخر ألقابه أو أن يستقر مجلس الأمير الأجل إلى آخر الألقاب لما له من كذا وكذا ويأتي من صفات المدح بما يناسب المقام ثم يقال فليباشر ذلك أو فليتلق ذلك أو فليقابل صدقاتنا الشريفة بكذا ونحو ذلك ثم يوصى بما يليق به ويدعى له بدعوتين فقط ثم يقال بعد الخط الشريف العالي أعلاه الله تعالى

قلت وهذا الصنف إن روعي صاحبه كتب في قطع العادة المنصوري وإلا ففي قطع العادة الصغير قال في التثقيف ومما ينبه عليه أنه لا يكتب مرسوم شريف في قطع العادة إلا بمثل نيابة الشقيف بصفد وصرخد وعجلون والصبيبة فإنه لا يولى فيها إلا مقدم حلقة أو جندي ومثل هذا لا يكتب عن ." [٢]

---

(١) صبح الأعشى، ٧٣/١١

(٢) صبح الأعشى، ١١١/١١

" موضوعاتها من تدريس التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو وغير ذلك في **براعة الاستهلال** والوصايا وهو في الوصايا آكد

وهذه نسخ وصايا أوردها في التعريف

وصية مدرس وليطلع في محرابه كالبدر وحوله هالة تلك الحلقة وقد وقت أهداب ذلك السواد منه أعظم اسودادا من الحدقة وليرق سجادته التي هي لبدة جواده إذا استن الجدال في المضمار وليخف أضواء أولئك العلماء الذين هم كالنجوم كما تتضاءل الكواكب في مطالع الأقمار وليبرز لهم من وراء المحراب كمينه وليفض على جداولهم الجافة معينه وليقذف لهم من جنبات ما بين جنبيه درر ذلك البحر العجاج وليرهم من غرر جياده ما يعلم به أن سوابقه لا يهولها قطع الفجاج وليظهر لهم من مكنون علمه ما كان يخفيه الوقار وليهب من ممنون فضله ما يهب منه عن ظهر غنى أهل الافتقار وليقرر تلك البحوث ويبين ما يرد عليها وما يرد به من منعها وتطرق بالنقض إليها حتى لا تنفصل الجماعة إلا بعد ظهور الترجيح والإجماع على كلمة واحدة على الصحيح وليقبل في الدروس طلق الوجه على جماعته وليستملهم إليه بجهد استطاعته وليربهم كما يربي الوالد الولد وليستحسن ما تجيء به أفكارهم وإلا فكم رجل بالجبه لبنت فكر وأد هذا إلى أخذهم بالاشتغال وقدح أذهانهم للاشتعال ولينشئ الطلبة حتى ينمي منهم الغروس ويؤهل منهم من كان لا يظن منه أنه يتعلم لأن يعلم ويلقي الدروس

وصية مقرئ

وليدم على ما هو عليه من تلاوة القرآن فإنه مصباح قلبه وصلاح قربه ." (١)

" اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقديمه وأن يعتنى فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الصحبة الشريفة

فليباشر ذلك محليا هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ومجليا في هذه الحلبة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل ومبينا من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار ومن كوامن اطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مثمرا وليل نقسه في ليل الأعمال مقمرا وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح محدقا ولسان قلمه لما دق وجل من أمور الاقاليم محققا ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مثبتا ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح منبتا ولدر أخلاف الأعمال بحسن الاطلاع محتلبا ولوجوه الأموال بإنفاق التوجه إلى تثميرها إن أقبلت مجتليا وإن

---

(١) صبح الأعشى، ٢٤٣/١١

أعرضت مختلبا فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل ومنابت ينميها النظر الجلي والاتقان الجليل وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ويتخيلها في كل حال أمامه والله تعالى يسدده ويوفقه بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى

قلت وربما أضيف إلى نظر الصحبة نظر الدواوين الشريفة وحينئذ فيحتاج الكاتب أن يأتي في **براعة الاستهلال** بما يقتضي الجمع بينهما ويورد من الوصايا ما يختص بكل منهما والكاتب البليغ يتصرف في ذلك على وفق ما يحدث له من المعاني ويسنح له من الألفاظ ." (١)

" والعفاف واستحق بذلك أن نجدد له فضل الألفة ونؤكد له بكرمنا نيلا اعتاده وعرفه

فليستمر في ذلك استمرارا به أسباب الخير مؤتلفة ووجوه الفضائل عن صنوف الكتابة غير منصرفة وليبد من البلاغة بيانها البديع ويجمل منزل العلياء الرفيع ويسلك مسلكه في الأمانة ويتق الله تعالى بملازمة المراقبة والديانة والله تعالى يعلي مكانه ويزيد في اقتناء الفضائل إمكانه والاعتماد على العلامة الشريفة أعلاه إن شاء الله تعالى

قلت وربما كتب التوقيع لكاتب الدرج بزيادة معلوم فيحتاج الكاتب إلى أن يأتي بعبارة تجمع إلى ما تقدم من **براعة الاستهلال** ما يليها من موجب الاستحقاق وسبب الزيادة وترادف الإحسان

وهذه نسخة توقيع بشهادة الخزانة كتب به لابن عبادة وهي

أما بعد حمد الله الذي أفاض على الأولياء من خزائن فضله وأفاء لهم أوفر نصيب من إحسانه المشكور فيه عدل قسمه وقسم عدله وأهمى عليهم من سحب مواهبه ما يقصر عنه الغمام في وبله وطله وأسبغ عليهم من جوده العميم ما يصفو لديهم المرح في وارف ظله والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه ورسوله أشرف رسله وخاتم من جاء من الأنبياء من قبله والعادي ببعثته الشريفة إلى طرق الحق وسبله وعلى آله وصحبه الذين تابعوه في قوله وفعله وبايعوه على المظاهرة في نصرة الدين الحنيف وأهله وجمعوا هممهم على التئام كلمة الإيمان وجمع شمله وأرهف كل منهم في نصره ماضي عزمه ونصله فإن أولى من رعيت له حقوق ذمامه ومنح أجزل العطاء الذي تقضي الأقدار ." (٢)

" بتقواه سيرا خبرا وخبرا ويذر جورا وجبرا (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)

---

(١) صبح الأعشى، ١١/٣٢٦

(٢) صبح الأعشى، ١١/٣٤٩

قلت وغالب ما يعتنى به في تواقيع أرباب الأقلام المفتتحة برسم الدعاء المصدر به التواقيع واشتماله على **براعة الاستهلال**

وهذه جملة أدعية من ذلك ينسج على منوالها

أثير الدين لا زال فلك فضله أثيرا وطالع سعده منيرا وهبوب ريح مبراته للخيرات مثيرا

أمين الدين لا زال ينبغي للخدم الشريفة خير أمين ويصطفي للقيام بالمصالح أنهض معين ويجتبي لأهم المهمات من هو غير متهم في المناصحة وغير ظنين

بدر الدين لا زال يولي المناصب الدينية من سلك في النزاهة مسلكا جميلا ويولي الفضل الجزيل من أضحى إشراق بدره على آثار حظه دليلا

برهان الدين لا زالت أوامره الشريفة ترفع للعلماء شانا وتقيم على استحقاقهم دليلا واضحا وبرهانا

تاج الدين لا زالت صدقاته الشريفة ترفع تاج الفضائل على الرؤوس وبره الشامل يذكي النفوس ويزكي الغروس وتوارد إفضاله يوشي المهارق ." [١]

" المقصد الثاني في بيان الولايات التي تصدر عن نواب السلطنة بالممالك الشامية

قد تقدم في الكلام على الولايات الصادرة على الأبواب السلطانية بالممالك الشامية أن نواب هذه الممالك يستبدون بتولية ولاة الأعمال وقد يستبدون أيضا بتولية صغار النواب كالقلاع والبلدان التي تكون نيابتها إمرة عشرة وربما استبدوا بتولية بعض النيابات التي تكون نيابتها إمرة طبلخاناه إلا أن تولية العشرات عن النواب أكثر وتولية الطبلخاناه عن السلطان أكثر أما النيابات التي تكون نيابتها تقدمة ألف فإنها مختصة بالسلطان والنيابات التي يكون متوليها جنديا أو مقدم حلقة فإنها مختصة بالنواب وأن تولية أكابر أرباب الأقلام ككاتب السر والوزير بالشام حيث جعلت وزارة وناظر النظار حيث جعلت نظرا وأصحاب دواوين المكاتبات ونظار المال بسائر الممالك ونظار الجيش وقضاة القضاة بها فإن التولية في ذلك تختص بالسلطان دون النواب وما عدا ذلك يولي فيه السلطان تارة والنواب أخرى وربما حصلت الولاية في بعض ذلك من بعض النواب ثم يكتب من الأبواب السلطانية بالحمل عليها على ما تقدم بسط القول فيه هناك فليراجع منه

المقصد الثالث في افتتاحات التواقيع والمراسيم بتلك الولايات

---

(١) صبح الأعشى، ١١/٣٥٨

تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها **براعة الاستهلال** في الافتتاح وأن الافتتاح فيها بالحمد لله أعلى من الافتتاح بأما بعد والافتتاح بأما بعد أعلى من الافتتاح برسم بالأمر الشريف وأن لفظ أما بعد أعلى من لفظ وبعد وأنه يراعى في الولايات وصف المتولي والولاية ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح ثم يقال ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة اقتضى حسن الرأي أن يستقر في كذا ونحو ذلك ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولي لها ثم يؤتى بالاختتام من المشيئة والتاريخ ." (١)

" يسير وأول الاسم بعد المنتصب السادس عشر من المنتصبات وآخر النون من حسين البارزة عن ألف شعبان إلى جهة اليسار بعدها أحد عشر منتصبا من جهة اليسار وهي هكذا

الجملة الخامسة في ذكر طرف من نسخ المناشير التي تكتب في الإقطاعات في زماننا

قد تقدم الكلام في الجملة الثالثة على صورة ما يكتب في المناشير وما تفتتح به وذكر ترتيبها واختلاف حالها باختلاف حال مراتب أصحابها صعودا وهبوطا فأغنى عن ذكر إعادته هنا

واعلم أن الأحسن بالمناشير أن تكون مبتكرة الإنشاء ليراعى فيها حال المكتوب له في **براعة الاستهلال** وغيرها من المناسبات والمطابقات فإن تعذر ذلك فالأحسن أن تكون **براعة الاستهلال** منقولة في الاسم والكنية واللقب ونحوها ." (٢)

" ليكون ذلك أقرب إلى الغرض المطلوب فإن تعذر ذلك فينبغي أن تكون **براعة الاستهلال** قاصرة على معنى الإقطاع وما ينجر إليه من ذكر كرم السلطان ومنه وإحسانه إلى أخصائه وما ينحرط في هذا السلك

ثم نسخ المناشير على ثلاثة أنواع

النوع الأول ما يفتتح ب الحمد لله وهو على ثلاثة أضرب

الضرب الأول مناشير أولاد الملوك

وهذه نسخ مناشير من ذلك

نسخة منشور كتب به عن الملك المنصور قلاوون لابنه الناصر محمد في سلطنة أبيه المذكور من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وهي

---

(١) صبح الأعشى، ٢٧٦/١٢

(٢) صبح الأعشى، ١٧١/١٣

الحمد لله الذي زين سماء الملك بأنور كوكب بزغ وأعز ملك نبغ وأشرف سلطان بلغ إلى ما بلغ ذوو الاكتهال من اختيار شرف الخلال وما بلغ

نحمده حمدا تزيد به النعماء وتنمي وتهمل به الآلاء وتهمي ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من كل ريب واقصة كل عيب ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بعثه الله تعالى بمكارم الأخلاق ومعاداة ذوي النفاق وساوى بين الصغير والكبير من أولي الاستحقاق في الإرفاد والإرفاق وعلى آله وصحبه ما رق نسيم وراق وما خصفت أوراق

وبعد فإن الهواتف أبين ما تشدوا إذا حفت الرياض بها من كل جانب والسماء أحسن ما تبدو إذا تزينت بالكواكب السيارة والشهب الثواقب والسعادة ." (١)

" الضرب الثاني مما يلزم الكاتب في كتابة الهدنة تحرير أوضاعها وترتيب قوانينها وإحكام معاقدها وذلك باعتماد أمور

منها أن يكتب الهدنة فيما يناسب الملك الذي تجري الهدنة بينه وبين ملكه ولم أر من تعرض في الهدن لمقدار قطع الورق وإن كثرت كتابتها في الزمن المتقدم بين ملوك الديار المصرية وبين ملوك الفرنج كما سيأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى

والذي ينبغي أن يراعى في ذلك مقدار قطع الورق الذي يكاتب فيه الملك الذي تقع الهدنة معه من قطع العادة أو الثلث أو النصف

ومنها أن يأتي في ابتدائها **ببراعة الاستهلال** إما بذكر تحسين موقع الصلح والندب إليه ويمن عاقبته أو بذكر السلطان الذي تصدر عنه الهدنة أو السلطانين المتهادنين أو الأمر الذي ترتب عليه الصلح وما يجري هذا المجرى مما يقتضيه الحال ويستوجبه المقام

ومنها أن يأتي بعد التصدير بمقدمة يذكر فيها السبب الذي أوجب الهدنة ودعا إلى قبول الموادعة

فإن كانت الهدنة مع أهل الكفر احتج للإجابة إليها بالائتمار بأمر القرآن والانقياد إليه حيث أمر الله رسوله بالمطاوعة على الصلح والإجابة إلى السلم بقوله (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وما وردت به السنة من مصالحته قريشا عام الحديبية وذكر ما سنح له من آيات الصلح وأحاديثه وما

---

(١) صبح الأعشى، ١٧٢/١٣

جرى عليه الخلفاء الراشدون من بعده وكفهم عن القتال وقوفا عند ما حد لهم وأنه لولا ذلك لشرعوا الأسنة ". (١)

" محمد بن إسماعيل البخاري ومنها البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير للإمام أبي القاسم الرافعي وبه تكمل معرفة الفقيه ويصير محدثا فقيها

وأجزت له مع ذلك ما جاز لي وعني روايته بشرطه عند أهله زاده الله وإياي من فضله ومنها الكتب الستة البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والمسانيد مسند أحمد ومسند الشافعي وغير ذلك

وكان ذلك في تاريخ كذا

وكتب عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي غفر الله لهم حامدا ومصليا ومسلما وأشهد عليه جماعة من أهل العلم بآخره

قلت وتكون ألقاب المجاز على قدر رتبته مثل أن يكتب له الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العامل الأوحد الفاضل المفيد البارع علم المفيدين رحلة القاصدين فلان الدين أبو فلان فلان فلان بحسب رتب آبائه

وإنما أهملت ذكر الألقاب في هذه الإجازة من حيث إنه لا يليق بأحد أن يذكر ألقاب نفسه في مصنف له لأنه يصير كأنه أثنى على نفسه

وأما الإجازة بعراضة الكتب فقد جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتابا في الفقه أو أصول الفقه أو النحو أو غير ذلك من الفنون يعرضه على مشايخ العصر فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب ويفتح منه أبوابا ومواضع يستقرئه إياها من أي مكان اتفق فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم استدل بحفظه تلك المواضع على حفظه لجميع الكتاب وكتب له بذلك كل من عرض عليه في ورق مربع صغير يأتي كل منهم بقدر ما عنده من الملكة في الإنشاء وما يناسب ذلك المقام من **براعة الاستهلال** ونحوها فمن عال ومن هابط

وربما خفف بعضهم فكتب ." (٢)

---

(١) صبح الأعشى، ١٤/١٢

(٢) صبح الأعشى، ١٤/٣٦٩

"للغني بالله: يا مولانا إن سيدي يوسف وكلني على طلب إعذاره من مولانا نصره الله على ما يليق بك وبه،فقال له الغني بالله: حسبي الله، وسكت سكتة لطيفة تشعر بفصل الكلام بعضه من بعض،ثم قال:ونعم الوكيل!فعدها الأكياس من مدارك نبله، ومحاسن قوله وفعله؛ انتهى.

قلت: هذا من السلطان في حق لسان الدين غاية التبجيل،أعني قوله " ونعم الوكيل " فأين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد، حتى آل أمره إلى النحس بعد ذلك السعد وسقاه دهره بعد الحلاوة ما مر،ولم يكن قتله إلا بتسبب السلطان المذكور كما مر:

ثلاثة ليس لها أمان ... البحر والسلطان والزمان [٥ – رسالة ابن خاتمة إلى لسان الدين]

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى (١) : ولما قضى الله عز وجل بالإدالة، ورجعنا إلى أوطاننا من العدوة واشتهر عني ما اشتهر من انقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والدولة، والتكبر على أعلى رتب الخدمة، وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة، ورغبت في تبرئة الذمة، ونفرت عن الأندلس بالجملة، خاطبني يعني أبا جعفرابن خاتمة بعد صدر بلغ من حسن الإشارة **وبراعة الاستهلال** الغاية بقوله:وإلى هذا يا سيدي ومحل تعظيمي وإجلالي، أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم، وضاعف في العز درجات ارتقائكم، فإنه من الأمر الذي لم يغب عن رأي العقول،ولا اختلف فيه أرباب المعقول، أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، وتاج مفرقها، وواسطة سلكها، وطراز ملكها وقلادة نحرها، وفريدة دهرها،وعقد جيدها المنصوص،وتمام

---

(١) انظر الإحاطة ١ : ١٢٤ وأزهار الرياض ١ : ٢٦٥.." (١)

وقوله أيضا :

يا قوم كم من عاتق عانس . . . ممدوحة الأوصاف في الأندية

قتلتها لا أتقي وارثا . . . يطلب مني قودا أو ديه

يريد بالعاتق العانس : الخمر ، وبقتلها : مزجها ، كما قال حسان :

إن التي عاطيتني فرددتها . . . قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

وأمثال ذلك كثيرة : وعند علماء البيان : التخييل تصوير حقيقة الشيء للتعظيم ، كقوله تعالى : " والأرض

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢٨/٦

جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " والغرض منه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز ، وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) : " إنما نحن حفنة من حفنات ربنا " قال الزمخشري " ولا يرى باب في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب .

وأما حسن الابتداءات – قال : هذه تسمية ابن المعتز ، وأراد بها ابتداءات القصائد ، وفرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال ، وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده ، والكاتب أشد ضرورة إلى ذلك من غيره ليبتني كلامه على نسق واحد دل عليه من أول علم بها مقصده ، إما في خطبة تقليد ، أو دعاء كتاب ، كما قيل لكاتب : اكتب إلى الأمير بأن بقرة ولدت حيوانا على شكل الإنسان فكتب : أما بعد حمد الله خالق الإنسان في بطون الأنعام .

وكقول أبي الطيب في الصلح الذي وقع بين كافور وبين ابن مولاه :

حسم الصلح ما اشتهته الأعادي . . . وأذاعته ألسن الحساد

وأمثال ذلك .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١١ """"""""

قال : وينبغي أن لا يبتدئ بشيء يتطير منه ، كقول ذي الرمة : " ما بال عينك منها الماء ينسكب وقول البحتري : " لك الويل من ليل تقاصره آخره وكقول المتنبي :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا . . . وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكقوله :

ملث القطر أعطشها ربوعا . . . وإلا فاسقها السم النقيعا

قال : وينبغي أن يراعى في الابتداءات ما يقرب من المعنى إذا لم تتأت له براعة الاستهلال وتسهيل اللفظ وعذوبته وسلاسة ألفاظه ، وقيل : إن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قول النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب . . . وليل أقاسيه بطئ الكواكب

ومن أحسن ما ابتدأ به مولد قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي

هل إلى أن تنام عيني سبيل . . . إن عهدي بالنوم عهد طويل

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١١٠/٧

ويحسن أن يبتدئ في المديح بمثل قول أبزون الغماني :

على منبر العلياء جدك يخطب . . . وللبلدة العذراء سيفك يخطب

وقول المتنبي :

عدوك مذموم بكل لسان . . . وإن كان من أعدائك القمران." [1]

"""""""""" صفحة رقم ١٦٣ """"""""

الآن مصغية إلى جوابه لتكف إن أبصر سبل الرشاد ، أو تتعوض برءوس حماته وكماته عن الأغماد إن أصر على العناد ، والخير يكون . به لتكف إن أبصر سبل الرشاد ، أو تتعوض برءوس حماته وكماته عن الأغماد إن أصر على العناد ، والخير يكون .

أما التقاليد والمناشير والتواقيع وما يتعلق بذلك – فالأحسن فيها بسط الكلام ، وتعتبر كثرته وقلته بحسب الرتب ، ويجب أن يراعى فيها أمور : منها **براعة الاستهلال** بذكر الرتبة أو الحال ، أو قدر النعمة ، أو لقب صاحب التقليد أو اسمه بحيث لا يكون المطلع أجنبيا من هذه الأحوال ، ولا بعيدا منها ، ولا مباينا لها ، ثم يستصحب ما سناسب الغرض ويوافق المقصد من أول الخطبة إلى آخرها ؛ قال : ويحسن أن يكون الكلام في التقليد منقسما إلى أربعة أقسام متقاربة المقادير ، فالربع الأول الخطبة ، والثاني ذكر موقع الإنعام في حق المقلد ، وذكر الرتبة وتفخيم أمرها ، والثالث في أوصاف المقلد وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل وسياسة ومهابة وبعد صيت ، وسمعة وشجاعة إن كان نائبا ، ووصف العدل والرأي وحسن التدبير ، والمعرفة بوجوه الأموال ، وعمارة البلاد ، وصلاح الأحوال ، وما يناسب ذلك إن كان وزيرا ؛ وكذلك في كل رتبة بحسبها ، والرابع في الوصايا ؛ ومنها أن يراعي المناسبة وما تقتضيه الحال ، فلا يعطي أحدا فوق حقه ، ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله ، ويراعى أيضا مقدار النعمة والرتبة ، فيكون وصف المنة على مقدار ذلك .

ومنها أن لا يصف المتولي بما يكون فيه تعريض بالمعزول وتنقص له ، فإن ذلك مما يوغر الصدور ، ويؤرث الضغائن في القلوب ، ويدل على ضعف الآراء في اختيار الأول ، وله أن يصف الثاني بما يحصل به المقصود من غير تعريض بالأول ؛ ومنها أن يتخير الكلام والمعاني ، فإنه مما يشيع ويذيع ، ولا يعذر المقصر في ذلك بعجلة ولا ضيق وقت ، فإن مجال الكلام عليه متسع ، والبلاغة تظهر في القليل والكثير ، والأمر الجاري في ذلك على العادة معروف ، لكن تقع أشياء خارجة عن العادة ، نادرة الوقوع ، فيحتاج

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١١١/٧

الكاتب فيها إلى حسن التصرف على ما تقتضيه الحال ؛ فمن ذلك تقليد من إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي كتبه لمملك سيس بإقراره على ما قاطع النهر من بلاده ، وهو : الحمد لله الذي خص أيامنا الزاهرة باصطناع ملوك الملل ، وفضل دولتنا القاهرة بإجابة من سأل بعض ما أحرزته لها البيض والأسل ، وجعل من خصائص." (١)

""""""""" صفحة رقم ٩٦ """""""""

وأما الإسجالات – فهي بحسب الوقائع ، وقد ذكرنا منها في أثناء ما قدمناه ما هو وارد في مواضعه ، فلنذكر ما لم نورده هناك ، فمن ذلك إسجال بثبوت العدالة . وقد استقرت القاعدة بين الناس في إسجالات العدالة أن يبتدئ الكاتب بخطبة يذكر فيها شرف العدالة وعلوها ، وارتفاع رتبتها وسموها ، ويصف المعدل بأوصاف تليق به بحسب حاله ورتبته ، وأصالته وأبوته ، ولا حجر على الكاتب فيما يأتي به من القرائن والفقر والكلام المسجوع ما لم يتعد به حق المنعوت ، أو يخرج به عن طوره ورتبته ، ويراعي مع ذلك قيود الشرع وضوابطه ، والكاتب فيها بحسب قدرته وتصرفه في أساليب الكلام **وبراعة الاستهلال** واختيار المعاني ، فإذا انتهى إلى آخر الخطبة وذكر أوصاف المعدل قال : فلذلك استخار الله تعالى سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى قاضي القضاة ، حاكم الحكام ، وينعته بنعوته ، ويذكر مذهبه وولايته للدولة القاهرة السلطانية الملكية الفلانية ، بالولاية الصحيحة الشرعية ، المتصلة بالمواقف الشريفة النبوية ، الإمامية العباسية ، المستكفي أمير المؤمنين – أعز الله به الدين ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين – وأشهد على نفسه من حضر مجلس حكمه وقضائه ، وهو يومئذ نافذ القضايا والأحكام ماضي النقض والإبرام ، وذلك في اليوم المبارك ، ويكتب الحاكم التاريخ بخطه ، ثم يكتب الكاتب : أنه ثبت عنده وصح لديه بالبينة العادلة المرضية ، التي ثبتت بمثلها الحقوق الشرعية ، عدالة فلان – وينعته بما يستحقه – ثبوتا ماضيا شرعيا معتبرا تاما مرضيا ، وحكم بعدالته ، وقبول قوله في شهادته ، وأجاز ذلك وأمضاه واختاره وارتضاه ، وألزم ما اقتضاه مقتضاه ، وأذن سيدنا قاضي القضاة فلان لفلان المحكوم بعدالته في تحمل الشهادات وأدائها ، لتحفظ الحقوق على أربابها وأوليائها ، وسمع شهادته فقبلها وأجازها ، وأمره أن يرقم على حلل الطروس طرازها ، وبسط قلمه بسطا كليا ، ونصبه بين الناس عدلا مبررا مرضيا ، وأجراه مجرى أمثاله من العدول المبررين ، وسلك به مسلك الشهداء المتميزين ، وتقدم – أدام الله تعالى أيامه بكتابه هذا الإسجال

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب. موافق للمطبوع، ١٦٣/٧

، فكتب عن إذنه الكريم في التاريخ المقدم ذكره أعلاه المكتتب بخطه الكريم ، شرفه الله تعالى . والكاتب في ذلك بحسب ما توصله إليه عباراته .." (١)

" هذا هو مقول القول والحمد هو الثناء بالجميل الاختياري وحمدا مصدر تأكيدي وبوصفه عاد نوعيا والشامل من شمله الشيء إذا عمه أي شاملا لأنواع الحمد وأنواع المحمود عليه والشامل اسم كتاب في الأصول للإمام يحيى وفي ذكر الأصول والفروع والكافل **براعة الاستهلال** مع التورية ... وأستزيد المنتهى من عنده ... والمجتبى من فضله لعبده ...

استزاد طلب الزيادة لما حمد مولاه طلب الزيادة من نعمائه ومنتهى الشيء غايته وفضل الله لا غاية له ولا انتهاء وهو أيضا اسم لكتاب الآمدي في الأصول ففيه تورية والمجتبى بالجيم واجتباه إذا اختاره ومن فضله يتنازع فيه المنتهى والمجتبى وهو اسم كتاب في الأصول أيضا والحديث للنسائي ففيه ما في الذي قبله من التورية ... ثم صلاة الله تغشى المصطفى ... وآله سفن النجاة الحنفا ." (٢)

"قلت: وأورد الرازي في "تفسيره" "١/ ١٥٠-١٥١"، والنيسابوري في "غرائبه" "١/ ١١٩-١٢٠" نصين فيهما نحو ما ذكر المصنف، انظر مناقشتهما في "**براعة الاستهلال** في فواتح القصائد والسور" "ص١١٧ وما بعدها"، وتجد تفسيرا لهذه الحروف بما لا عهد للسلف به في كتب الصوفية، مثل: "شمس المعارف الكبرى"، و"خزينة الأسرار الكبرى" "ص١٠٨ وما بعدها" وكذا في "رسائل إخوان الصفا" "٤/ ١٩١"، وكذا في الرسالة النيروزية" "ص٩٢" لابن سينا، وابن أبي الأصبع في كتابه: "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح" وهو مطبوع، وكذا في كتب المستشرقين، انظر ما نقله زكي مبارك عن أستاذه بلانشو في "النثر الفني في القرن الرابع" "١/ ٤٠"، وانظر ما سيأتي "٣/ ٣٢٦" مع تعليقنا عليه.." (٣)

"ص -٢٣٥-...فصل:

وقد وقعت في القرآن تفاسير مشكلة يمكن أن تكون من هذا القبيل، أو من قبيل الباطن الصحيح، وهي منسوبة لأناس من أهل العلم، وربما نسب منها إلى السلف الصالح.

فمن ذلك فواتح السور١ نحو ﴿الم﴾، و﴿المص﴾، و﴿حم﴾، ونحوها فسرت بأشياء، منها ما يظهر جريانه على مفهوم صحيح، ومنها ما ليس كذلك، فينقلون عن ابن عباس٢ في ﴿الم﴾ أن "ألف" الله،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٩/٩٦

(٢) إجابة السائل شرح بغية الآمل، ص/١٨

(٣) الموافقات. ط ابن عفان – مشهور حسن، ٤/١٦١

و"لام" جبريل، و"ميم" محمد، صلى الله عليه وسلم.

وهذا إن صح في النقل؛ فمشكل لأن هذا النمط من التصرف لم يثبت

---

١ تجد كلاما محققا جيدا حولها في "قانون التأويل" "٢٠٨ وما بعدها"، و"معرفة قانون التأويل" "ق ٢٧/ أ" -حيث أورد فيه اثني عشر قولا لعلماء التفسير وسبعة أقوال للصوفية- كلاهما لابن العربي، و"تفسير الطبري" "١/ ٦٧-٧٤"، و"تأويل مشكل القرآن" "٢٩٩" لابن قتيبة، و"العقل وفهم القرآن" "٣٢٩" للمحاسبي، و"بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم" "١/ ٢٥٩-٢٦٤"، و"بدائع الفوائد" "٣/ ٤٥-٤٧"، و"الكشاف" "١/ ١٢-١٩"، و"البحر المحيط" "١/ ٣٤" لابن حيان، و"تفسير الرازي" "٢/ ٣-١٣"، و"تفسير القرطبي" "١/ ١٥٤"، و"البرهان" "١/ ٢١٤-٢١٦، و"معترك الأقران" "١/ ١٥٦"، و"الإتقان" "٢/ ١١ وما بعدها"، و"مجموع فتاوى ابن تيمية" "١٧/ ٣٩٨"، و"الإعجاز البياني للقرآن" "١٣٦" لبنت الشاطئ، و"براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور" "ص٩٩-٣٠٢"، وفيه جمع واسع لما قيل في معاني الحروف المذكورة في أوائل السور.

٢ حكاه أبو الليث في "بحر العلوم" "١/ ٨٩"، وغيره ولم ينسبوه لابن عباس، وقال المناوي في "الفتح السماوي" "١/ ١٢٦": "هذا لا يعرف عن ابن عباس ولا غيره من السلف"، وتابعه ابن همات في "تحفة الراوي" "ق ٨/ ب"، وورد عنه أقوال كثيرة كما تراه في "الدر المنثور" "١/ ٥٥-٥٩".

وفي "ط": "في "الم"، وفي غيره: "أن الم"، قال "ف": "إن "الم": لعله في "الم".." (١)

"ص -٢٣٦-...في كلام العرب هكذا مطلقا، وإنما أتى مثله إذا دل عليه الدليل اللفظي أو الحالي؛ كما قال:

قلت لها قفي فقالت قاف١

وقال:

---

١ هذا أول رجز للوليد بن عقبة، وسبب قوله أنه لما شهد عليه عند عثمان بن عفان بشرب الخمر؛ كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدي بن حاتم، فنزل الوليد يوما يسوق بهم؛ فقال يرتجز:

---

(١) الموافقات. ط ابن عفان - مشهور حسن، ٣٢٣/٨

قلت لها قفي فقالت قاف...لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف

والنشوات من عتيق أوصاف...وعزف قينات علينا غراف

فقال له: "إلى أين تذهب بنا؟ أقم".

كذا في "الأغاني" "٥/ ١٨١"، و"شرح شواهد الشافية" "ص٢٧١"، وفي "تأويل مشكل القرآن" "٣٠٩": "وأنشد الفراء وذكره"، وهو في "الصاحبي" "٩٤"، و"تفسير ابن جرير" "١/ ٢١٢، تحقيق شاكر"، و"الوسيط" "١/ ٧٦" للواحدي، و"المحرر الوجيز" "١/ ٨٢-٨٣"، و"تفسير ابن كثير" "١/ ٣٩"، و"مجمع البيان" "١/ ٣٤"، و"البحر المحيط" "١/ ٣٥"، و"العمدة" "١/ ٢٨٠"، و"بحر العلوم" "١/ ٨٧"، و"قانون التأويل" "٢١٦"، و"البرهان" "٣/ ١١٧" للزركشي، و"الإتقان" "٢/ ١٢"، و"براعة الاستهلال" "١٩٧"، وفي بعضها غير منسوب.

وأورده ابن جني في "الخصائص" "١/ ٣١، ٨١، ٢٤٧"، ونقل عنه ابن منظور في "اللسان" "٩/ ٣٥٩، مادة وقف" قوله: "ولو نقل هذا الشاعر إلينا شيئا من جملة الحال؛ فقال مع قوله: "قالت: قاف": وأمسكت زمام بعيرها أو عاجته إلينا؛ لكان أبين لما كانوا عليه وأدل، على أنها أرادت قفي لنا قفي لنا، أي: تقول لي قفي لنا متعجبة منه، وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم من قولها قاف إجابة له لا رد لقوله، وتعجب منه في قوله: "قفي لنا"".

قال: "ف": "أي: ذكرت حرفا في حروف قفي وهو القاف، والظاهر أن القصد بذكره امتثال الأمر بقرينة سابقة، وكذا قوله "فا" بمعنى فأنا أقول لك، وقول "تا"؛ أي: تفعل فإن فعلته أقابل ال شر بمثله ويشبه أن يكون ذلك من النحت".." [1]

"ص -٢٣٧-...قالوا جميعا كلهم بلافا١

وقال:

ولا أريد الشر إلا أن تا٢

والقول في ﴿الم﴾ ليس٣ هكذا، وأيضا، فلا دليل من خارج يدل عليه؛ إذ لو كان له دليل لاقتضت٤ العادة نقله لأنه من المسائل التي تتوفر الدواعي على نقلها لو صح أنه مما يفسر ويقصد تفهيم معناه، ولما لم يثبت شيء من ذلك؛ دل على أنه من قبيل المتشابهات، فإن ثبت له دليل يدل عليه صير إليه.

وقد ذهب فريق إلى أن المراد الإشارة إلى حروف الهجاء، وأن القرآن منزل بجنس هذه الحروف وهي

---

(١) الموافقات. ط ابن عفان - مشهور حسن، ٣٢٤/٨

العربية، وهو أقرب من الأول، كما أنه نقل أن هذه الفواتح أسرار لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو أظهر الأقوال؛ فهي من قبيل

---

١ في "م": "بلى؛ فلا"، وأورده السيوطي في "الإتقان" "٢/ ١٢"، وأوله:

"ناداهم ألا الحموا ألا نا...قالوا جميعا كلهم ألا فا"

وقال: "أراد: ألا تركبون ألا فاركبوا".

٢ الراجز هو لقيم بن أوس، وأوله: "بالخير خيرات وإن شرا فا"؛ كما في "الكامل" "٢٣٦"، و"شرح شواهد الشافية" "٢٦٢"، و"الهمع" "٢/ ٢١٠، ٢٣٦"، و"اللسان" "مادة تا"، و"المحرر الوجيز" "١/ ٨٣"، وعزاه إلى زهير بن أبي سلمى، و"تفسير ابن كثير" "١/ ٣٩"، و"الكتاب" "٣/ ٣٢١"، لسيبويه، و"الإتقان" "٢/ ١٢"، و"شرح أبيات سيبويه" "٢/ ٢٧٧" لابن السيرافي، و"تفسير ابن جرير" "١/ ٧٠"، و"براعة الاستهلال" "١٩٧"، قال سيبويه في "الكتاب" "٣/ ٣٢١": "يريد: إن شرا فشر، ولا يريد الشر إلا أن تشاء".

٣ الأمثلة الثلاثة أدلتها من اللفظ، وليس في "الم" ما يدل على هذا التفسير من اللفظ، وقوله: "وأيضا"؛ أي: ولا قرينة خارجة عن اللفظ أيضا، وهو ما سماه بالدليل الحالي أي: غير المقالي، وقوله: "لو صح... إلخ" تأكيد لأضعاف هذا المعنى؛ فإن الراجح أن أوائل السور من المتشابه الذي اختص الله بعلمه. "د".

٤ في "ط": "لاقتضاء".." (١)

"ابتداء (هذا العالم) اسم لكل ما سوى الله إما مشتق من العلم فإطلاقه على غير الثقلين والملائكة تغليب وإما من العلامة فإن فاعلا يستعمل في الآلة كثيرا كالطابع والخاتم فإنه كالآلة في الدلالة على صانعه وفي كلمة هذا إشارة إلى قرب ما يستدل به على وجود الصانع من ذوي الأبصار فلا تغفل عنه (البديع) أي المخترع فقوله (بلا مثال سابق) تصريح بما علم ضمنا أو الغاية في الكمال فهو تأسيس وقيل الإنشاء والإبداع إيجاد الشيء بلا سبق مادة وزمان ولا واسطة آلة فيقابل التكوين لمسبوقيته بالمادة والأحداث لكونه مسبوقا بالزمان ورد بقوله تعالى – ٢ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة ٢ – و – ٢ ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ٢ – وفيه نظر لجواز التجريد عند القرينة (وأنار) أي أظهر وأوضح (لأبصار العقلاء) جمع بصر وهو

---

(١) الموافقات. ط ابن عفان – مشهور حسن، ٣٢٥/٨

حاسة النظر وفي بعض النسخ لبصائر وهو جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن (طرق دلالته) ولا يخفى ما فيه من **براعة الاستهلال** لأن الأصول يبحث عن طرق دلالة الأدلة الشرعية (على وجوده وتمام قدرته) أشار به إلى أن من لم يتضح له الطرق ليس من العقلاء فإن قلت وجوه الاستدلال ليست مما يدرك بالأبصار فما معنى إنارته لها قلت الإنارة للعقول حقيقة لكنها لما كانت بواسطة استعمال البصر غالبا نسبها إليها (فهو إلى العلم) أي الله تعالى أو العالم (بذلك) الإنشاء والتنوير (سائق) جعل خلق العالم مع إيضاح طرق دلالته بمنزلة السوق تنبيها على أن الإنسان كالمضطر في الاهتداء إلى ذلك كالحيوان المسوق إلى جهة أريد

تيسير التحرير ج:١ ص:٤

سوقه إليها ويناسب هذا قوله (دفع) أي ألجأ المدفوع إليه (نظامه) أي حسن ترتيب العالم على الوجه المشاهد (المستقر) أي الثابت على أتم وجوه الانتظام من غير اختلال." [١]

"حضرتك وقد بلغتني هذه البشرى اللطيفة بما سرني لمولاي من الرتبة الشريفة وان كانت بعض ماهو أهله وأقل ما يستوجبه كماله وفضله فوالله لولا مكان الشبيه وحذار الملامة والعيبة لخلعت للطرب عذار الوقار نشوة الفرح دونها نشوات العقار فأدام الله توفيقك لبلوغ الآمال وجعل هذه الرتبة السعيدة **كبراعة الاستهلال** لما فوقها من مراتب السعد والإقبال والعز والكمال.

ودمت محلا للتهاني ممتعا بعلياك مرفوع الذرى عالي الفخر

ونلت بتوفيق من الله كل ما تؤمل في عز وحسن علا قدر

وكتب تبريكا برتبة لأحد الإخوان

أحمد إليك الله تبارك خيره ولا إله غيره على جزيل عطائه حمد العارف بقدر نعمائه وقد جاء سروري بارتقاء رتبتك على قدر حظي من محبتك وموضعي بين أحبتك فسجدت لله تعالى شكرا وحمدت وله الحمد سرا وجهرا فاستدل أيها الأخ هذه النعمة بحمده سبحانه فالحمد قيد النعماء واستزده منها بشكره عليها فهو الغني الواسع العطاء الذي لا يؤثر في جنب كرمه كثرة الإعطاء وتهنأ بها رتبة مباركة ميمونة مصونة بسياج الحمد والشكر مضمونة مشفوعة بالتجديد مستتبعة للمزيد فهذا مقدم يتلوه تاليه معقبا وترى من حسن النتيجة إن شاء الله معجبا فجالك في سلامة الطبع واستقامة

---

(١) تيسير التحرير، ٤/١

الصنع وكرم الخلال وشيم الكمال وطيب الأحدوثة عن جانبك وسمات الرفعة والسمو من مناقبك وما عودك الله به من الجميل وأهلك له من التأميل بشير صادق وفأل خير ناطق محقق الله لك أماني الخير وخير الأماني ولا زلت مستقبلا ورود البشائر وقبلة الوفود التهاني مرفه الحال ناعم البال مبشر الآمال بحسن الحال والمآل بمنه وعونه. وكتب تهنئة بمولود

سلام الله على الأعز سلمه وأسعد وأكثر بفضله عدده وحفظ له ما وهب من نعمه وخوله المزيد من فيض كرمه وقد حظيت بكتابه المبشر والحمد لله بصحة جنابه واستقامة الأحوال لديه وترادف نعم الله سبحانه عليه وما منحه من المولود السعيد القادم عليه أن شاء الله بالرزق الجديد والعمر المزيد." (١)

"إلخ زاد بعضهم كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته والسمع إلى تلقي ما ينبئ عن مرضاته والاجتناب عن منهياته وأل في الحمد لاستغراق الجنس وهي التي يصلح في موضعها كل نحو : ﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾ وذلك لأن الحمد إما قديم وهو حمد الله تعالى لنفسه أو لمن شاء من عباده أو حادث وهو حمد العباد لربهم سبحانه أو لبعضهم ، فالقديم صفته ووصفه ، والحادث خلقه وملكه فالحمد كله له ولام لله للاستحقاق أي جميع المحامد مستحقة لله تعالى وقيل : غير ذلك واسم الجلالة علم على الذات العلية الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد وهو أشهر أسمائه تعالى وقد قبض الله تعالى عنه الألسن فلم يتسم به أحد قال تعالى ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ أي هل تعلم أحدا تسمى الله استفهاما بمعنى النفي أي لم يتسم به غيره وهو أعرف المعارف قاله سيبويه (وروي) أنه رئي في النوم فأخبر أنه رأى خيرا كثيرا بسبب قوله ذلك ، وقوله الذي يقضي ولا يقضى عليه هو وصف لله تعالى قال الشارح – رحمه الله – ويتضمن هذا الاستفتاح من محاسن الكلام المعبر عنها عند أهل هذا الشأن بالألقاب البديعية النوع المسمى عندهم **ببراعة الاستهلال** وهي دلالة." (٢)

"وأنزل الرحمة المقرونة بالتعظيم (على) أفضلهم خلقا وخلقا ، (محمد) الذي أمرنا بالدعاء له بذلك ، مع كونه محفوفا بالخيور المفاضة عليه من حضرة القدس ، إما لأن رحماته تعالى تعالت على الحصر والتناهي ، فما من جملة من الرحمات وإن جلت إلا وفوقها جملة أخرى وهلم جرا ، وبرهان التطبيق لا يجري فيها كما لا يجري في مقدوراته تعالى ، وإما لأن المراد بتلك الرحمة إبقاء شريعته وإعلاء ذكره ، حتى يأتي أمر الله في الدنيا ، ورفعه في المقام المحمود والشفاعة الكبرى في الآخرة ، وهما وإن كانا موعدا

---

(١) الآثار الفكرية، ص/١٧٦

(٢) وجوب تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شيء من أحوالنا، ١٢٣/٣

بهما ، والله تعالى لا يخلف الميعاد ، لكن الثاني غير حاصل بالفعل ، والأول إنما يتم ويظهر كماله عند إتيان أمر الله تعالى ، فطلب ذلك لا يكون طلب حصول ما هو حاصل ، (و) على أقاربه المؤمنين من بني هاشم وهم (آله) ، والاسم مأخوذ من أهل ، بدليل أهيل وأهلين ، وزاد على أصله بتخصيص استعماله بالأشراف ، (و) على الذين رأوه ورآهم ، مؤمنين بما جاء به ، وفارقوا الدنيا على ذلك ، وهم (صحبه و) على من جاهدوا معه في سبيل الله ، وهم (جنده) . والمفاهيم الثلاثة متصادقة كما لا يخفى على من له قدم صدق ، (وسلما) عليه وعليهم أجمعين ، (ما دام فرع) من الأجسام النامية ، نباتا كان أو حيوانيا (من أصوله) نشأ و (نما) ، والنماء في الأصل : عبارة عن تزايد أقطار الجسم بنسبة تقتضيها طبيعته إلى غاية النشوء ، ثم سمي حصول جسم من آخر أيضا بذلك ، ومن الأخير قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تمثلوا بنامية الله أي لا تشبهوا بمخلوقه » ، ولا يخفى ما في هذا الشطر من **براعة الاستهلال** . (وبعد) ما مر وحلا (فالذي جرى به القلم) من جيد تحبيرات ليقت سلاسة
[١/٥]." (١)

"قلت: وأورد الرازي في "تفسيره" "١/ ١٥٠-١٥١"، والنيسابوري في "غرائبه" "١/ ١١٩-١٢٠" نصين فيهما نحو ما ذكر المصنف، انظر مناقشتهما في "**براعة الاستهلال** في فواتح القصائد والسور" "ص١١٧ وما بعدها"، وتجد تفسيرا لهذه الحروف بما لا عهد للسلف به في كتب الصوفية، مثل: "شمس المعارف الكبرى"، و"خزينة الأسرار الكبرى" "ص١٠٨ وما بعدها" وكذا في "رسائل إخوان الصفا" "٤/ ١٩١"، وكذا في الرسالة النيروزية" "ص٩٢" لابن سينا، وابن أبي الأصبع في كتابه: "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح" وهو مطبوع، وكذا في كتب المستشرقين، انظر ما نقله زكي مبارك عن أستاذه بلانشو في "النثر الفني في القرن الرابع" "١/ ٤٠"، وانظر ما سيأتي "٣/ ٣٢٦" مع تعليقنا عليه.." (٢)

"ص -٢٣٥-...فصل:

وقد وقعت في القرآن تفاسير مشكلة يمكن أن تكون من هذا القبيل، أو من قبيل الباطن الصحيح، وهي منسوبة لأناس من أهل العلم، وربما نسب منها إلى السلف الصالح.

فمن ذلك فواتح السور١ نحو ﴿الم﴾، و﴿المص﴾، و﴿حم﴾، ونحوها فسرت بأشياء، منها ما يظهر جريانه على مفهوم صحيح، ومنها ما ليس كذلك، فينقلون عن ابن عباس٢ في ﴿الم﴾ أن "ألف" الله،

---

(١) نظم وشرح مختصر المنار لطه أفندي، ص/٤

(٢) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ١٦١/٣٦

و"لام" جبريل، و"ميم" محمد، صلى الله عليه وسلم.

وهذا إن صح في النقل؛ فمشكل لأن هذا النمط من التصرف لم يثبت

---

١ تجد كلاما محققا جيدا حولها في "قانون التأويل" "٢٠٨ وما بعدها"، و"معرفة قانون التأويل" "ق ٢٧/ أ" -حيث أورد فيه اثني عشر قولا لعلماء التفسير وسبعة أقوال للصوفية- كلاهما لابن العربي، و"تفسير الطبري" "١/ ٦٧-٧٤"، و"تأويل مشكل القرآن" "٢٩٩" لابن قتيبة، و"العقل وفهم القرآن" "٣٢٩" للمحاسبي، و"بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم" "١/ ٢٥٩-٢٦٤"، و"بدائع الفوائد" "٣/ ٤٥-٤٧"، و"الكشاف" "١/ ١٢-١٩"، و"البحر المحيط" "١/ ٣٤" لابن حيان، و"تفسير الرازي" "٢/ ٣-١٣"، و"تفسير القرطبي" "١/ ١٥٤"، و"البرهان" "١/ ٢١٤-٢١٦"، و"معترك الأقران" "١/ ١٥٦"، و"الإتقان" "٢/ ١١ وما بعدها"، و"مجموع فتاوى ابن تيمية" "١٧/ ٣٩٨"، و"الإعجاز البياني للقرآن" "١٣٦" لبنت الشاطئ، و"براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور" "ص٩٩-٣٠٢"، وفيه جمع واسع لما قيل في معاني الحروف المذكورة في أوائل السور.

٢ حكاه أبو الليث في "بحر العلوم" "١/ ٨٩"، وغيره ولم ينسبوه لابن عباس، وقال المناوي في "الفتح السماوي" "١/ ١٢٦": "هذا لا يعرف عن ابن عباس ولا غيره من السلف"، وتابعه ابن همات في "تحفة الراوي" "ق ٨/ ب"، وورد عنه أقوال كثيرة كما تراه في "الدر المنثور" "١/ ٥٥-٥٩".

وفي "ط": "في "الم"، وفي غيره: "أن الم"، قال "ف": "إن "الم": لعله في "الم".." [(١)]

"ص -٢٣٦-...في كلام العرب هكذا مطلقا، وإنما أتى مثله إذا دل عليه الدليل اللفظي أو الحالي؛ كما قال:

قلت لها قفي فقالت قاف١

وقال:

---

١ هذا أول رجز للوليد بن عقبة، وسبب قوله أنه لما شهد عليه عند عثمان بن عفان بشرب الخمر؛ كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدي بن حاتم، فنزل الوليد يوما يسوق بهم؛ فقال يرتجز:

---

(١) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ٣٢٣/٤٠

قلت لها قفي فقالت قاف...لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف

والنشوات من عتيق أوصاف...وعزف قينات علينا غراف

فقال له: "إلى أين تذهب بنا؟ أقم".

كذا في "الأغاني" "٥/ ١٨١"، و"شرح شواهد الشافية" "ص٢٧١"، وفي "تأويل مشكل القرآن" "٣٠٩": "وأنشد الفراء وذكره"، وهو في "الصاحبي" "٩٤"، و"تفسير ابن جرير" "١/ ٢١٢، تحقيق شاكر"، و"الوسيط" "١/ ٧٦" للواحدي، و"المحرر الوجيز" "١/ ٨٢-٨٣"، و"تفسير ابن كثير" "١/ ٣٩"، و"مجمع البيان" "١/ ٣٤"، و"البحر المحيط" "١/ ٣٥"، و"العمدة" "١/ ٢٨٠"، و"بحر العلوم" "١/ ٨٧"، و"قانون التأويل" "٢١٦"، و"البرهان" "٣/ ١١٧" للزركشي، و"الإتقان" "٢/ ١٢"، و"براعة الاستهلال" "١٩٧"، وفي بعضها غير منسوب.

وأورده ابن جني في "الخصائص" "١/ ٣١، ٨١، ٢٤٧"، ونقل عنه ابن منظور في "اللسان" "٩/ ٣٥٩، مادة وقف" قوله: "ولو نقل هذا الشاعر إلينا شيئا من جملة الحال؛ فقال مع قوله: "قالت: قاف": وأمسكت زمام بعيرها أو عاجته إلينا؛ لكان أبين لما كانوا عليه وأدل، على أنها أرادت قفي لنا قفي لنا، أي: تقول لي قفي لنا متعجبة منه، وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم من قولها قاف إجابة له لا رد لقوله، وتعجب منه في قوله: "قفي لنا"".

قال: "ف": "أي: ذكرت حرفا في حروف قفي وهو القاف، والظاهر أن القصد بذكره امتثال الأمر بقرينة سابقة، وكذا قوله "فا" بمعنى فأنا أقول لك، وقول "تا"؛ أي: تفعل فإن فعلته أقابل ا\ل شر بمثله ويشبه أن يكون ذلك من النحت".." (١)

"ص -٢٣٧-...قالوا جميعا كلهم بلافا١

وقال:

ولا أريد الشر إلا أن تا٢

والقول في ﴿الم﴾ ليس٣ هكذا، وأيضا، فلا دليل من خارج يدل عليه؛ إذ لو كان له دليل لاقتضت٤ العادة نقله لأنه من المسائل التي تتوفر الدواعي على نقلها لو صح أنه مما يفسر ويقصد تفهيم معناه، ولما لم يثبت شيء من ذلك؛ دل على أنه من قبيل المتشابهات، فإن ثبت له دليل يدل عليه صير إليه.

وقد ذهب فريق إلى أن المراد الإشارة إلى حروف الهجاء، وأن القرآن منزل بجنس هذه الحروف وهي

---

(١) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ٣٢٤/٤٠

العربية، وهو أقرب من الأول، كما أنه نقل أن هذه الفواتح أسرار لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو أظهر الأقوال؛ فهي من قبيل

---

١ في "م": "بلى؛ فلا"، وأورده السيوطي في "الإتقان" "٢/ ١٢"، وأوله:

"ناداهم ألا الحموا ألا نا...قالوا جميعا كلهم ألا فا"

وقال: "أراد: ألا تركبون ألا فاركبوا".

٢ الراجز هو لقيم بن أوس، وأوله: "بالخير خيرات وإن شرا فا"؛ كما في "الكامل" "٢٣٦"، و"شرح شواهد الشافية" "٢٦٢"، و"الهمع" "٢/ ٢١٠، ٢٣٦"، و"اللسان" "مادة تا"، و"المحرر الوجيز" "١/ ٨٣"، وعزاه إلى زهير بن أبي سلمى، و"تفسير ابن كثير" "١/ ٣٩"، و"الكتاب" "٣/ ٣٢١"، لسيبويه، و"الإتقان" "٢/ ١٢"، و"شرح أبيات سيبويه" "٢/ ٢٧٧" لابن السيرافي، و"تفسير ابن جرير" "١/ ٧٠"، و"براعة الاستهلال" "١٩٧"، قال سيبويه في "الكتاب" "٣/ ٣٢١": "يريد: إن شرا فشر، ولا يريد الشر إلا أن تشاء".

٣ الأمثلة الثلاثة أدلتها من اللفظ، وليس في "الم" ما يدل على هذا التفسير من اللفظ، وقوله: "وأيضا"؛ أي: ولا قرينة خارجة عن اللفظ أيضا، وهو ما سماه بالدليل الحالي أي: غير المقالي، وقوله: "لو صح... إلخ" تأكيد لأضعاف هذا المعنى؛ فإن الراجح أن أوائل السور من المتشابه الذي اختص الله بعلمه. "د".

٤ في "ط": "لاقتضاء".." [1]

"مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر بدائع مصنوعاته على أحسن نظام، وخص من بينها من شاء بمزيد الطول والإنعام، ووفقه وهداه إلى دين الإسلام، وأرشده إلى طريق معرفة الاستنباط لقواعد الأحكام، لمباشرة الحلال وتجنب الحرام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المفضل على جميع الأنام، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الغر الكرام.

وبعد، فهذا شرح لمختصري المسمى بـ (لب الأصول) الذي اختصرت فيه جمع الجوامع يبين حقائقه، ويوضح دقائقه، ويذلل من اللفظ صعابه، ويكشف عن وجه المعاني نقابه، سالكا فيه غالبا عبارة شيخنا

---

(١) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا موافقا للمطبوع، ٣٢٥/٤٠

العلامة، المحقق الفهامة الجلال المحلي لسلاستها وحسن تأليفها، وروما لحصول بركة مؤلفها، وسميته «غاية الوصول إلى شرح لب الأصول». والله أسأل أن ينفع به وهو حسبي ونعم الوكيل.

(بسم الله الرحمن الرحيم) أي أؤلف أو أبتدىء تأليفي، والباء للمصاحبة ليكون ابتداء التأليف مصاحبا لاسم الله تعالى المتبرك بذكره، وقيل للاستعانة نحو كتبت بالقلم، والاسم من السمو وهو العلو. وقيل من الوسم وهو العلامة، والله علم للذات الواجب الوجود المستحق لجميع الصفات الجميلة، والرحمن الرحيم صفتان بنيتا للمبالغة من رحم، والرحمن أبلغ من الرحيم، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع.

(الحمد لله الذي وفقنا) أي خلق فينا قدرة. (للوصول إلى معرفة الأصول) فيه **براعة الاستهلال**، والحمد لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التبجيل والتعظيم، وعرفا فعل ينبىء عن تعظيم المنعم من حيث إنه منعم على الحامد أو غيره، وابتدأت بالبسملة والحمدلة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بخبر أبي داود وغيره «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم» وفي رواية «بالحمد لله فهو أجذم» أي مقطوع البركة، وقدمت البسملة عملا بالكتاب والإجماع، والحمد مختص بالله، كما أفادته الجملة سواء جعلت أل فيه للاستغراق أم للجنس أم للعهد، كما بينت ذلك في شرح البهجة وغيره. (ويسر لنا سلوك) أي دخول. (مناهج) جمع منهج أي طرق حسنة. (بـ) سبب (قوة أودعها في العقول) جمع عقل وهو غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات، وقد بسطت الكلام عليه في شرح لآداب البحث. (والصلاة) وهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار، ومن الآدمي تضرع ودعاء. (والسلام) بمعنى التسليم. (على محمد) نبينا، ومحمد علم منقول من اسم مفعول المضعف تسمى به نبينا بإلهام من الله تعالى تفاؤلا بأنه يكثر حمد الخلق له لكثرة صفاته الجميلة. (وآله) هم مؤمنوا بني هاشم وبني المطلب. (وصحبه) هو عند سيبويه إسم جمع لصحابة بمعنى الصحابي، وهو كما سيأتي من اجتمع مؤمنا بنبينا صلى الله عليه وسلم، وعطف الصحب على الآل الشامل لبعضهم لتشمل الصلاة والسلام باقيهم، وجملتا الحمد والصلاة والسلام على من ذكر خبريتان لفظا إنشائيتان معنى، إذ القصد بالأولى الثناء على الله بأنه مالك لجميع الحمد من الخلق، وبالثانية إيجاد الصلاة والسلام لا الاعلام بذلك، وإن كان هو القصد بهما في الأصل. (الفائزين) أي الناجين والظافرين (من الله) متعلق بقولي (بالقبول) قدم عليه هنا وفيما يأتي رعاية للسجع،

ويجوز تعلقه بما قبله.

---." (١)

"والمقصود من البيت: انتهاء زوال الحجاب عن عقولهم لظهور شمس المعارف التي كانت مستترة لدقتها. وفي البيت سؤالان:

الأول: أن البيت الأول يغني عنه البيت الثاني، فكان الأولى بعد أن وقع منه ذكره أن يذكر الأول بجنبه؟ أو يذكره بجنب الثالث لكون كل منهما مسببا عن إزالة الحجب؟

والجواب عن الأول: أن النتائج في البيت الأول أعم من أن تكون بعيدة مستورة بسبب دقتها أولا. وما في البيت الثاني خاص بالمستورة البعيدة فلم يغن البيت الأول عنه.

وعن الثاني: بأنه قدم البيت الأول حرصا على **براعة الاستهلال**، فلم يتأت جعله بجنب البيت الثالث، واضطر إلى تأخير الثالث لكونه غاية لما قبله، فلم يتأت جعله بجنب الأول.

ثم قال:

(نحمده جل على الإنعام * نعمة الإيمان والإسلام

من خصنا بخير من قد أرسلا * وخير من حاز المقامات العلا

محمد سيد كل مقتفى * العربي الهاشمي المصطفى

صلى عليه الله ما دام الحجا * يخوض من بحر المعاني لججا

وآله وصحبه ذوي الهدى * من شبهوا بأنجم في الاهتدا)

---

(١) غاية الوصول في شرح لب الأصول، ص/٢

أقول: حمد المولى سبحانه وتعالى حمدا مطلقا أولا، وحمده حمدا مقيدا ثانيا، ليحصل له الثوابان: المندوب على الحمد الأول، والواجب على الحمد الثاني، وليكون شاكرا ربه على إلهامه للحمد الأول. لأنه إلهامه إياه نعمة تحتاج إلى الشكر عليها.

وقوله (جل) بمعنى عظم. والإنعام: هو إعطاء النعمة، والإيمان: تصديق القلب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الأحكام. والإسلام: هو الأفعال الظاهرة كالصلاة والصوم، لكنهما متلازمان شرعا.

ومعنى البيت: نثني عليه سبحانه وتعالى لأجل إنعامه علينا بهاتين النعمتين اللتين بهما إنقاذ المهجة من النار. وفي البيت سؤالان:

الأول: لم حمد أولا بالجملة الاسمية وهنا بالجملة الفعلية؟ الثاني: لم حمد على الإنعام الذي هو الوصف ولم يحمد على النعمة؟." (١)

"قوله : (لا شريك له) : تأكيد لنفي ألوهية من سوى الله عز وجل.

قوله : (وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) :

أشهد : أقر موقنا بقلبي ناطقا بلساني أن محمدا عبده ورسوله ، وقد فسر الشيخ محمد بن عبدالوهاب : شهادة أن محمدا رسول الله : طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر .

قوله : (الذي بين الحكم والأحكام ، ووضح الحلال والحرام ، وأصل الأصول وفصلها حتى استتم هذا الدين واستقام) .

هذا الكلام من المؤلف رحمه الله يسميه المؤلفون **ببراعة الاستهلال** وذلك أن يضمن المؤلف خطبة كتابه بما يدل على مراده بالتأفيف ، وهنا يفهم من خطبة المؤلف رحمه الله أنه سيكتب في الأصول ... وقواعد الحلال والحرام .. وقواعد الأحكام وهو ما ذكره في هذه الرسالة ..

قوله : (اللهم صلي وسلم على محمد) .

(الصلاة) اختلف العلماء رحمهم الله في تعريفها ، وأحسن ما يقال في تعريفها ما نقله البخاري رحمه الله عن أبي العالية : أن الصلاة من الله عز وجل ثناؤه على عبده في الملك الأعلى عند الملائكة المقربين

---

(١) شرح الدمنهوري على السلم، ص/٣

.

(وسلم) : دعاء بالسلامة للنبي – صلى الله عليه وسلم – ، في حال حياته بسلامة بدنه وشرعه، وبعد مماته بسلامة شرعه وسنته من تأويل الغالين وتحريف المبطلين ، وأيضا : تدعو له بالسلامة من أهوال يوم القيامة فإنه ما من نبي إلا ويجفوا على ركبتيه يوم القيامة يقول : (اللهم سلم سلم) .

وإذا اجتمعت الصلاة والسلام يكون معناها : الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب ، بالسلامة تحصل النجاة من المرهوب ، وبالصلاة يحصل الفوز بالمطلوب.

وقوله : (وعلى آله وأصحابه وأتباعه) :." [1]

"وقوله: تطلب للرقة إلى آخره، معناه لما اتصلت بالجسم صارت أسيرة في وثاقه فهي تطلب تحريرها وفكها من قيود استرقاقه، وقوله: فإن خلت إلى آخره الضمير للنفس على جعلها كالكلمات المنقشة على صفحات الأوراق وهو اصطلاح متعارف بين أول الأذواق.

قال السيد الشريف في تعريفاته: إنها سميت الأعيان كلمات تشبيها بالكلمات اللفظية الواقعة على النفس الإنساني بحسب الخارج، وأيضا كما تدل الكلمات على المعاني العقلية، كذلك تدل أعيان الموجودات على موجدها وأسمائه وصفاته وجميع كمالاته الثابتة له بحسب ذاته ومراتبه، وأيا كل منها موجود بكلمة كن، فإطلاق الكلمة عليها إطلاق إسم السبب على المسبب انتهى.

وقد يعبر عن الحقائق البسيطة بالحروف أيضا عند مشايخ الصوفية، وجعلها بعض متكلميهم ثمانية أنواع، فقال: اعلم أن الحروف على ثمانية أطوار، حروف حقيقية وهي أعيان الأسماء والصفات، قلت وهي التي ذكرها صاحب التعريفات وحروف عاليات وهي ذوات معلومات العلم الإلهي المعبر عنها بالأعيان الثابتات بالعلم الإلهي، قلت وهي التي أشار إليها بعضهم بقوله:

كنا حروف عاليات لم نقل ... متعلقات في ذرا أعلا القلل

وحروف روحية وهي الأرواح النورية التي أخبر الله بها هذا الوجود كما أظهر الكلمات بالحروف الملفوظة، وحروف صورية، وهي جوانح هذا العلم العلوي وجوارح الإنسان بالحكم الجزئي، وحروف معنوية وهي حركات الأشياء وسكناتها، ينشا منها حروف تتركب من تلك الحروف كلمات مناسبة لحال ذلك المتحرك كالإنسان في حال قيامه، يتركب منه صورة ألف وفي حال منامه صورة الباء، إلى غير ذلك حتى أنه يتصرف صاحب هذا العلم بحركات جسمية كما يتصرف بالحروف إن كان عارفا بكيفية التصرف بها، وحروف

---

(١) شرح رسالة ابن سعدي في الأصول، ص/٣

حسية، وهي ما شوهد رقما وكتابة، وحروف لفظية وهي تتشكل في الهوى من قرع الريح الخارجة من الحلق على مخارج الحروف

فللنسيم معها اتصال ... ليس لها عن روضها انفصال

قد عرفت مما ذكر آنفا إشارة الناظم قدس سره في صدر السؤال إلى المقصود منه في ظن **براعة الاستهلال**، وإن كان ظاهر السياق في تعديد أوصاف الهدية إلى قوله: ما إسم سمي إلى آخره ونحن نمشي على طريقة توضيح المعنى المقصود من النظم فنقول: الفاء في قوله فللنسيم، للتفريع على السابق من قوله: فقد سرت إلى آخره، يعني لما شابهت النسيم في سرعة مسراها كان لها بها اتصال ومناسبة حال تعلقها بالبدن، كما يقود إليه المعنى، وذلك أن النفس التي يعبر عنها بالروح الحيواني من لازمه التنفس وهو استنشاق الهواء إلى الجوف بواسطة الرئة الممدة للقلب بالترويح، ومنه الحديث (لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن) يريد أنها تفرج الكرب وتشيء السحاب، وتنشر الغيث، وتذهب الجدب، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن)قال في النهاية: عنى به الأنصار لأن الله نفس بهم الكرب عن المؤمنين وهم ثمانون لأنهم من الأزد وهو مستعار من نفس الهوى الذي يرده التنفس إلى الجوف فيبرده من حرارته أو يعدله أو من نفس الريح الذي نتنسمه فيتروح إليه أو من الروضة وهو طيب روائحها فينقرج به عنه انتهى.

وأيضا فالروح والروح مرجعهما في (الاشتقاق) إلى مادة قال في القاموس: الروح بالضم ما به حياة الأنفس وبالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح جمعه أرواح وأرياح ورياح.

وهاهنا أمر ينبغي معرفته وهو أنه سبق لك مرارا أن المراد من الأبيات النفس الناطقة، ولكن الناظم قدس سره نزل الوصف تارة على الروح الإنسانية وأخرى على الروح الحيوانية كما في هذا البيت ولا حرج في ذلك بعد فهم المراد إذ مرجعهما جملة الإنسان:

كم مرة قد استمدت عرفها ... وخلفت زهر الرياض خلفها

يعني أن النسيم لما بينها وبين النفس من المناسبة والاتصال حتى صار سببا لبقائها في البدن باستنشاقها لم تزل تحمل إلى أهل الذوق والمحبة من أسرارها أطايب التحف، ونفائس الطرف، فهي تستمد من عرفها العبق مجاوزة زهر الرياض، وإن كان ذا منظر أنق. وقد أكثر الشعراء من وصف الريح بترويح المشوق

وتنفيسها عل كل قلب بالجوا مطروق كقوله:

أيا جبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها." (١)

"مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

قال العبد الفقير إلى ربه، المستغفر من ذنبه، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن أبي الإصبع عفا الله عنه: الحمد لله حمدا يستعذب الحامد مساغه، وصلى الله على من كانت أعظم آياته البلاغة وعلى آله وصحبه مازان حلى الكلام من صيغ له ومن صاغه.

وبعد، فإني رأيت ألقاب محاسن الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت إلى عدد منه أصول وفروع: فأصوله، ما أشار إليها ابن المعتز في بديعه وقدامة في نقده، لأنهما أول من عني بتأليف ذلك.

أما ابن المعتز فهو الذي سماه البديع، واقتصر في كتابه بهذه التسمية على خمسة أبواب، وهي: الاستعارة منفردا بها،، على أن قدامة ذكر الاستعارة ولم يبوب عنها في المحاسن، وإنما جاء بها في ذكر المعاظلة من العيوب، وزعم أن المعاظلة ما استبشع من الاستعارة،، فاقتضى كلامه أن من الاستعارة قبيحا وحسنا، فحسنها من المحاسن، وقبيحها من العيوب، ولم يذكرها في المحاسن، وابن المعتز ذكرها والتجنيس، والطباق متواردا عن قدامة عليهما، ورد الأعجاز على الصدور منفردا به، وختما بخامس عزا تسميته إلى الجاحظ، وهو المذهب الكلامي منفردا به، وإن كان ما قبله من الأسماء الأربعة قد سبقت العرب إلى وضعها، وربما سبق ابن المعتز إلى نقلها وعدها.

وقال ابن المعتز في صدر كتابه: وما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين وأول من نسخه مني علي بن يحيى بن منصور المنجم، ثم قال بعد سياقه الأبواب الخمسة: ونحن الآن نذكر محاسن الكلام والشعر وإن كانت محاسنهما كثيرة لا ينبغي للعاقل العالم أن يدعي الإحاطة بها حتى يتبرأ من شرود بعضها عن علمه، وأحببنا بذلك أن نكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر فيه أنا قد اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارا من غير جهل بالطريقة، ولا ضيق في المعرفة، فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر على تلك الخمسة بالبديع فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع وارتأى غير رأينا فله اختياره، وهذا حين ذكر الماسن ثم ذكر الالتفات، وقد توارد عليه

(١) تحفة المشتاق إلى شرح أبيات المولى اسحق، ص/١٣

هو وقدامة، وذكر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمه في بيت واحد أو جملة واحدة، وهذا الباب سماه قدامة التمام وسماه الحاتمي في الحلية التتميم. وهو مما توارد عليه قدامة، وابن المعتز، ثم ذكر من المحاسن الخروج من معنى إلى معنى، وهو الذي سماه الحاتمي الاستطراد، ناقلا تسميته لا مخترعا وهو من أفراد ابن المعتز، ثم ذكر تأكيد المدح بما يشبه الذم منفردا به وذكر تجاهل العارف، وهو الذي سماه المتأخرون الإعنات والتشكيك وهذه التسمية غير مطابقة من كل وجه، والتشكيك باب مفرد بينه وبين تجاهل العارف فرق سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى، وهو من إفراد ابن المعتز، ثم ذكر الهزل الذي يراد به الجد منفردا به، وذكر حسن التضمين منفردا به، وذكر الكناية منفردا بها، وذكر الإفراط في الصفة متواردا عليها مع قدامة، وسماها قدامة المبالغة، وذكر التشبيه متواردا هو وقدامة عليه، وذكر عتاب المرء نفسه منفردا به، وذكر حسن الابتداءات، منفردا به، وسماه من بعده **براعة الاستهلال** على اختلاف في شواهده، فهذه اثنا عشر بابا من المحاسن تضاف إلى أبواب البديع الخمسة فيصير بها ما اخترع ابن المعتز جميعه من ذلك سبعة عشر بابا.." (١)

"ومن التشبيه نوعان آخران أحدهما تكون أدواته أفعال الظن واليقين كقولك: حسبت زيدا في جرأته الأسد، وعمرا في جوده الغمام والجارية في حسنها القمر، فحاصل ذلك تشبيه الجرئ بالأسد، والجواد بالغمام، والجارية بالقمر، ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى: " وتحسبهم أيقاظا وهم رقود " حاصل ذلك تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بحال الأيقاظ، ومن ذلك في الشعر قول شاعر الحماسة طويل:

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة.

وذلك أنه لما كانت الشحمة بيضاء شبهوا كل بيضاء بها، وأخرج ذلك مخرج المثل.

والنوع الآخر من التشبيه هو الذي يسمى تشبيه التوليد والتمثيل كقول الكميت بسيط

أحلامكم لسقام الجهل شافية ... كما دماؤكم يشفي بها الكلب

باب عتاب المرء نفسه

وهو من إفراد ابن المعتز، ولم ينشد فيه سوى بيتين ذكر أن الآمدى أنشدهما له عن الجاحظ طويل:

عصاني قومي في الرشاد الذي به ... أمرت ومن يعص المجرب يندم

فصبرا◦ بني بكر على الموت إنني ... أرى عارضا ينهل بالموت والدم

وما أرى في هذين البيتين من عتاب المرء نفسه إلا ما يتحيل به لمعناهما، فيقدر أن هذا الشاعر لما أمر

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/١

بالرشد وبذل النصح ولم يطع ندم على بذل النصيحة لغير أهلها، وملزوم ذلك عتابه لنفسه فيكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزام لا دلالة مطابقة ولا تضمين.

ومثل هذين البيتين قول دريد بن الصمة طويل:

نصحت لعراض وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شهدى

وقلت لهم: ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارسي المسرد

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى ... غوايتهم وأنني غير مهتد

وما أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ولا يصلح أن يكون شاهد هذا الباب إلا قول شاعر الحماسة طويل:

أقول لنفسي في الخلاء ألومها ... لك الويل ما هذا التجلد والصبر

وكقول ابن ال سليماني من شعراء الحماسة طويل:

لعمرك إني يوم سلع للائم ... لنفسي ولكن ما يرد التلوم

أأمكنت من نفسي عدوى ضلة ... ألهفي على ما فات لو كنت أعلم

وقد جاء من هذا الباب في كتاب الله قوله سبحانه وتعالى: " يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله " والله أعلم.

باب حسن الابتداءات

هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية **براعة الاستهلال**، وخصوا بها ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله ولقد وقع في أثناء القصيدة.

وقد روى أن أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قصيدة قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي، حيث يقول خفيف:

هل إلى أن تنام عيني سبيل ... إن عهدي بالنوم عهد طويل

ومن إنشادات ابن المعتز في هذا الباب قول النابغة الذبياني طويل:

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ولعمري لقد أحسن ابن المعتز الاختيار، فإني أظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس في معلقته حيث قال طويل:

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فرأى أن ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معاني ابتداءاته متفاوت القسمين جدا، لأن صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك، وكثرة المعاني بالنسبة إلى العجز ما لم يجمع العجز، فإن ألفاظ العجز غريبة بالنسبة إلى ألفاظ الصدر، والعجز أقل معان من الصدر بخلاف بيت النابغة، فإنه لا تفاوت بين قسميه البتة، فبيت امرئ القيس وإن كان أكثر معان من بيت النابغة، فبيت النابغة أفضل، من جهة ملاءمة ألفاظه، ومساواة قسمية، ومثل بيت النابغة قول زهير طويل:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرى أفراس الصبا ورواحله

فإن قسمي هذا البيت متلائمان، فإن لفظ كل واحد منهما متوسط بين الغرابة والابتذال، وفي كل قسم منهما استعارتان، فقد تساويا في اللفظ والمعنى كبيت النابغة، وهذا من قول امرئ القيس طويل:." (١)

"خليلي مرا بي على أم جندب ... نقضي لبانات الفؤاد المعذب

وإنما عظم ابتداء معلقة امرئ القيس في النفوس الاقتصار على سماع صدر البيت، فإنه يشغل الفكر بحسنه عن النظر في ملاءمة عجزه أو عدم ملاءمته، وهو الذي قيل عند سماعه للمنشد: حسبك، فإن قائل هذا الكلام أشعر الناس، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت ولم يستنشد العجز منه شغلا بحسن الصدر عنه، وإذا تأمل الناظر في نقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين، فعلم جملة أن الابتداء غير موصوف بحسن الابتداء، إذ حسن الابتداء عبارة عن ملاءمة القسمين.

ومن جيد ابتداءات المولدين قول أبي نواس وهو في غاية الحسن طويل:

خليلي هذا موقف من متيم ... فعوجا قليلا وانظراه يسلم

وقوله طويل:

لمن دمن تزداد حسن رسوم ... على طول ما أقوت وطيب نسيم

ومن إنشادات ابن المعتز لأبي تمام بسيط

يا بعد غاية دمع العين إذ بعدوا ... هي الصبابة طول الدهر والكمد

وإذا وصلت إلى قول البحتري طويل:

بودي لو يهوى العذول ويعشق ... ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

وصلت إلى الغاية التي لا تدرك، وما سمع أشد مباينة كبيت جميل وهو قوله: طويل

ألا أيها النوام ويحكم هبوا ... أسائلكم ل يقتل الرجل الحب؟

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/٢١

وهذا البيت الذي قال فيه الرشيد إما للمفضل الضبي أو غيره: هل تعرف بيتا نصفه بدوي في، شمله وباقيه مخنث في بذلة فأنشده البيت فاستحسن ذكره.

ولقد أحسن أبو الطيب ما شاء في قوله خفيف:

تراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي

لو لم يكدر صفوه ويقبح حسنه بقوله:

كيف ترثي التي برى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي

وأكثر ابتداءات أبي العلاء المعري تأتي على سنن الصواب، كقوله: بسيط

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر ... لعل بالجزع أعوانا على السهر

وكقوله طويل:

طربن لضوء البارق المتعالي ... ببغداد وهنا ما لهن ومالي

وقوله طويل:

مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال ... وفي النوم مغنى من خيالك محلال

وكقوله خفيف:

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شاد

فهذه أمثلة ابتداءات القصائد.

وأما أمثلة **براعة الاستهلال** فمنها قول محمد بن الخياط طويل:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدت وأعداني فأنفدت ما عندي

ولقد أحسن البحتري اتباعه في هذا المعنى حيث قال كامل:

أعدت يداه يدي وشرد جوده ... بخلي فأفقرني كما أغناني

ووثقت بالخلق الجميل معجلا ... منه فأعطيت الذي أعطاني

وإذا نظرت إلى فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه، ومن أراد الوقوف على ذلك فليقف على كتابي المنعوت بالخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح والله أعلم.

باب صحة الأقسام

وهذا أول أبواب قدامة وصحة الأقسام عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئا، ومثال ذلك قوله تعلى: " هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا " وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين.

ومن لطيف ما وقع في هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع، إذ كانت الصواعق تقع من أول برقة، ولا يحصل المطر إلا بعد توافر البرقات، فإن تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة وتنتجع، فلا تخطئ الغيث والكلأ، والى هذا أشار المتنبي بقوله وافر:

وقد أرد المياه بغير هاد ... سوى عدي لها برق الغمام." [1]

" في حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال**

حسن الابتداء عند المتقدمين

(لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم ... براعة تستهل الدمع في العلم)

اعلم أنه اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها وأن لا يتجافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقة وأن يكون التشبيب بنسيبها مرقصا عند السماع وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطلعها مع اجتناب الحشو ليس له تعلق بما بعده

وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه بحيث لا يكون شطره الأول أجنبيا من شطره الثاني

وقد سمى ابن المعتز **براعة الاستهلال** حسن الابتداء وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وإن أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء وأورد في هذا الباب قول النابغة

(كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب)

قال زكي الدين بن أبي الأصبع لعمري لقد أحسن ابن المعتز الاختيار فإني أظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس حيث قال

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل) ." [2]

" (لك أن تشوقني إلى الأوطان ... وعلي أن أبكي بدمع قان)

والآراء على هذا النوع تستحسن هنا مطلع ناصر الدين بن النقيب فإنه أعدل شاهد مقبول والتشبيب بنفسه الطيب يغني في هذه الحضرة عن الموصول وهو

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/٢٢

(٢) خزانة الأدب، ١/١٩

(قلدت يوم البين جيد مودعي ... دررا نظمت عقودها من أدمعي)

وبالنسبة إلى حسن الابتداءات مطلع الشيخ برهان الدين القيراطي مع حسنه وبهجته فيه نقص وهو

(قسما بروضة خدها ونباتها ... وبآسها المخضل في جنباتها)

فإنه لم يأت بجواب القسم ولا ما يحسن السكوت على مطلعه ولا تتم الفائدة إلا به

ومشايخ البديع قرروا أن لا يكون المطلع متعلقا بما بعده في حسن الابتداء

وقد آن أن أحبس عنان القلم فإن الشرح قد طال ولم أطله إلا ليزداد الطالب إيضاحا ويداوي علل فهمه بحكم المتقدمين ويتنزه في رياض الأدب على النبات الغض من نظم المتأخرين

براعة الاستهلال في النظم

انتهى ما أوردته في حسن الابتداء وقد فرع المتأخرون منه **براعة الاستهلال** في النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء فإنهم شرطوا في **براعة الاستهلال** أن يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة أو مدح أو هجو وكذلك في النثر فإذا جمع الناظم بين حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال** كان من فرسان هذا الميدان وإن لم يحصل له **براعة الاستهلال** فليجتهد في سلوك ما يقوله في حسن الابتداء

وما سمي هذا النوع **براعة الاستهلال** إلا لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به ورفع الصوت في اللغة هو الاستهلال يقال استهل المولود صارخا إذا رفع صوته عند الولادة

وأهل الحجيج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وسمي الهلال هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته

ومما وقع من براعات الاستهلال التي ." (١)

" تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيده براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمني حيث قال

(إذا لم يسالمك الزمان فحارب ... وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب)

فإشارات العتب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة ويفهم منها أن بقية القصيدة تعرب عن ذلك فإن زكي الدين بن أبي الإصبع قال **براعة الاستهلال** هي ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وهذه القصيدة في حكمها وتحشمها وتسيير أمثالها نهاية والموجب لنظمها على هذا النمط أنه

---

(١) خزانة الأدب، ١/٣٠

كان بينه وبين الكامل بن شارر صحبة أكيدة قبل وزارة أبيه فلما وزر استحال عليه فكتب إليه هذه القصيدة التي من جملتها

(ولا تحتقر كيدا صغيرا فربما ... تموت الأفاعي من سموم العقارب)

ومنها

(إذا كان رأس المال عمرك فاحترز ... عليه من الإنفاق في غير واجب)

(فبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر علينا جيشه بالعجائب)

ومنها

(وما راعني غدر الشباب لأنني ... ألفت لهذا الخلق من كل صاحب)

ومنها

(إذا كان هذا الدر معدنه فمي ... فصونوه عن تقبيل راحة واهب)

(رأيت رجالا حالهم في مآدب ... لديكم وحالي عندكم في نوادب)

(تأخرت لما قدمتكم علاكم ... علي وتأبى الأسد سبق الثعالب)

(ترى أين كانوا في مواطني التي ... غدوت لكم فيهن أكرم خاطب)

(ليالي أتلو ذكركم في مجالس ... حديث الورى فيها بغمز الحواجب)

ومن ألطف البراعات وأحشمها براعة مهيار الديلمي فإنه بلغه أنه وشي به إلى ممدوحه فتنصل من ذلك بألطف عذر وأبرزه في معرض التغزل والنسيب فقال

(أما وهواها حلفة وتنصلا ... لقد نقل الواشي إليك فامحلا)

وما أحلى ما قال بعده

(سعى جهده لكن تجاوز حده ... وكثر فارتابت ولو شاء قللا) ." (١)

" وأما قصيدتي النبوية الموسومة بأمان الخائف فإنها عزيب هذا البارق وحلبة مجرى هذه السوابق لأنني لم أخرج في تغزلها عن التباري والتشبيب بذكر المنازل المعهودة وبراعتها

(شدت بكم العشاق لما ترنموا ... فغنوا وقد طاب المقام وزمزم)

وقلت بعده

(وضاع شذاكم بين سلع وحاجر ... فكان دليل الظاعنين إليكم)

---

(١) خزانة الأدب، ٣١/١

(وجزتم بواد الجزع فاخضر والتوى ... على خده بالنبت صدع منمم)

(ولما روى أخبار نشر ثغوركم ... أراك الحمى جاء الهوى يتنسم)

وما أليقه أن يكون صدرا للمدائح النبوية ومنها

(فيا عرب الوادي المنيع حجابه ... وأعني به قلبي الذي فيه خيموا)

(رفعتم قبابا نصب عيني ونحوها ... تجر ذيول الشوق والقلب يجزم)

(ويا من أماتونا اشتياقا وصيروا ... مدامعنا غسلا لنا وتيمموا)

(منعتم تحيات السلام لموتنا ... غراما وقد متنا فصلوا وسلموا)

(يقولون لي في الحي أين قبابهم ... ومن هم من السادات قلت هم هم)

(عريب لهم طرفي خباء مطنب ... بدمعي وقلبي نارهم حين تضرم)

ومن ألطف الإشارات إلى أن هذا التغزل صدر قصيدة نبوية قولي منها

(أوري بذكر البان والزند والنقا ... وسفح اللوى والجزع والقصد أنتم)

ولم أزل في **براعة الاستهلال** أستهل أهلة هذه المعاني إلى أن وصلت إلى حسن التخلص فقلت ". (١)

" وأما براعة بديعيتي فإنها ببركة ممدوحها نور هذه المطالع وقبلة هذا الكلام الجامع فإني جمعت فيها بين **براعة الاستهلال** وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما وأبرزت تسمية نوعها البديعي في أحسن قوالب التورية وشنفت بأقراط غزلها الأسماع مع حشمة الألفاظ وعذوبتها وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة وبديعية صفي الدين غزلها لا ينكر غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعي مورى به من جنس الغزل ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة

وأما الشيخ عز الدين الموصلي فإنه لما التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا وقد أشرت إلى ذلك في الخطبة بقولي وهي البديعية التي هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبي بكر عالما أنه لا يسمع من الحلي والموصلي في هذا التقديم مقال

---

(١) خزانة الأدب، ٣٨/١

ومن أحسن إشارات براعتي التي تشعر أنها صدر مديح نبوي تشبيبي بعرب ذي سلم وخطابي لهم بأن لي في مدائحهم براعة تستهل الدمع وكأنني وعدتهم بشيء لا بد من القيام به وهذا حسبما أراده ابن أبي الأصبع بقوله **براعة الاستهلال** هي ابتداء الناظم بمعنى ما يريد تكميله

براعة الاستهلال في النثر

انتهى ما أوردته هنا من البراعات البارعة نظما وأما براعات النثر فإنها مثلها إن لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشيء وإلا فليست ببراعة استهلال

وقد رأيت غالب البديعيين قد اكتفوا عند استشهادهم على **براعة الاستهلال** في النثر بقول الصاحب عمرو بن مسعدة كاتب المأمون فإنه امتحن أن يكتب للخليفة يخبره أن بقرة ولدت عجلا وجهه كوجه الإنسان فكتب الحمد لله الذي خلق الأنام في بطون الأنعام

ورأيت الشيخ صفي الدين الحلي في شرح بديعيته قد ألقى عند الاستشهاد بها عصا التسيار واحتجبت عنه في هذا الأفق الشموس والأقمار أين هو من علو مقام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وقد كتب عن السلطان الملك الظاهر إلى الأمير سنقر الفارقاني جوابا عن مطالعته بفتح سوس من بلاد السودان واستهل بقوله (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) الله ." (١)

" من الذوق ويبرزه من قراب الشك إلى القطع باليقين وما ذاك إلا أنه لما انفرد كمال الدين عبد الرزاق الأصفهاني برسالة القوس واستوفى جميع المحاسن وجاء الشيخ جمال الدين بن نباتة برسالة السيف والقلم وأظهر فيها معجزات الأدب أردت أن أعززهما من اختراع رسالة السكين بثالث واستهليتها بقولي يقبل الأرض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفاقة بمسنون عزائمها

منها وينهى وصول السكين التي قطع المملوك بها أوصال الجفا وأضافها إلى الأدوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ما غابت إلا وبلغ الأقلام من تقشيرها إلى الحفى

منها ما شاهدها موسى إلا سجد في محراب النصاب وذل بعدما خضعت له الرؤوس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعدما خط وعلى الحقيقة ما رؤي مثلها قط وكم وجد الصاحب بها في المضايق نفعا وحكم بحسن صحبتها قطعا من أجل أنها تدخل في مضايق ليس للسيف قط فيها مدخل وكلما تفعله توجزه والرمح في تعقيده مطول تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس وبإقامتها الحد حافظت الأقلام على

---

(١) خزانة الأدب، ١/٤٠

مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت السيف في بحر عمدة كالغريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حمل التطريق

انتهى ما أوردته من **براعة الاستهلال** نثرا ونظما ومن لم ير بهجة ما أبرزته للمتأخرين فهو في هذه أعمى ." (١)

" ولا عتب على الدهر فيما اقترف إن كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف

واعتذر بما وهب عما سلب فعفا الله عما سلف

ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن أباه وجلس للتعزية

(إصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا)

(لا رزء أصبح في الإسلام نعلمه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا)

وقال زكي الدين بن أبي الأصبع أحسن شعر افتن فيه صاحبه بالجمع بين التعزية والتهنئة قول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنيه بالأمين حيث قال

(تعز أبا العباس عن خير هالك ... بأكرم حي كان أو هو كائن)

(حوادث أيام تدور صروفها ... لهن مساو مرة ومحاسن)

(وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلا أنت مغبون ولا الموت غابن)

ولعمري إن جمال الدين بن نباتة رحمه الله قال في تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الأفضل بالسلطنة بعد أبيه ما هو أحسن من قول أبي نواس الذي استحسنه ابن أبي الأصبع وقول من تقدمه وإن تأخر ابن نباتة فقد تقدم بنباته فإنه استطرب في قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية إلى آخرها وأتى بمعان منها سلامة الاختراع والذي يؤدي إليه اجتهاد ذوقي إن هذه القصيدة من العجائب في هذا النوع وأوردت مطلعها في **براعة الاستهلال** لكن تعين إيراده هنا لندخل منه إلى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع ليتأيد ما أشرت إليه من غرابة أسلوبها وهو قوله رحمه الله تعالى

(هناء محا ذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما)

(ثغور ابتسام في ثغور مدامع ... شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما)

(نرد مجاري الدمع والبشر واضح ... كوابل غيث في ضحى الشمس قد همى)

---

(١) خزانة الأدب، ٥٣/١

(سقى الغيث عنا تربة الملك الذي ... عهدنا سجاياه أعز وأكرما) ." [1]

" وبيت الاستعارة قبل بيت التخلص لم يحصل به فائدة ولا يصير على مخلصه طلاوة الأدب ويصير بينه وبين الأذواق السليمة مباينة وقد تعين أن أورد بيت القسم وبيت الاستعارة هنا ليصيراه لمخلصه الضعيف تكأتين وهما

(لا لقبتني المعالي بابن بجدتها ... يوم الفخار ولا بر التقى قسمي)

(إن لم أحث مطايا العزم مثقلة ... من القوافي تؤم المجد عن أمم)

(من كل معربة الألفاظ معجمة ... يزينها مدح خير العرب والعجم)

وأين الشيخ صفي الدين الحلي من قول كمال الدين بن نبيه وقد تقدم

(يا طالب الرزق إن سدت مذاهبه ... قل يا أبا الفتح يا موسى وقد فتحت)

هذا المخلص لحسن تجريده يستغنى به عن قصيدة

وقد تقرر أن نظام البديعيات التزموا أن يكون كل بيت منها شاهدا على نوعه بمجرده ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده

ومخلص العميان مثل مخلص الشيخ صفي الدين الحلي أيضا فإنه غير صالح للتجريد وما تتم به الفائدة إن لم يأت ناظمه بما قبله وعلى مذهب أصحاب البديعيات ما يصلح أن يكون شاهدا وهو

(يمم بنا البحر إن الركب في ظمإ ... فقلت سيروا فهذا البحر عن أمم)

وقد تقدم قولي إن العميان أتوا في **براعة الاستهلال** بصريح المدح وهو قولهم فيها

(بطيبة انزل ويمم سيد الأمم ... وانشر له المدح وانثر طيب الكلم)

فإذا حصل التصريح بالمدح في المطلع الذي هو **براعة الاستهلال** لم يبق لحسن التخلص موقع فإن حسن التخلص من شرطه أن يخلص الشاعر من الغزل إلى المديح لا من المديح إلى المديح وأيضا فإن النبي لم يكن له في المخلص ذكر ولكنه استغنى بذكر البحر فإنه جعله كناية عن كرم النبي

ومخلص الشيخ عز الدين في بديعيته

(حسن التخلص من ذنبي العظيم غدا ... بمدح أكرم خلق الله كلهم) ." [2]

---

(١) خزانة الأدب، ١/١٣٩

(٢) خزانة الأدب، ١/٣٤٩

" قال المؤلف رحمه الله تعالى هذا المصنف المبارك أعني البديعية وشرحها إذا ملكه متأدب شرفت نفسه عن النظر في غيره من تذاكرالآداب فإني ما تركت نوعا من أنواع البديع إلا أطلقت عنان القلم في ميادين الطروس مستطردا إلى استيعاب ما وقع من جيده ورديئه ونصبت فيه البحث بين المقصرين والمجيدين بيد أني أقول وبالله المستعان إن العميان اختصروا جانبا كبيرا من البديع وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب لخلاصه من التورية في تسمية النوع ولكنه قصر في مواضع نبهت عليها في مظانها والشيخ عز الدين رحمه الله قصر في غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية والبحث مقرر مع كل منهم في إجادته وتقصيره عند إيراد بيته على ذلك النوع الوارد

وقد تقدم الإطناب في تقرير حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال** وفي الفرق بينهما وأوردت في حسن التخلص ما وقع من غريبه وبديعه وما تقرر من البحث مع المقصر في نظمه وما يتفرق به شمل مجاميع الأدب وينسى تذاكره وقد انتهت الغاية بحمد الله إلى حسن الختام وأوردت فيه ما لا خفيت محاسنه على المتأمل ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وقد فرغت من تأليف هذا الكتاب في شهر ذي الحجة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ". (١)

"و التخلص و الإنتهاء. قال أهل البيان ينبغي للمتكلم شاعرا كان أو كاتبا أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظا و أحسن سبكا و أصح معنى. أحدها الإبتداء لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محررا أقبل السامع على الكلام و إلا أعرض عنه. و لو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ و أجزله و أحسنه نظاما و سبكا و أصحه معنى، و يسمى حسن الإبتداء و أحسنه ما ناسب المقصود و يسمى **براعة الاستهلال**.

و ثانيها التخلص و هو الإنتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة. و أحسنه أن يكون الانتقال على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا و قد وقع الثاني لشدة الالتئام بينهما و يجي ء في محله. و ثالثها الإنتهاء فيجب أن يختم كلامه شعرا كان أو خطبة أو رسالة بأحسن خاتمة حتى لا يبقى معه للنفس تشوق إلى م ا يذكر بعد. و قد قلت عناية

---

(١) خزانة الأدب، ٢/٥٠٥

المتقدمين بهذا النوع. و المتأخرون يجهدون في رعايته و يسمونه حسن المقطع [و براعة المقطع] «٢»، و جميع فواتح السور و خواتمها على أحسن الوجوه و أكملها كما يشهد به التأمل الصادق، هكذا في المطول و الإتقان.

كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، ج ١، ص: ٦٧١

حسن البيان:

[في الانكليزية] msimehpue ،ynomrah ،noisicnoC

[في الفرنسية] emsimehpue ،einomrah ،noisicnoC

هو عند البلغاء كشف المعنى و إيصاله إلى النفس و هو قد يجي ء مع الإيجاز و قد يجي ء مع الإطناب و المساواة أيضا كذا في المطول في آخر فن البديع.

حسن التعليل:

[في الانكليزية] noitatnemugra dooG

[في الفرنسية] noitatnemugra ennoB." (١)

"العلم وبناء المدارس ونحو ذلك والمباحة منها البسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك والمبتدع في الشرع من خالف أهل السنة اعتقادا كالشيعة قيل حكمه في الدنيا الإهانة باللعن وغيره وفي الآخرة على ما في الكلام حكم الفاسق وعلى ما في الفقه حكم بعضهم حكم الكافر كمنكر الرؤية والمسح على الخفين وغير ذلك والبدع بالكسر والسكون بمعنى البديع نظيره الخف بمعنى الخفيف الباطل هو أن يفعل فعل يراد به أمر ما وذلك الأمر لا يكون من ذلك الفعل وهو أيضا ما أبطل الشرع حسنه كتزوج الأخوات والمنكر ما عرف قبحه عقلا كالكفر وعقوق الوالدين والباطل من الأعيان ما فات معناه المخلوق له من كل وجه بحيث لم يبق إلا صورته والباطل من الكلام ما يلغى ولا يلتفت إليه لعدم الفائدة في سماعه وخلوه من معنى يعتد به وإن لم يكن كذبا ولا فحشا البراعة هي كمال الفضل والسرور وحسن الفصاحة الخارجة عن نظائرها وبرع الرجل فاق أصحا به وبراعة المطلع أن يكون البيت صحيح السبك واضح المعنى غير متعلق بما بعده سالما من الحشو وتعقيد الكلام سهل اللفظ متناسب القسمين بحيث لا يكون شطره الأول أجنبيا من شطره الثاني مناسبا لمقتضى المقام وسماه ابن المعتز حسن الابتداء وفرعوا منه **براعة الاستهلال** ومعناها عند أهل البلاغة أن يذكر المؤلف في طالعة كتابه ما يشعر بمقصوده ويسمى بالإلماع

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/١١٤٧

وأما براعة المطلب فهي أن يلوح الطالب الطلب بألفاظ عذبة مهذبة منقحه مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الإلحاح والتصريح بل تشعر بما في النفس دون كشفه كقوله

وفي النفس حاجات وفيك فطانة

سكوتي بيان عندها وخطاب

". (١)

"" صفحة رقم ١٦٥ "

والميزان – والعقرب – والقوس – والجدي – والدلو – والحوت . وآسامي البروج بالهندية هكذا : ميش – ورشبه – متهن – كرك – سنهو – كنيا – تل – ورسجك – دهن – مكر – كنبه – مين . والترتيب فيها على ترتيب الذكر .

ثم قسموا كل برج على ثلاثين قسما وسموا كل قسم منها درجة ففلك البروج منقسم على ثلاث مائة وستين درجة . ثم قسموا كل درجة على ستين وسموا كل قسم منها دقيقة ثم الدقيقة على ستين وسموا كل قسم منها ثانية . وقس عليها الثالثة إلى العاشرة .

واعلم أنهم أخذوا أسماء البروج من صور يخيلونها من وصل الخطوط بين الكواكب الثوابت . ولهذا قسموا فلك البروج أي الفلك الثامن الذي فيه الثوابت بتلك الأقسام وفلك الأفلاك أعني الفلك الأطلس الذي هو الفلك التاسع أيضا منقسم بتلك الأقسام . فالقطعة منه الموازية لقطعة من الفلك الثامن المسمى بفلك البروج تكون حملا إن كانت تلك القطعة حمرا وقياس البواقي عليه .

ثم اعلم أن ثلاثة بروج من تلك البروج ربيعية وهي الحمل – والثور – والجوزاء – وثلاثة صيفية وهي السرطان – والأسد – والسنبلة . وهذه البروج الستة شمالية . وثلاثة خريفية وهي الميزان – والعقرب – والقوس . وثلاثة شتوية وهي الجدي – والدلو – والحوت – وهذه الستة جنوبية . يعني كون الشمس – في الجدي – والدلو – والحوت – سبب عادي لحصول الشتاء فهذه البروج الثلاثة شتوية . وقس عليه البواقي .

براعة الاستهلال : هو الابتداء بكلام مشتمل على إشارة إلى ما سيق لأجله من

---

(١) كتاب الكليات . لأبى البقاء الكفومى، ص/٣٦٤

برع إذا فاق أصحابه في العلم وغيره فمعناها اللغوي هو السياقة في طلب الهلال ورؤيته . والمناسبة بين المعنيين أظهر من أن يخفى .

البراذين : جمع البرذون وهو فرس العجم .

باب الباء مع الزاي المعجمة

البزغ : والفصد كلاهما إجراء الدم من العرق . لكن الفصد مختص بالآدمي والبزغ بالبهائم .

باب الباء مع السين المهملة

بسم الله الرحمن الرحيم : قد ذكرت بعض نكات هذه الآية الكريمة ونبذا من الاعتراضات الواردة عليها مع الأجوبة في رسالتي سيف المبتدين في قتل المغرورين." (١)

"""" صفحة رقم ٩٩٢ """

(الهلك) بقايا الشيء الهالك كجيفته وما بين أعلى الجبل وأسفله والفضاء أو الفاصل بين كل شيئين وما يسقط من أعلى إلى أسفل

(الهلكة) السنة الجدبة (ج) هلك وهلكات

(الهلكة) الساقطة من الناس (ج) هلك ويقال فلان هلكة من الهلك ساقطة من السواقط

(الهلكون) الأرض الجدبة وإن كان فيها ماء يقال أرض هلكون وأرضون هلكون

(الهلوك) من النساء الهلكة

(الهيلكون) المنجل لا أسنان له

(الهلكس)

الدنيء الخلق

(هل)

الهلال هلا ظهر وفلان فرح والشهر ظهر هلاله والمطر اشتد انصبابه والسحاب قطر قطرا له صوت

(أهل) الرجل نظر إلى الهلال ويقال أهللنا عن ليلة كذا رأينا الهلال والشهر ظهر هلاله وبدا وفلان رفع صوته وصاح يقال أهل الصبي وأهل الملبى بالتلبية وأهل الرجل بذكر الله والسيف بفلان قطع منه والكلب بالصيد إذا أمسكه أخرج من حلقه صوتا بين العواء والأنين حرصا على فريسته والذابح بالضحية رفع صوته

---

(١) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ١/١٦٥

ذاكرا اسم من تقدم الضحية قربانا له وفي التنزيل العزيز) إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله (وفلان الهلال رفع صوته عند رؤيته والشهر رأى هلاله والله السحاب جعله ينهل ويقال أهل الله المطر

(هال) الأجير هلالا ومهالة اكتراه من الهلال إلى الهلال بأجر معين

(هلل) الرجل قال لا إله إلا الله وحمل على قرنه ثم جبن وفر ويقال هلل عنه جبن وفر وعن الأمر تأخر والفرس ونحوه تقوس ظهره صار كالهلال من الهزال

(اهتل) السحاب والوجه تلألأ والمطر ونحوه هل والرجل افتر عن أسنانه غضبا

(انهل) المطر هل ويقال انهل الدمع تساقط وانهلت السماء نزل مطرها وانهلت العين تساقط دمعها

(تهلل) السحاب والوجه اهتل ويقال تهلل الوجه فرحا وتهلل السحاب بالبرق تلألأ وأشرق والعين انهلت ويقال تهلل الدمع

(استهل) الصبي رفع صوته بالبكاء وصاح عند الولادة والشهر أهل ويقال استهللنا الشهر ابتدأناه أو رأينا هلاله والمطر هل والعين انهلت والوجه تهلل وفلان الهلال أهله والسيف استله

(استهل) الهلال هل

(الاستهلال) **براعة الاستهلال** أن يقدم المصنف في ديباجه كتابه أو الشاعر في أول قصيدته جملة من الألفاظ والعبارات يشير بها إشارة لطيفة إلى موضوع كتابه أو قصيدته (مو)

(الأهاليل) الأمطار قيل واحدها أهلول

(المهلل) يقال حاجب مهلل مقوس كالهلال وناقة مهللة ضامرة

(الهلال) أول المطر

(الهلال) الهلال وغرة القمر إلى سبع ليال من الشهر والقمر في أواخر الشهر من ليلة السادس والعشرين منه إلى آخره والماء القليل في أسفل البئر والدفعة من المطر والغبار والجمل المهزول والحجارة المرصوفة والحية أو ذكر الحيات أو سلخها والشيء كالهلال في حسن طلعته كالغلام الحسن الوجه أو في شكله كالبياض في أصل الأظافر وطرف الرحى إذا تكسر والحديدة أو الخشبة تضم بين شقي الرحل والسنان له شعبتان يصاد به الوحش وسمة للدواب هلالية الشكل والقطعة من الخبز أو البطيخ تكون على هيئة الهلال وشعار لبعض الدول الإسلامية منذ دولة بني عثمان وهو شعار إسلامي يقابل شعار الصليب عند الدول المسيحية (محدثة) (ج) أهلة

(الهل) الرقيق من الثياب والرقيق من الشعر

(الهل) يقال أتيته في هل الشهر عند استهلاله وامرأة هل متفضلة في ثوب واحد

(الهلل) أول المطر والأمطار واحدها هلة ونسج العنكبوت والفزع والفرق

(هلا) كلمة تحضيض تختص بالجمل الفعلية الخبرية كسائر أدوات التحضيض

(الهلى) الفرج بعد الشدة

(الهلة) المسرجة وهلة الشهر هلة يقال أتيته في هلة الشهر أوله وما أصاب هلة شيئا

(الهلة) المطرة (ج) هلل ويقال أتيته في هلة الشهر في هلته

(الهليلة) الأرض الممطورة دون ما حواليها (ج) هلائل

(هلم)

بغيره هلما لصق فهو هليم

(اهتلم) به ذهب به

(الهلام) مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن ومادة بروتينية شفافة تستخرج من الأنسجة الحيوانية المختلفة مثل الجلد والعظم والأربطة وتكون جامدة عند جفافها ولكنها تتحول إلى سائل بالرطوبة (مو)

(هلم) كلمة دعاء أي تعال وهي من أسماء الأفعال تلزم لفظا واحدا في كل حالاتها عند الحجازيين (للواحد والاثنين." [١]

" تعليلات ، ذكر أكثرها المرشد في **براعة الاستهلال** . والعجوز ، كصبور ، قد أكثر الأئمة والأدباء في جمع معانيه كثرة زائدة ذكر المصنف منها سبعة وسبعين معنى . ومن عجائب الاتفاق أنه حكم أول العجوز وآخره ، وهما العين والزاي وهما بالعدد المذكور . وقال في البصائر : وللعجوز معان تنيف على) الثمانين ، ذكرتها في القاموس وغيره من الكتب الموضوعة في اللغة . قلت : ولعل ما زاد على السبعة والسبعين ذكره في كتاب آخر وقد رتبها المصنف على حروف التهجي ، ومنها على أسماء الحيوان أربعة عشر وهي : الأرنب والأسد والبقرة والثور والذئب والذئبة والرخم والرمكة والضبع وعانة الوحش والعقرب والفرس والكلب والناقة ، وما عدا ذلك ثلاثة وستون ، وقد تتبعت كلام الأدباء فاستدركت على المصنف بضعا وعشرين معنى ، منها على أسماء الحيوان ما يستدرك على الجلال السيوطي في العنوان ، فإنه أورد ما ذكره المصنف مقلدا له ، واستدرك عليه بواحد ، وسنورد ما استدركنا به بعد استيفاء ما أورده المصنف

---

(١) المعجم الوسيط . موافق للمطبوع، ٢/٩٩٢

. فمن ذلك في حرف الألف : الإبرة والأرض والأرنب والأسد والألف من كل شيء . من حرف الباء الموحدة : البئر والبحر والبطل والبقرة ، وهذه عن ابن الأعرابي . من حرف التاء المثناة الفوقية : التاجر والترس والتوبة . من حرف الثاء المثلثة : الثور . من حرف الجيم : الجائع والجعبة والجفنة والجوع وجهنم . من حرف الحاء المهملة : الحرب والحربة والحمى . من حرف الخاء المعجمة :

". (١)

"التناسب القرآني عند البقاعي

المفهوم .

مما سمى البقاعي به تفسيره :" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وهي تسمية يقصد إليها قصدا من أن من أصوله التى يتخذها علاقة الاسم بالمسمى ، وعده التسمية من **براعة الاستهلال** الموحى بما هو مكنون في المسمى ، وسوف ننظر في أصله هذا في موضعه اللائق به إن شاء الله تعالى

وأنت تراه قد جعل عمله " نظم درر" في موضوع " تناسب الآيات والسور" ولعله ناظر إلى ما بين النظم والتناسب من علاقات اتفاق وافتراق ، فكل تناسب نظم ، وليس كل نظم تناسبا

في التناسب .كما سيأتى إن شاء الله تعالى . ما ليس في النظم:

" التناسب " من أصول ثلاثة:" ن / س / ب" تدور على معنى : " اتصال شيء بشيء"كما يقول " ابن فارس" في مقاييس اللغة"

وهذا الاتصال إنما يكون اتصالا جوهريا ، فهو قائم على علائق جوانية تجري في كنه المتناسب ، وتضبط برانيه وهذا ما أنت تراه في عالمِ الإنسان : علاقة النسب فيهم علاقة جوهرية تجري في أوصالهم ، وتشكل سماتهم المعنوية والحسية ،وهى علاقات أبدية

وعالم البيان من عالم الإنسان ، الكلمة فيه كالفرد من عالم الإنسان ، وهذان العالمان : البيانى والإنساني يسيران على نهج سواء في كثير من أحوالهما

وهذا المصطلح: " التناسب " ذو دلالة على مدلوله غير دلالة " النظم " على مدلوله الذي اتخذه "عبد القاهرالجرجاني " لنظريته

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٠٢/١٥

دلالة مصطلح النظم على مدلوله يفتقر بيانها إلى احتراز من أن يدخل فيه ما ليس مقصودا إليه ، ومن ثم تجد الإمام " عبد القاهر" يقول :

"ومما يجب إحكامه...الفرق بين قولنا: حروف منظومة وكلم منظومة

وذلك أن " نظم الحروف " هو تواليها في النطق ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه ، فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان : " ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى الفساد .." (١)

"ينزعون من الرغبة عن القول بالتكرار اللفظي والدلالي للكلمات في سياقات مختلفة ، وأن الكلمة وما فوقها لاتأتي إلا مرة واحدة وليس لها إلا موضع واحد ، فإذا أقيمت في مقام آخر فما هي بالتي كانت من قبل ، وهذا يعنى أن الوجود الدلالي للكلمة يتجدد بتجدد مواقع الكلمة وما فوقها ، وأن القول بالتكرار البياني في الخطاب العالي فضلا عن الخطاب العلي المعجز إنما هو قول مفتقر إلى التحرير العلمي ، ومن ثم لايعرف عالم البيان التناسخ بين مكوناته ومكنوناته ، فهو عالم قائم من متجددات ، وكأن لعالم البيان من عالم الجنة مثلا : تتشابه ثماره ولا تتوحد بل تتجدد وتتعدد : ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ (البقرة: من الآية٢٥)

وعلى هذا يكون جديرا بمن يقوم للإبحار في قماميس التأويل البياني للقرآن الكريم أن يكون على ذكر من أن البيان القرآني خلاء من التكرار التأكيدي الذي لايضفي جديدا حميدا على ما سبق تأسيسه .

وأن يكون على ذكرمن أن البيان القرآني ذو خصيصتين عظيمتين

الأولى : خصيصة تناسل المعنى القرآني وتصاعده

والأخرى : خصيصة التصريف البياني.

هاتان الخصيصتان أراهما من أشمل خصائص الإعجاز البياني للقرآن الكريم من بعد خصيصة إقامة الشعور بجلال القائل في قلب المتلقى المعافي من داء الغفلة .

.

المعلم الرابع .

---

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص/ ١٤٠

براعة الاستهلال وعلاقته بمقصودالسورة

لكل سورة من سور القرآن الكريم ولاسيما الطول والمئين مفتتح من الآي يكون استهلالا بديعا مشيرا إلى جوهر المعنى الكلي الذي يقوم في السورة." [1]

"عظم وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة (١٢٩)

الفارض لتكفير ابن الفارض (١٢٩)

قدح الزند في سقط الزند لأبي العلاء المعري (١٢٩)

قدح الفكر وتنوير البصر بأجوبة الشهاب ابن حجر (١٢٩)

القول الفارق بين الصادق والمنافق (١٣٠)

القول المعروف في الرد على منكري المعروف (١٣٠)

القول المفيد في أصول التجويد (١٣٠)

كفاية القارئ وغنية المقرئ في رواية أبي عمرو (١٣٠)

مختصر السيرة النبوية وثلاثة من الخلفاء الراشدين (١٣١)

المقصد العالي في ترجمة الإمام الغزالي (١٣١)

الملتقط من معجم الطبراني الوسط (١٣١)

منتقى الغريب العاني من الترغيب للأصفهاني(١٣٢)

النكت الوفية بما في شرح الألفية للعراقي (١٣٢)

وشي الحرير في اختصار ابن جرير (١٣٢)

١١٩

مؤلفات لغيره نسبت إليه خطأ (١٣٣)

١٣٣

الباب الثاني : منهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم (١٣٥)

---

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص/٢٢٤

المدخل إلى المنهج :(١٣٧) التناسب القرآني عند البقاعي
١٣٥

الفصل الأول : منهاج تأويل بلاغة النص القرآني (تناسب السور)
١٤٩

تبيان الغاية العظمى والمغزى الرئيس للقرآن الكريم
١٥١

بيان تصاعد مقاصد السور ومعانيها
١٥٧

علاقة فاتحة كل سورة بما قبلها
١٦٥

رد المقطع على المطلع
١٧٨

الفصل الثاني : منهاج تأويل بلاغة القرآن الكريم في بناء السورة
١٨٣

تحقيق مقصود كل سورة وتصاعد معانيها
١٨٥

علاقة اسم السورة بمقصوده
١٩٩

تأويل البسملة على وفق مقصود السورة

٢٠٥

براعة الاستهلال وعلاقته بمقصود السورة

٢١١

رد مقطع السورة على مطلعها

٢١٧

علائق الآيات في بناء المعقد

٢٢٣

تأويل النظم في القصص القرآني

٢٣٢

بيان النظم الترتيبي للجمل في بناء الاية القرآنية

٢٤١

تدبر النظم التركيبي لبناء الجملة

٢٤٨

تأويل التصريف البياني للمعاني

٢٧٢

التوجيه البياني للقراءات القرآنية

٢٧٨

تبيان مدلول ودلالة الكلمة القرآنية

٢٨٧

الفاصلة

٣٢٧." [١]

"التاسع: الدعاء في ثلاث: ويل للمطففين ويل لكل همزة تبت.

العاشر: التعليل في لإيلاف قريش هكذا جمع أبو شامة قال: وما ذكرناه في الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر وكذا الثناء كله خبر إلا "سبح" فإنه في قسم الأمر وسبحان يحتمل الأمر الدعاء والخبر ثم نظم ذلك في بيتين فقال:

أثنى على نفسه سبحانه بثبو

ت الحمد والسلب لما استفتح السورا

والأمر شرط الندا والتعليل والقسم الد

عا حروف التهجي استفهم الخبرا

وقال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظما وسبكا وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب

قالوا: وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك.

ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى **براعة الاستهلال** وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا." [٢]

---

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص/٣٨١

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٣/٣٦٣

"أبو القاسم بن حبيب أنبأنا محمد بن صالح بن هانئ أنبأنا الحسين بن الفضل حدثنا عفان بن مسلم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان القرآن ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة.

وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة ب ﴿رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ ومعرفة النبوات وإليه الإشارة ب ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ ومعرفة المعاد وإليه الإشارة ب ﴿مالك يوم الدين﴾ وعلم العبادات وإليه الإشارة ب ﴿إياك نعبد﴾ وعلم السلوك وهو عمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الإشارة ب ﴿إياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم﴾ وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في **براعة الاستهلال** مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة

وكذلك أول سورة " اقرأ"، فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من **براعة الاستهلال** لكونها أول ما أنزل من القرآن فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله وفيه الإشارة إلى علم الأحكام وفيها ما يتعلق." (١)

"فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى وأوجب الحج في آل عمران وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء فخوطب به جميع الناس والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا بيا أهل الكتاب يا بني إسرائيل يأيها الذين آمنوا وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس وهي نوعان: مخلوقة لله ومقدورة لهم كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله: ﴿اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ ثم قال: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح **وبراعة الاستهلال** حيث تضمنت

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٣/٣٦٤

الآية المفتتح بها ما أكثر السورة في أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالأرحام وأن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالا ونساء في غاية الكثرة وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الأمة وبها تمام الدين فهي سورة التكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل." [1]

"**براعة الاستهلال**

البراعة لغة:كمال الفضل.

والاستهلال لغة:الابتداء، كما فى اللسان.(١)

براعة الاستهلال اصطلاحا:ضرب من ضروب الصنعة التى يقدمها أمراء البيان ، ونقاد الشعر، وجهابذة الألفاظ ، بأن يبدأ المتكلم بمعنى ما يريد تكميله ، وإن وقع فى أثناء الكلام(٢) وقد ذكر ابن المعتز فنا فى محاسن الكلام سماه (حسن الابتداءات)(٣)، وأراد بهذه التسمية ابتداءات القصائدة إذ ينبغى للشاعر إذا ابتدأ قصيدة ابتدأها بما يدل على غرضه فيها.

وكذلك ينبغى للخطيب إذا ارتجل خطبة، والبليغ إذا افتتح رسالة، أن يكون ابتداء كلامه دالأ على انتهائه ، فالابتدأء أول ما يقرع السمع ، فإن كان عذبا، حسن التركيب ،صحيح المعنى، أقبل السامع على الكلام فوعاه ، وإلا أعرض عنه ، وإن كان الباقى فى غاية الحسن (٤).

وتعد (**براعة الاستهلال**) فرعا فرعه المتأخرون مما يسمى (حسن الابتداءات) فيرى السيوطى أن **براعة الاستهل ال** أخص من حسن الابتداء ، لأن البراعة لابد فيها من الإشارة إلى ما سيق الكلام لأجله ، بخلاف حسن الابتداء فلا يشترط فيه ذلك (٥).

غير أن الخطيب القزوينى لا يرى فرقا بين حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال** ، فكلاهما شيء واحد، وبأيهما سميت كنت مصيبا، فأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود، ويسمى **براعة الاستهلال** (٦).

وإذا تأملت السور القرآنية ، جملها ومفرداتها ، رأيت من البلاغة والتفنن فى الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه.(٧)

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٣٨٢/٣

فمن الأمثلة القرآنية، قوله تعالى:

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾الإسراء:٧.

﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾النجم:٥٨.

﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾البقرة:١٣٨.

ومن أمثال السنة النبوية، قوله صلى الله عليه وسلم:

(الحلال بين والحرام بين)

(خير الأمور أوساطها)

(لا ضرر ولا ضرار)(٨)

ومن الأمثال الشهيرة التى سارت على وجه الدهر، قولهم:

(تسمع بالمعيدى خير من أن تراه) يضرب مثلا للذى رؤيته دون السماع به.

وقولهم (أسمع جعجعة ولا أرى طحنا) أى أسمع جلبة ولا أرى عملا ينفع التمثيل إذا.

وقولهم (مواعيد عرقوب) وهو رجل يهودى من خيبر كان يعد ولا يفى ، فضربت به العرب المثل.

وقد اتفق أصحاب الذوق السليم على أن التمثيل إذا جاء فى أعقاب المعانى ، سواء كان المعنى مدحا أو ذما حجاجا أو افتخارا ، اعتزارا أو وعظا ، كساه أبهة ورفع من شأنه ، فتتحرك النفس إليه ويهفو القلب له ، وهكذا الحكم إذا استقرأت فنون القول وشعوبه.(٩)

أ.د/عبد القادر حسين

الهامش:

١- لسان العرب لابن منظور مادة (برع)، ومادة (هلل) ط دار المعارف.

٢- تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصرى، ص١٦٨ ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٣- البديع لابن المعتز ص٧٥ ط كراتشكوفسكى.

٤- الوشاح للكرمى ٣ /٢٥٤ ط١٣٧٥هـ.

٥- معترك الأقران للسيوطى ١ /٧٥ ط مصر.

٦- الإيضاح للخطيب القزوينى ص٥٤٨ ط الآداب.

٧- التبيان للطيبى ص٤٥٦ طبعة عالم الكتب.

٨- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلونى ١ /٣٦٥ ، ٥٩١ ، ط مصر ١٣٥٢هـ.
٩- أسرار البلاغة لعبد القاهرالجرجانى ص١١٥ ، ١١٦ ط جدة." [١]

"الخطابة

لغة: مصدر خطب يخطب أى باشر الخطبة كما فى اللسان (١).

واصطلاحا: قد عرفت بتعريفات كثيرة منها تعريف "أرسطو" بأنها: القدرة على النظر فى كل ما يوصل إلى الإقناع فى أى مسألة من المسائل (٢).

وعرفها ابن رشد بأنها: قوة تتكلف الإقناع الممكن فى كل واحد من الأشياء المفردة(٣).

وعرفها بعض المحدثين بأنها: نوع من فنون الكلام غايته إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم بصواب قضية أو بخطأ أخرى(٤).

وعرفت بأنها: علم يقتدر بقواعده على مشافهة الجماهير بفنون القول المختلفة لإقناعهم واستمالتهم (٥).

والخطابة ضرورة اجتماعية تفرضها الظروف ، وتعبر عن المجتمع بوجه عام ، وكل الأمم فى حاجة إليها، بل إن المواقف المجيدة فى تاريخ الأمم مدينة للخطباء الذين عبروا عن قضاياهم أصدق تعبير، وأثروا فى مجتمعاتهم أعظم التأثير.

والخطابة أنواع كثيرة منها: الخطابة العلمية، والخطابة السياسية، و الخطابة العسكرية، والخطابة الدينية ، والخطابة الاجتماعية، والخطابة القضائية، والخطابة الحفلية.

وللخطابة طرق للتحصيل وعوامل للرقى، فمن طرق تحصيلها: الموهبة والاستعداد الفطرى، ودراسة أصول الخطابة، ودراسة كثير من كلام البلغاء، وحفظ الكثيرمن الألفظ والأساليب ، وكثرة الاطلاع على العلوم المختلفة، والتدريب والممارسة.

أما عوامل رقيها فمنها: الحرية، وطموح الأمة إلى حياة أرقى وذلك -مثلا- إذا ما تفشى فى أمة من الأمم سخط على نظام قائم ووجدت إرادة فى التغيير إلى الأفضل ، والتاريخ القديم والمعاصر يشهدان لهذا ،والتغيرات الدينية والسياسية والاجتما عية، والحروب والثورات ، وكثرة الأحزاب والتكتلات مع تنازعها ، والرغبة فى إصلاح ذات البين.

وفن الخطابة له أصول يتعلق بعضها بالخطيب وبعضها بالخطبة.

فأما ما يتعلق بالخطيب فأهمه: الموهبة ورباطة الجأش ، وسلامة الصوت من العيوب ،وطول النفس ،

---

(١) مفاهيم إسلامية، ص/٦٥

وحسن الوقفة ، وحسن استخدام الإشارة فى موضعها المناسب ، والسمت الذى يستميل سامعيه.

وأما ما يتعلق بالخطبة فأهمه: **براعة الاستهلال** ، ووفرة المحصول من مختلف أساليب البيان، والتنقل بين الانشائية والخبرية، ووضوح المعانى من خلال قصر الجمل ، وملاحظة تقسيم الخطبة، ثم موضوع الخطبة، ثم الختام الذى يجب أن يشتمل على جمل يسهل ترداده وتذكرها بعد انتهاء الخطيب من خطبته وخاصة فى النوعين السياسى والدينى من الخطابة.

هذا وتجدر الإشارة إلى بعض الأسماء من الخطباء الذين خلد التاريخ ذكرهم مثل: "ميرابو" و"سحبان وائل" و"قس بن ساعدة" و"واصل بن عطاء" فى القديم ، ومثل "غاندى" و"مصطفى كامل" و"سعد زغلول" فى الحديث (٦).

وللخطابة علاقة وثيقة بغيرها من العلوم ، فبالنسبة للعلوم الإنسانية: لها علاقة وثيقة بعلم المنطق ، وعلم النفس وخاصة علم نفس الجماعة، وعلم الاجتماع.

وبالنسبة للعلوم الاسلامية: فهى تتصل بكل هذه العلوم ، والعلوم الإسلامية تفيد علم الخطابة بصفة عامة والخطابة الدينية بصفة خاصة.

ومن أهم ما يحتاجه الخطيب من العلوم الإسلامية ومصادرها: القرآن الكريم ، والسنة النبوية، ومقارنة الأديان ، ومعرفة الأحكام الفقهية ومصادر التشريع ، والعلم بالتاريخ الإسلامى –ولا تخفى علاقتها– أيضا بالشعر والأدب ، والكتابة، والأخلاق والسياسة(٧).

أ.د/عبد الصبور مرزوق

الهامش:

١– لسان العرب ، لابن منظور، دار صادر بيروت ط٣، مادة (خطب) ١ /٣٦٠.

٢– الخطابة لأرسطو طبعة القاهرة ١٩٥٠م تعريب د/إبراهيم سلامة ١/ ٩٠.

٣– تلخيص الخطابة لابن رشد ص١٥.

٤– الخطابة وفن الإلقاء د/أشرف محمد موسى ط الخانجى بالقاهرة ١٩٧٨م ص٧.

٥– الخطابة: د/يوسف محمد يوسف عيد مطبعة الفجر الجديد ط١ ١٩٩٢م ص٢١.

٦– انظر الخطابة لأرسطو ، وفن الخطابة للدكتور أحمد الحوفى، والخطابة السياسية فى مصر من الاحتلال البريطانى إلى إعلان الحماية. رسالة ماجستير للدكتور عبد الصبور مرزوق.

٧- انظر: فن الخطابة وإعداد الخطيب للشيخ على محفوظ ، دار الاعتصام ١٩٨٤ ،الخطابة أصولها ، تاريخها ، مقارنتها بغيرها ، تطبيقاتها للدكتور يوسف محمد يوسف عيد، مطبعة الفجر الجديد، ط١ ١٩٩٢ م -فى بلاغة الخطاب الإقناعى- محمد العمرى، دار الثقافة بالدار البيضاء ط١ ١٩٨٦م." (١)

"السورة

لغة: المنزلة، وقيل: مخصوصة بالرفعة (الدرجة) والسورة من البناء: ما طال وحسن ،وقيل: هى العلامة كما فى مختار الصحاح (١).

واصطلاحا: قرآن يشتمل على آى ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها: ثلاث آيات وهى سورة الكوثر، وقيل: الطائفة المسماة باسم خاص بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم.

والسورة تشتمل على آيات ، والآية: قرآن مركب من جمل ولو تقديرا، ذو مبدء ومقطع ، مندرج فى سورة، وأصلها العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿إن آية ملكه﴾البقرة:٢٤٨ ، لأنها علامة للفضل والصدق ، أو الجماعة لأنها جماعة كلمة.

وقيل السورة: هى طائفة من القرآن ، منقطعة عما قبلها وما بعدها،ليس بينها شبه بما سواها.

والحكمة فى تقطيع القرآن سورا هى الحكمة ذاتها فى تقطيع السور آيات معدودات ، لكل آية حد ومطلع ، حتى تكون كل سورة، بل كل آية فنا مستقلا وقرآنا معتبرا.

وسورت السور طوالا وقصارا وأوساطا: تنبيها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز، بل قصارها كطوالها ، ولهذا -أيضا- حكمة فى التدرج فى تعليم الصبيان القرآن الكريم.

وسور القرآن قد يكون لها اسم واحد وهو الأكثر، وقد يكون لها اسمان: كسورة البقرة فانه يقال لها: فسطاط القرآن لعظمها وبهائها ، وآل عمران يقال لها فى التوراة: طيبة، والنحل تسمى سورة النعم لما عدد الله فيها من النعم على عباده، والجاثية تسمى الشريعة، ومحمد تسمى القتال.

وقد يكون لها ثلاثة أسماء: كالمائدة فإنها تسمى العقود والمنفذة، وكغافر فتسمى الطول والمؤمن.

وقد يكون لها أكثر من ذلك: كسورة براءة فهى التوبة، والفاضحة، والحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين ، والعذاب ، والمشقشقة، والمبعثرة، وكسورة الفاتحة فإنها: أم الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثانىء والحمد، وقد ذكر لها بضعة وعشرون اسما.

واختصاص كل سورة بما سميت به مقصود: فالعرب تراعى فى الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر

---

(١) مفاهيم إسلامية، ص/١٣٨

أو مستغرب يكون فى الشيء من خلق أو صفة تخصه ،أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائى للمسمى وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم ، لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها ، وسورة النساء سميت بذلك لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وهكذا فى بقية السور.

وعدد سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة، افتتحها سبحانه وتعالي بعشرة أنواع من الكلام ، لا يخرج شيء من السور عنها ، وهى:

١- الاستفتاح بالثناء، مثل: الحمد لله ،وتبارك ، وسبحان ، وسبح ، ويسبح لله.

٢- الاستفتاح بحروف التهجى: مثل الم ،المص ، الر، وذلك فى ست وعشرين سورة.

٣- الاستفتاح بالنداء، وذلك فى عشرين سورة، مثل: مفتتح النساء، والمائدة والأحزاب.

٤- الاستفتاح بالجمل الخبرية، فى ثلاث وعشرين سورة، مثل ، مفتتح النحل والأنبياء.

٥- الاستفتاح بالقسم ، وذلك فى خمس عشرة سورة، مثل: مفتتح الضحى والليل والشمس.

٦- الاستفتاح بالشرط ، فى سبع سور، مثل: مفتتح التكوير والانفطار والانشقاق.

٧- الاستفتاح بالأمر، فى ست سور، مثل: مفتتح الجن والأعلى والإخلاص والمعوذتين.

٨- الاستفتاح بالاستفهام ، فى ست سور، مثل: الإنسان والنبأ والغاشية والفيل.

٩- الاستفتاح بالدعاء، فى ثلاث سور وهى المطففين ، والهمزة، والمسد.

١٠- الاستفتاح بالتعليل ، فى موضع واحد ، لإيلاف قريش.

وهذه الافتتاحات فيها من الحسن **وبراعة الاستهلال** ما فيها.

وخواتم السور مثل فواتحها فى الحسن ، لأنها آخر ما يقرع الأسماع ، ولهذا تضمنت جملة من المعانى البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد.

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به..﴾(آية ٥٢) والأحقاف ﴿بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾(آية٣٥) وأول سورة نزلت فى القرآن "اقرأ" ثم "نوح"، وآخرما نزل ﴿إذا جاء نصرالله والفتح﴾النصر:١.

وكل سور القرآن الكريم بدأت بالبسملة إلا سورة التوبة، وسورة النمل بدأت بالبسملة ووجدت البسملة فى آية منها فى قوله تعالى: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾النمل:٣٠.

أ.د/عبدالصبور مرزوق

الهامش:

١- مختار الصحاح ، مادة (سور) ص٣٢٠.

مراجع الاستزادة:

١- البرهان فى علوم القرآن للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة عيسى الحلبى وشركاه ١٩٧٥م ، ١ /١٨١:١٦٣.

٢- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى وبهامشه إعجاز القران للباقلانى، المكتبة الثقافية بيروت ١٩٧٣م الجزء الأول.

٣- الموسوعة الفقهية بالكويت ٢٥ /٣٨٧ وما بعدها." (١)

"[بسم الله الرحمن الرحيم] [الحمد] هو الثناء باللسان على قصد التعظيم سواء تعلق بالنعمة أو بغيرها، والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما سواء كان باللسان أو بالجنان أو بالاركان، فمورد الحمد لا يكون الا اللسان ومتعلقه يكون النعمة وغيرها ومتعلق الشكر لا يكون الا النعمة ومورده يكون اللسان وغيره فالحمد اعم من الشكر باعتبار المتعلق واخص منه باعتبار المورد والشكر بالعكس. [لله] هو اسم للذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، والعدول إلى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والثبات، وتقديم الحمد باعتبار انه اهم نظر إلى كون المقام مقام الحمد كما ذهب إليه صاحب الكشاف في تقديم الفعل في قوله تعالى [اقرأ باسم ربك] على ما سيجئ بيانه، وان كان ذكر الله اهم نظرا إلى ذاته. (على ما انعم) أي على انعامه، ولم يتعرض للمنعم به ايهاما لقصور العبارة عن الاحاطة به ولئلا يتوهم اختصاصه بشئ دون شئ. [وعلم] من عطف الخاص على العام رعاية **لبراعة الاستهلال** وتنبيها على فضيلة نعمة البيان (من البيان) بيان لقوله [ما لم نعلم] قدم رعاية للسجع، والبيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والصلاة على سيدنا محمد خير من نطق بالصواب وافضل من اوتى الحكمة هي علم الشرائع وكل كلام وافق الحق، وترك فاعل الايتاء لان هذا الفعل لا يصلح الا لله تعالى وفصل الخطاب اي الخطاب المفصول البين الذى يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه أو الخطاب الفاصل بين الحق والباطل وعلى آله اصله اهل بدليل اهيل، خص استعماله في الاشراف واولى الخطر (الاطهار) جمع طاهر كصاحب واصحاب وصحابته الاخيار جمع خير بالتشديد. (اما بعد) هو من الظروف المبنية المنقطعة

(١) مفاهيم إسلامية، ص/١٨٢

عن الاضافة اي بعد الحمد والصلاة، والعامل فيه اما لنيابتها عن الفعل، والاصل مهما يكن من شئ بعد الحمد

---

[١٠]." [1]

"(ويسمى) كون الابتداء مناسبا للمقصود (**براعة الاستهلال**) من برع الرجل: إذا فاق أصحابه في العلم أو غيره (كقوله في التهنئة: بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا) وكوكب المجد في افق العلى صعدا مطلع قصيدة لابي محمد الخازن يهنئ الصاحب بولد لا بنته. (وقوله في المرثية هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار) أي احذر (من بطشي) أي أخذي الشديد (وفتكي) أي قتلي فجأة مطلع قصيدة لابي الفرج الساوي يرثي فخر الدولة (وثانيها) أي ثاني المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها (التخلص) أي الخروج (مما شبب الكلام به) أي ابتدأ وافتتح قال الامام الواحدي رحمه الله معنى التشبيب ذكر أيام الشباب واللهو والغزل وذلك يكون في ابتداء قصائد الشعر فسمى ابتداء كل امر تشبيبا وان لم يكن في ذكر الشباب (من تشبيب) إلى وصف للجمال (وغيره) كالادب والافتخار والشكاية وغير ذلك (إلى المقصود مع رعاية الملائمة بينهما) أي بين ما شبب به الكلام وبين المقصود واحترز بهذا عن الاقتضاب وأراد بقوله التخلص معناه اللغوي وإلا فالتخلص في العرف هو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة. وإنما ينبغي أن يتأنق في التخلص لان السامع يكون مترقبا الانتقال من الافتتاح إلى المقصود كيف يكون، فان كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاطه وأعان على اصغاء ما بعده وإلا فبالعكس فالتخلص الحسن. (كقوله يقول في قومس) اسم موضع قومي وقد اخذت منا السرى أي اثر فينا السير بالليل ونقص من قوانا (وخطى المهرية) عطف على السرى لا على المجرور في منا كما سبق إلى بعض الاوهام وهي جمع خطوة وأراد بالمهرية الابل المنسوبة إلى مهر ابن حيدان أبي قبيلة (القود) أي الطويلة الظهور والاعناق جمع اقود اي اثرت فينا مزاولة السرى ومسايرة المطايا بالخطى ومفعول يقول هو قوله (امطلع الشمس تبغى) أي تطلب (ان تؤم) أي تقصد (بنا فقلت كلا) ردع للقوم وتنبيه (ولكن مطلع الجود وقد ينتقل منه) أو مما." [2]

---

(١) مختصر المعاني- سعد الدين التفتازاني، ص/٤

(٢) مختصر المعاني- سعد الدين التفتازاني، ص/٢٩٧

"باز جحا (١) : يتمثل به العامة ، وذلك أنه مر بصبيان يلعبون بفأر ميت ، فقال : أتبيعونيه بدرهم ، ففعلوا ، فقيل له : ما تعمل به وهو ميت ؟ قال : لو كان حيا ما بيع بخمسين درهما .

باز البر : يقال باز البر كما يقال : عقاب ملاح (٢) ؛ لأن باز البر أبصر من باز الجبل ، قال :

... ... وكنت كبازي البر قص جناحه ... ... يرى حسرات كلما طار طائر

بخت أبي نافع : كان تاجرا ما خسر قط ، فضرب مثلا ببخته .

بخر الصقر : يضرب به المثل في البخر كالأسد ، قال :

... ... وله نكهة ليث ... ... خالطت نكهة صقر

ووصف بعضهم رجلا فرد إليه مفاتح المحاسن ، فقال : أشبه من الصقر بخره ، ومن الطاووس قدمه (٣) .

بخل مادر : يضرب به المثل ، وهو من بني هلال ، بلغ من بخله أن سقى إبله ، فتغوط في بقية ما في الحوض ؛ ضنا على غيره به .

براعة الاستهلال : حسن الابتداء ، كقول المتنبي :

... أتراها لكثرة العشق ... ... تحسب الدضمع خلقة في المآقي (٤)

وقوله :

... حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا ... ... فلم أدر أي الظاعنين أشيع (٥)

وقول أبي تمام :

... لا أنت أنت ولا الديار ديار ... ... خف الهوى وتقضت الأوطار

وقول ابن المعتز :

... أخذت من شبابي الأيام ... ... وتولى الصبا عليه السلام

---

(١) في ثمار القلوب ، ص ٤٥٥ ، الفقرة ٧٣٩ : بازى جحا

(٢) عقاب ملاح على الإضافة ، أي خفيفة الضرب والاختطاف ، وأصل الملع العدو الشديد، أو السرعة والخفة .

(٣) جاءت هذه الفقرة في الثمار ، ص ٤٥٧ ، الفقرة ٧٤١ بعد ذكر بيت الشعر هكذا : ووصف بعضهم رجلا فرد إليه : شملت من المحاسن أخشنها ، ومن الماء زبده ، ومن الباز شوكته ، ومن الصقر بخره ،

ومن النار دخانها ، ومن الخمر خمارها ، ومن الدار كنيفها

(٤) ديوانه ١/٢٧٦

(٥) ديوانه ١/٧٣." [(١)]

"السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد و اللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

ومن جيد الابتداءات المشتملة على **براعة الاستهلال** قول حافظ إبراهيم في تحية عام هجري:

أطل على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا

وقول أحمد شوقي في رثاء إسماعيل صبري:

أجل وإن طال الزمان موافي أخلى يديك من الخليل الوافي

وقوله أيضا في فوز الأتراك على اليونان:

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

وربما خان الحظ بعض الشعراء المفلقين وأوقعهم نحس الطالع في مهواة سحيقة لا قرار لها إما من غفلة أو غلطة في الطبع أو استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب، واعتبر ذلك بما أنشده ذو الرمة حين دخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من قوله:

ما بال عينك منها الماء منسكب كأنه من كلى مقرية سرب١

وكان به رمش فهي تدمع أبدأن فظن أنه عرض به، فقال: بل عينك، وأمر بإخراجه.

وقيل إنه لما بنى المعتصم قصره بميدان بغداد وجمع عظماء دولته وجلس فيه في يوم حفل أنشده إسحاق الموصلي:

يا دار غيرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر.

فعلى الحاذق الفطن أن ينظر في أحوال المخاطبين، ويختار للأوقات ما يشاكلها فيقصد ما يحبون ويتجنب ما يكرهون سماعه.

٢- التخلص: الخروج، هو أن ينتقل الشاعر من فن إلى آخر بأحسن أسلوب مع لطف تخيل وحسن تخلص، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة

---

(١) عماد البلاغة للافقهسي، ص/٢٧

١ الكلى جمع كلية "بضم الكاف" والمقرية المحزوزة، والسرب الجاري.." [(١)]

"يتكون المركب المصطلحي الإضافي من مصطلحين أو أكثر يكون أولهما مضافا مرتبطا بالثاني المضاف إليه بعلاقة هي علاقة الإضافة التي تشد من عرى التركيب وتقربه من مفهوم الاسم المركب، في المنهج اللغوي الأوروبي، الذي سبق الحديث عنه (٧٣) ، إذ لا بد من أن يكون لكل مضاف مضاف إليه وهي علاقة حتمية على مستوى التركيب والتحديد الاسمي في نطاق نظرية التسمية في علم المصطلحات. يتكون المركب المصطلحي الإضافي من (اسم + اسم) أو من أداة : أداة الظرف تحت (مثلا) + اسم)، أي كل الأشكال الاسمية التي ترد في باب الصيغ الصرفية. كما يكون المركب الإضافي بسيطا: من كلمتين، أو معقدا: من ثلاث كلمات فأكثر.

ومن التركيبات البسيطة. (٧٤)

اقتضاء النص، اتصال التربيع، **وبراعة الاستهلال**، وأحدية الجمع، وشبه الظل، وشبه موصل، وعدم التوازن، وغير دوار، وغير مباشر، وغير رنان، وغير متجانس، وبين جدارين، وذو قطبين. وذو مسام، وفوق السمعيات، وتحت الأحمر، وتحت الجلد، وتحت البطانة، وتحت اللسان، وفرط التشبع، وفرط التسخين، وفرط التوصيل، وفرط الجهد.

ومن التركيبات المعقدة: (٧٥)

اجتماع الساكنين على حدة، ومقدار فلك الشمس، ونقطة الاعتدال الخريفي، وإجهاد القص الحرج، وارتفاع درجة حرارة الغليان، واستقطاب انحراف الآلة المبرزة للذبذبة، وطريقة الأسطوانة الدوارة للزوجة، واستجابة تيار الإرسال، وعدم القابلية للتلف، وبين عظام المشط، وذو نشاط إشعاعي، وذو الوسط الحديدي، وفوق السرعة الصوتية.

٣،١،٣،٢،٢ . المركب البياني الوصفي

يتكون المركب البياني عامة من كلمتين تكون ثانيتهما موضحة معنى الأولى ومرتبطة بها بعلاقة تبيين بدلا

---

(١) علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع"، /

أو توكيدا أو صفة. وبذلك،فإن المركب الوصفي يعد أحد أنماط المركب البياني وأكثرها استعمالا في الوضع المصطلحي قديمه وحديثه . (٧٦)." [١]

" ٢٧٧ - البديهي هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب سواء احتاج إلى شيء آخر من حدس أو تجربة أو غير ذلك أو لم يحتج فيرادف الضروري وقد يراد به ما لا يحتاج بعد توجه العقل إلى شيء أصلا فيكون أخص من الضروري كتصور الحرارة والبرودة وكالتصديق بأن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان

٢٧٨ - **براعة الاستهلال** هي أن يشير المصنف في ابتداء تأليفه قبل الشروع في المسائل بعبارة تدل على المرتب عليه إجمالا وهي كون ابتداء الكلام مناسبا للمقصود وهي تقع في ديباجات الكتب كثيرا

٢٧٩ - البرزخ العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة والأجسام المادية والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصل إليه وهو الخيال المنفصل وهو الحائل بين الشيئين ويعبر به عن عالم المثال أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة أعني الدنيا والآخرة ." [٢]

"ومنه **براعة الاستهلال** وهي اشتمال أول الكلام على ما يشير إلى المقصود منه كقوله في طالع قصيدة هناء:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وأما المحسنات اللفظية فمنها التجنيس ويسمى الجناس وهو تشابه اللفظين في النطق مع اختلاف المعنى وهو قديم في كلام العرب كما في المثل العربي القديم ((هذا جناي وخياره فيه، إذ كل جان يده إلى فيه)) وفي القرآن منه كثير وقول أبي تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيي لدى يحيى ابن عبد الله

وقول الحريري:

---

(١) التركيب المصطلحي طبيعته النظرية وأنماطه التطبيقية، ص/١٧

(٢) التعريفات، ص/٦٣

سم سمة تحمد آثارها ... وأشكر لمن أعطى ولو سمسمة
والمكر مهمى استطعت لأتاته ... لتقتني السودد والمكرمة

فإن كان التشابه في غالب حروف اللفظين فهو غير تام كقوله تعالى: ((وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)). ومنه القلب ويسمى الطرد والعكس وهو أن يكون الكلام إذا ابتدأته من حرفه الأخير وذهب كذلك إلى حرفه الأول يحصل منه عين ما يحصل من ابتدائه كقول القاضي أحمد الأرجاني (نسبة إلى أرجان بفتح الهمزة وتشديد الراء المفتوحة كورة من كور الأهواز ويجوز تخفيف رائها)

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم

فهذا البيت إذا ابتدأته من حرفه الآخر إلى حرفه الأول كان مثل ابتدائه من حرفه الأول.
ومنها الاقتباس والتضمين فالاقتباس هو أخذ شيء من القرآن أو كلام النبوة والتضمين أخذ شيء من الشعر المشهور ومزجه مع الكلام نظما أو نثرا ولو مع اختلاف الغرضين ولو مع تغيير يسير فمن الاقتباس قول الحريري في المقامة الثانية ((فلم يكن إلا كلمح البصر أو هر أقرب حتى أنشد فأغرب))، ومن التضمين قول ضياء الدين موسى من ملهم الكاتب في هجاء الرشيد عمر الفوي وكان أصلع وأسنانه بارزة

أقول لمعشر جهلوا وغضوا ... من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى يضع العمامة تعرفوه

ويجوز فيهما التغيير اليسير كما في المصراع الأخير المتقدم وكقول أبي القاسم ابن الحسن الكاتبي:." [1] "عن حفص.

وإلى هذه الأحكام يشير العلامة المحقق الشيخ إبراهيم على شحاتة السمنودي في رسالته المخطوطة: "بهجة اللحاظ بما لحفص من روضة الحفاظ" فيقول بعد **براعة الاستهلال:**

وبعد فهذا ما رواه معدل ... بروضته الفيحاء من طيب النشر
بإسناده عن حفص الحبر من تلا ... على عاصم وهو المكنى أبا بكر

---

(١) موجز البلاغة، ص/٥٥

ففي البدء بالأجزاء ليس مخيرا ... لبسملة بل للتبرك مستقرى
ومتصلا وسط وما انفصل اقصرن ... ولا سكت قبل الهمز من طرق القصر
وما مد للتعظيم منها ولم يجئ ... بها وجه تكبير ولا غنة تسري
وفي موضعي آلان آلذكرين مع ... ءالله أبدلها مع المد ذي الوفر
وأشمم بتأمنا ويلهث فأدغمن ... مع اركب ونخلقكم أتم ولا تزر
وبل ران من راق ومرقدنا كذا ... له عوجا لا سكت في الأربع الغر
وبالقصر قل في عين شورى ومريم ... وفخم بفرق وهو في آية البحر
وآتان نمل فاحذف الياء واقفا ... كذا الألف واحذ من سلاسل بالدهر
وبالسين لا بالصاد قل أم هم المصيد ... طرون وبالوجهين في فرده النكر
وفي يبصط الأولى وفي الخلق بصطة ... ويا سين نون ضعف روم كذا أجر
ولكن مع الإظهار صاد مصيطر ... وفي بصطة سين كذا يبصط البكر
وفتح لدى ضعف عن الفيل وارد ... وبالعكس عن زرعان والكل عن عمرو." [1]
"أن يقع العكس بين لفظين في طرفي الجملتين كقوله تعالى: ﴿ لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ .
(٢٦)
تجاهل العارف
وهو ذكر المعلوم أو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه لنكته،كقوله تعالى: ﴿ هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ﴾ أن لم يكونوا يعرفون عنه إلا أنه رجل ما.
وكقوله تعالى: ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾
وكقوله تعالى: ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ .
(٢٧)
التتميم
وهو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله إما مبالغة أو احترازا أو احتياطا .
وقيل هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه شارحا.

---
(١) غاية المريد في علم التجويد، ص/١٠١

كقوله تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبة مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ فالتتميم في قوله ﴿ على حبه ﴾ جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهائه. وكذلك قوله ﴿ وآتى المال على حبه ﴾

وكقوله تعالى: ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ﴾ فقوله ﴿ وهو مؤمن ﴾ تتميم في غاية الحسن.

وكقوله تعالى: ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾ فقوله: ﴿ وهل نجازي ﴾ إنما ورد على جهة التوكيد لما مضى من الكلام الأول.

(٢٨)

براعة الاستهلال

وهو أن يبتدئ بما يدل على ما بعده، أو هو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، كسورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده، وكقوله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

(٢٩)

التهكم

وهو الاستهزاء بالمخاطب، مأخوذ من تهكم البئر إذا تهدمت كقوله تعالى: ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ وهو خطاب لأبي جهل، لأنه قال: ما بين جبليها –يعني مكة– أعز ولا أكرم مني.." [1]

"التتميم...

براعة الاستهلال.....................................

التهكم...

حسن التخلص...

التخييل...

الفصل الثاني: المحسنات اللفظية..........................

الجناس...

السجع...

الموازنة...

---

(١) في بيان القرآن، ص/٩٧

الترصيع...

لزوم ما لا يلزم......................................

رد العجز إلى الصدر.................................

ائتلاف اللفظ مع اللفظ..............................

ا الإنسجام..

الترديد...

تطبيق.." (١)

"أن يقع العكس بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو: "كلام الملوك ملوك الكلام".

أن يقع العكس بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى: ﴿ وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ .

أن يقع العكس بين لفظين في طرفي الجملتين كقوله تعالى: ﴿ لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ (١)

(٢٦)

تجاهل العارف

وهو ذكر المعلوم أو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه لنكته،كقوله تعالى: ﴿ هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ﴾ أن لم يكونوا يعرفون عنه إلا أنه رجل ما.

وكقوله تعالى: ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾

وكقوله تعالى: ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ (٢)

(٢٧)

التتميم

وهو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله إما مبالغة أو احترازا أو احتياطا.

وقيل هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه شارحا.

كقوله تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبة مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ فالتتميم في قوله ﴿ على حبه ﴾ جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهائه، وكذلك قوله ﴿ وآتى المال على حبه ﴾

---

(١) في بيان القرآن، ص/١٢١

وكقوله تعالى: ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ﴾ فقوله ﴿ وهو مؤمن ﴾ تتميم في غاية الحسن.

وكقوله تعالى: ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾ فقوله: ﴿ وهل نجازي ﴾ إنما ورد على جهة التوكيد لما مضى من الكلام الأول(٣).

(٢٨)

براعة الاستهلال

---

(١) السابق ٤١٩

(٢) روض البيان٧٣

(٣) روض البيان ٧٠." [١]

"التقسيم...

الجمع مع التفريق...

الجمع مع التقسيم...

المبالغة...

تأكيد المدح بما يشبه الذم...................................

نفي الشيء بإيجابه..

القول بالموجب...

ائتلاف اللفظ مع المعنى......................................

الإبداع...

الأسلوب الحكيم..

تشابه الأطراف...

العكس...

تجاهل العارف...

الـتتميم..

---

(١) ري الظمآن في بيان القرآن، ص/١٠٨

براعة الاستهلال..................................
التهكم...
حسن التخلص.......................................
التخييل..
الفصل الثاني: المحسنات اللفظية.........................
الجناس..
السجع..
الموازنة..
الترصيع...
لزوم ما لا يلزم.....................................
رد العجز إلى الصدر...................................
ائتلاف اللفظ مع اللفظ................................
الإنسجام..." (١)

"وإلى هذه الأحكام يشير العلامة المحقق الشيخ إبراهيم علي شحاتة السمنودي في رسالته المخطوطة: (بهجة اللحاظ بما لحفص من روضة الحفاظ) – طريق الفيل وذرعان – والملاحظ أنه ذكر أن المتصل يمد أربع حركات، فيقول بعد **براعة الاستهلال**:

وبعد، فهذا ما رواه معدل ... بروضته الفيحاء من طيب النشر
بإسناده عن حفص الحبر من تلا ... على عاصم وهو المكنى أبا بكر
ففي البدء بالأجزاء: ليس مخيرا ... لبسملة بل للتبرك مستقري
ومتصلا وسط، وما انفصل اقصرن ... ولا سكت قبل الهمز من طرق القصر
وما مد للتعظيم منها، ولم يجئ ... بها وجه تكبير ولا غنة تسري
وفي موضعي: (ءالآن)، (ءالذكرين) مع ... (ءالله) أبدلها مع المد ذي الوفر
وأشمم بـ: (تأمنا)، و(يلهث) فأدغمن ... مع (اركب) و(نخلقكم) أتم ولا تزر

(١) ري الظمآن في بيان القرآن، ص/١١٨

و(بل ران)، (من راق)، (ومرقدنا) كذا ... (له عوجا) لا سكت في الأربع الغر

وبالقصر قل في: (عين) شورى ومريم ... وفخم بـ: (فرق) وهو في آية البحر

و(ءاتان) نمل فاحذف الياء واقفا ... كذا الألف احذف من: (سلاسل) بالدهر

وبالسين لا بالصاد قل: (أم هم المصيـ ... طرون)، وبالوجهين في: فرده النكر

وفي: (يبصط) الأولى و(في الخلق بصطة) ... و(ياسين)، (نون)، (ضعف) روم كذا أجر

ولكن مع الإظهار صاد (مصيطر) ... وفي (بصطة): سين، كذا (يبصط) البكر

وفتح لدى (ضعف) عن الفيل وارد ... وبالعكس عن ذرعان والكل عن عمرو

- - - - -

الخلاصة." (١)

"وقد رسم أسلوب الفاتحة للمنشئين ثلاث قواعد للمقدمة : القاعدة الأولى: إيجاز المقدمة لئلا تمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود وهو ظاهر في الفاتحة ، وليكون سنة للخطباء فلا يطيلوا المقدمة كي لا ينسبوا إلى العي فإنه بمقدار ما تطال المقدمة يقصر الغرض ، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة . الثانية : أن تشير إلى الغرض المقصود وهو ما يسمى **براعة الاستهلال** لأن ذلك يهيئ السامعين لسماع تفصيل ما سيرد عليهم فيتأهبوا لتلقيه إن كانوا من أهل التلقي فحسب ، أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدرجة ، ولأن ذلك يدل على تمكن الخطيب من الغرض وثقته بسداد رأيه فيه بحيث ينبه السامعين لوعيه ، وفيه سنة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم . وقد تقدم بيان اشتمال الفاتحة على هذا عند الكلام على وجه تسميتها أم القرآن . الثالثة : أن تكون المقدمة من جوامع الكلم وقد بين ذلك علماء البيان عند ذكرهم المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها . الرابعة : أن تفتتح بحمد الله .(١)

وهو من المكثرين جدا في الاستدلال بالشعر في أصل الكتاب وحاشيته وقلما تمر صفحة إلا وفيها بيت من الشعر إن لم يكن أكثر .

وهو حريص جدا على نسبة الشواهد الشعرية لأصحابها حتى إنه قال فيما لم يقف على من قاله : كقول بعض فتاك العرب في أمه (أنشده في الكشاف ولم أقف على تعيين قائله) ... (٢).

---

(١) رواية حفص عن عاصم من طريق روضة المعدل (من طرق قصر المنفصل) ومن طريق الشاطبية، ص/٢٤

ومن مواضع خروجه عن التفسير استطراده في تسمية بعض الشعراء تعليقا على اسم شاعر استدل ببيت له (٣) .

ومن استطراداته بذكر أشعار كثيرة كشواهد في مسألة واحدة ماذكره تحت قوله تعالى ﴿ الم ﴾ (٤)

وقد وصل به الأمر إلى شرح شعر الشواهد . (٥)

وهو يعتمد في كثير من ذلك على الكشاف وشروحه اعتمادا كبيرا .

ومن مواضع اهتمامه بالتنبيه على النكات البلاغية :

---

(١) ١/١/١٥٢-١٥٣

(٢) ١/١/٣٠١

(٣) ١/١/٢٢٠

(٤) البقرة :١ ، وانظر ١/١/١٠٩-١١٠

(٥) انظر : ١/١/٣١٦." [١]

"جدول شامل لطريق ذرعان من روضة المعدل وطريق الشاطبية

الخلاف

طريق ذرعان من روضة المعدل

طريق الشاطبية

البسملة في أجزاء السورة

متعينة للتبرك

جائزة

المد المتصل

أربع حركات على المختار والأرجح

المد المنفصل ومنه مد التعظيم

---

(١) رسالة عن مناهج المفسرين، ٢١/٦

يجب قصره حركتين

يجب مده أربعا على الأرجح

السكت قبل الهمز

لا سكت قبل الهمز: لا خاص ولا عام

النون الساكنة أو التنوين قبل اللام والراء

إدغام كامل بدون غنة

(ويبصط)البقرة، و(بصطة)الأعراف

بالصاد فقط

بالسين فقط

(يلهث ذلك) و(اركب معنا)

يجب الإدغام عند الوصل

باب ءالآن

الإبدال فقط.

الإبدال أو التسهيل.

ما لك لا تأمنا

الإشمام فقط.

الإشمام أو الاختلاس.

عوجا، مرقدنا، من راق، بل ران

ترك السكت وصلا

يجب السكت وصلا

العين من: كهيعص وعسق

بالقصر حركتين

أربع أو ست حركات

(فرق) حال الوصل

التفخيم فقط.

التفخيم والترقيق.

(ءاتان) حال الوقف

بحذف الياء وسكون النون.

إثباتها أو حذفها مع سكون النون.

فتح أو ضم ضاد (ضعف) في الروم

بضم الضاد

يجوز الوجهين

إظهار وإدغام: يس ون

بالإدغام

يجب الإظهار فقط

المصيطرون

بالسين فقط

بالصاد أو السين.

(سلاسلا) في الإنسان وقفا

بحذف الألف وسكون اللام

بالإثبات أو الحذف مع سكون اللام

(نخلقكم)

يجب الإدغام الكامل ولا أثر للقاف

بمصيطر

بالسين

بالصاد فقط

التكبير

لا تكبير أول كل سورة ولا في الختم

- - - - -

نظم طريق روضة المعدل

وإلى هذه الأحكام يشير العلامة المحقق الشيخ إبراهيم علي شحاتة السمنودي في رسالته المخطوطة: (بهجة اللحاظ بما لحفص من روضة الحفاظ) - طريق الفيل وذرعان - والملاحظ أنه ذكر أن المتصل يمد أربع حركات، فيقول بعد **براعة الاستهلال**:." [1]

"وقد رسم أسلوب الفاتحة للمنشئين ثلاث قواعد للمقدمة : القاعدة الأولى: إيجاز المقدمة لئلا تمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود وهو ظاهر في الفاتحة ، وليكون سنة للخطباء فلا يطيلوا المقدمة كي لا ينسبوا إلى العي فإنه بمقدار ما تطال المقدمة يقصر الغرض ، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة . الثانية : أن تشير إلى الغرض المقصود وهو ما يسمى **براعة الاستهلال** لأن ذلك يهيئ السامعين لسماع تفصيل ما سيرد عليهم فيتأهبوا لتلقيه إن كانوا من أهل التلقي فحسب ، أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدرجة ، ولأن ذلك يدل على تمكن الخطيب من الغرض وثقته بسداد رأيه فيه بحيث ينبه السامعين لوعيه ، وفيه سنة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم . وقد تقدم بيان اشتمال الفاتحة على هذا عند الكلام على وجه تسميتها أم القرآن . الثالثة : أن تكون المقدمة من جوامع الكلم

---

(١) رواية حفص من طريق الفيل والمعدل، ٣١/٢

وقد بين ذلك علماء البيان عند ذكرهم المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها . الرابعة : أن تفتتح بحمد الله .( )

وهو من المكثرين جدا في الاستدلال بالشعر في أصل الكتاب وحاشيته وقلما تمر صفحة إلا وفيها بيت من الشعر إن لم يكن أكثر .

وهو حريص جدا على نسبة الشواهد الشعرية لأصحابها حتى إنه قال فيما لم يقف على من قاله : كقول بعض فتاك العرب في أمه (أنشده في الكشاف ولم أقف على تعيين قائله) ... ( ).

ومن مواضع خروجه عن التفسير استطراده في تسمية بعض الشعراء تعليقا على اسم شاعر استدل ببيت له . ( )

ومن استطراداته بذكر ( ) ﴾ الم ﴿ أشعار كثيرة كشواهد في مسألة واحدة ماذكره تحت قوله تعالى وقد وصل به الأمر إلى شرح شعر الشواهد . ( )

وهو يعتمد في كثير من ذلك على الكشاف وشروحه اعتمادا كبيرا .

ومن مواضع اهتمامه بالتنبيه على النكات البلاغية :." [1]

"وهذه السورة وضعت في أول السور لأنها تنزل منها منزل ديباجة الخطبة أو الكتاب، مع ما تضمنته من أصول مقاصد القرآن كما علمت آنفا وذلك شأن الديباجة من **براعة الاستهلال**. وهذه السورة مكية باتفاق الجمهور، وقال كثير إنها أول سورة نزلت، والصحيح أنه نزل قبلها)اقرأ باسم ربك(وسورة المدثر ثم الفاتحة، وقيل نزل قبلها أيضا)ن والقلم(وسورة المزمل، وقال بعضهم هي أول سورة نزلت كاملة أي غير منجمة، بخلاف سورة القلم ، وقد حقق بعض العلماء أنها نزلت عند فرض الصلاة فقرأ المسلمون بها في الصلاة عند فرضها، وقد عدت في رواية عن جابر بن زيد السورة الخامسة في ترتيب نزول السور. وأيا ما كان فإنها قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب وأمر بأن تكون أول القرآن.

قلت: ولا يناكد ذلك نزولها بعد سور أخرى لمصلحة اقتضت سبقها قبل أن يتجمع من القرآن مقدار يصير به كتابا فحين تجمع ذلك أنزلت الفاتحة لتكون ديباجة الكتاب. وأغراضها قد علمت من بيان وجه تسميتها أم القرآن.

وهي سبع آيات باتفاق القراء والمفسرين، ولم يشذ عن ذلك إلا الحسن البصري، قال هي ثمان آيات، ونسب أيضا لعمرو بن عبيد وإلى الحسين الجعفي قال هي ست آيات، ونسب إلى بعضهم غير معين أنها

---

(١) مقدمة التحرير والتنوير، ١/١٨

تسع آيات، وتحديد هذه الآيات السبع هو ما دل عليه حديث الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل، قسمت الصلاة نصفين بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد)الحمد لله رب العالمين(، فأقول حمدني عبدي، فإذا قال العبد)الرحمن الرحيم(، يقول الله أثنى علي عبدي، وإذا قال العبد)مالك يوم الدين(، قال الله مجدني عبدي، وإذا قال)إياك نعبد وإياك نستعين(، قال الله: هذا بيني وبين عبدي، وإذا قال)اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين(، قال الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل اه.." (١)

"صفحة : ٨٧

وأنت إذا افتقدت أصول نجاح المرشد في إرشاده والمسترشد في تلقيه على كثرتها وتفاريعها وجدتها عاكفة حول هذه الأركان الستة فكن في استقصائها لبيبا. وعسى أن أزيدك من تفصيلها قريبا.

وإن الذي لقن أهل القرآن ما فيه جماع طرائق الرشد بوجه لا يحيط به غير علام الغيوب لم يهمل إرشادهم إلى التحلي بزينة الفضائل وهي أن يقدروا النعمة حق قدرها بشكر المنعم بها فأراهم كيف يتوجون مناجاتهم بحمد واهب العقل ومانح التوفيق. ولذلك كان افتتاح كل كلام مهم بالتحميد سنة الكتاب المجيد. فسورة الفاتحة بما تقرر منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب أو المقدمة للخطبة، وهذا الأسلوب له شأن عظيم في صناعة الأدب العربي وهو أعون للفهم وأدعى للوعي.

وقد رسم أسلوب الفاتحة للمنشئين ثلاث قواعد للمقدمة: القاعدة الأولى إيجاز المقدمة لئلا تمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود وهو ظاهر في الفاتحة، وليكون سنة للخطباء فلا يطيلوا المقدمة كي لا ينسبوا إلى العي فإنه بمقدار ما تطال المقدمة يقصر الغرض، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة. الثانية أن تشير إلى الغرض المقصود وهو ما يسمى **براعة الاستهلال** لأن ذلك يهيئ السامعين لسماع تفصيل ما سيرد عليهم فيتأهبوا لتلقيه إن كانوا من أهل التلقي فحسب، أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدرجة، ولأن ذلك يدل على تمكن الخطيب من الغرض وثقته بسداد رأيه فيه بحيث ينبه السامعين لوعيه، وفيه سنة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم. وقد تقدم بيان اشتمال الفاتحة على هذا عند

---

(١) مقدمة التحرير والتنوير، ١٩٨/٢

الكلام على وجه تسميتها أم القرآن. الثالثة أن تكون المقدمة من جوامع الكلم وقد بين ذلك علماء البيان عند ذكرهم المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها. الرابع أن تفتتح بحمد الله.." (١)

"وأما سورة النساء٥ تيه-. حما أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان: محلوقة دنه تعالى، ومقدرة لهم؟ كالنسب والصهر؟ ولهذا افتتحت بقوله: أيا أ نصا الناس اتقوا ربكلم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زؤتجها! أ النساء: ا،. ثم قال: (واتفوا الله الذي تساق دون به والأرحام !. فانظر هذه الناسبة العجيبة بالافتتاح **وبراعة الاستهلال**، حيث تضمنت الآية المفتتح نصا نظير السورة في أحكامه من نكلاس النساء ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام؟ وإن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم بخلق زوجه منه، ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء في غاية الكر ة.

وأما المائدة فقد تضمنت بيان تمام الشرائع، وتكتلات الدين، والوفاء بعهود الرسول، وما أخذ على الأمة، وبهما تم الدين؟ فهي سورة التكلميل؟ لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة العقدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام نوظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله؟ ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محدد؟ كالوضوء، والتيمم، والحكم بالقرآن علا كل ذي دين؟ ولهذا أكد فيها من لفظ الإتمام والإكمال، وذكر فيها أن من ارتد غوين الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملا ولهذا ورد فيهاش أنها آخر ما نزل، لما فيها من إشارات الختم وإلمام.

وهذا الكتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الكتيب.

وقال أبو جعفر بن الزبير: حكى الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على مع القرآن، ووضعوا سورة " القذر لا عقمت " الغرق لا، استدلوا بذلك على أن المراد بذلك الكلناية في قوله: وإنا أنزلناه في ليلة القذيى! الإشارة إلى قوله اقرأ.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا بديع جدا

٥٤." (٢)

"الاسم لما بينهن من التشتاكل الذي اختصت به؟ وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صيغة الكتاب، مع تفاوت المقادير في الطول، والقهر، وتشاكل الكلام في النظام.

---

(١) مقدمة التحرير والتنوير، ٢/٢٢٤

(٢) معترك الأقران للسيوطي، ص/٥٨

الوجه الخامس من وجوه إعطاؤه

ا فتتاح السور وخواتمها

وهو من أحسن البلاغة عند البيانيين. وهو أن يتألق في أول الكللام؟ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محررا قتل السامع قيل الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، وإن كان في نهاية الحسن؟ فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقه، وأجزله وأسلسه، وأحسنه نظما وسبكه، وأصحه معنى وأوضحه، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس، أو الذي لا يناسب. قالوا: وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأكملها؟ كالتحميدات، وحروف النداء، والهجاء، وغير ذلك.

ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى **براعة الاستهلال**، وهو أن يشتمل أول الكللام على ما يناسب الحال التكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام رأجله؟ والشتم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن؟ فإنها مشتملة على بيع مقاصده؟ لأنه افتتح فيها فنبه في الفاتحة على بيع مقاصد القرآن. وهذا هو الغاية في **براعة الاستهلال**، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة، والمقاطع المتحسنة وأنواع البلاغة.

وخواتم السور مثل الفواتح في الحسن؟ فلهذا جاءت متضمنة للمعافي البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكللام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد؟ لأنها بين أدعية ووصايا، وفرائض، وتحميد وتهليل ومواعظ، ووعد ووعيد، إلى غير ذلك، كتفصيل جلة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي العتبة يغضمب الله والضلال، ففضل جلة

٥٨." (١)

"المعاد؟ وإليه الإشارة تجايلث يؤم الدين. وعم العبادات؟ وإليه الإشارة بشتاك نغرد. وعم السلوك، وهو طفل النفس على الآداب الشرعية، والانقياد لرب البرية؟ وإليه الإشارة وإياك نستعين، افلإنا الضباط الستقيم. وعم القصص، وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية؟ ليعم الطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه؟ وإليه الإشارة بقوله: صراط الذين أنعمت عليهم غير الغضوب عليهم ولا الضالين.

فتته في الفاتحة على بيع مقاصد القرآن؟ وهذا هو الغاية في **براعة الاستهلال**

مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والقاطع المتحسنة وأنواع البلاغة. وكذلك أول سورة اقرأ لكلونها أول ما نزل من القرآن؟ فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها بايرم الله؟ وفيها الإشارة إلى عم الأحكلام،

---

(١) معترك الأقران للسيوطي، ص/٦٢

وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب، وإثبات ذاته وصفاته، من صفات ذات وصفة فعل؟ وفي هذا الإشارة إلى أصول الدين. وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: (غقتم الإئستان ما تتم يغقئم ! أ العلق: هـ،؟ ولهذا قيل: إنها جديرة أن يسمى عنوان القرآن؟ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله.

والكللام في هذا الوجه عريض، أفرده بالتأليف ابن أبي الإصبع في كتاب

سماه " الخواطر الجوانح في أسرار الفواتح "، وهأنا ألخص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره، طالبا ممن نظر فيه دعوة خالصة في وقت استجابة أن ينفعنا وسذا القرآن العظيم بجاه نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:

أعم أن الله تعالى افتتح القرآن بعثصرة أنواع من الكلام لا يخرج !ثيء من السور عنها:

الأول: الثناء عليه تعالى؟ والثناء قسمان: إثبات لصفات الدم، ونفي وتنزيه

عن صفات النقص؟ فالأول التحميد في خس سور، و وتبارك ! في سورتين. والثاني: التسبيح في سبع سور.

قال اليهزماني في متشابه القرآن: التسبيح كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالصدر ٦١." [1]

"الموضوع الصفحة أساب الربط ٤٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ الخلص.............

!٤٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ الفرق بين التخلص والاستطراد ٤٨٠٠٠ حسن الطلب

٤٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ الأمر الكلي السيد عرفان مناسبة

ا لآيات ٤٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ من الآيات ما أشكلت مناسبتها

٤٩٠٠٠ مناسبة السور ٥١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ أسباب ترتيب السور في المصحف

٥٣٠ افتتاح السور بالحروف المقطعة ٥٥٠٠٠٠٠ أنزل القرآن على سبعة أحرف ٥٦٠٠٠٠٠

الوجه الخامس من وجوه إعجازه

افتتاح السور وخواتمها ٥٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

براعة الاستهلال ٥٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

خواتم السور ٥٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

الحكمة في ختم القرآن بالعوذتين.. علوم القرآن........................ في فواتح السور.................... ... ٦٠ ٦٠ ٦١

---

(١) معترك ال أقران للسيوطي، ص/٦٦

! الوجه السادس من وجوه إعجازه

مشتبهات آياته ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٦٦

الوجه السالب من وجوه إعجازه

ورود مشكلہ حتى يوهم التعارض بين

سؤال وجواب من ابن عباس ٠٠٠٠٠٠٧٣

للاختلاف أسباب ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٧٧

الموضوع الصفحة إذا تعارضت الآي وتعذر فيها

الرتيب والجمع ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٨٢ الوجه الثامن من وجوه إعجازه

وقوع ناسخه ومنسوخه ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٨٣ اختلاف العلماء في الناسخ والنسور ٨٣ مسائل في النسخ: معنى النسخ ٠٠٠٠٠٠٨٤ أين يقع النسخ؟ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٨٤ أقسام النسخ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٨٥ من النسوة: من البقرة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٨٨ من آل عمران ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٨٩ من

النساء٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٨٩

من المائدة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٨٩

من الأنفال

ا لأحزاب المجد د أة

الحكمة في رفع الحكم وإبقاء التلاوة ليس في القرآن ناسخ إلا والنسور قبله في الرتيب.................

٩٣ ٩٣ ٩٣

مجوز نسخ الناسخ................... أول ما نسخ من القرآن........... هل وقع النسخ في الحي.......... يرجع في النسخ إلى فعل صريح عن

٩٤

٣٩." (١)

---

(١) معترك الأقران للسيوطي، ص/٤٠٢

"بهذا تبين لنا كيف أن كل سورة منها قد اختصت بغيرما اختصت به الأخرى من مقتضيات الحمد ، وكيف أنها رتبت ترتيبا محكما ، فكانت (أم الكتاب) جامعة للمحامد وكانت الأنعام للإيجاد الأول الذى يسبق الإبقاء الأول الذى كانت له (الكهف) وكان الإيجاد الثانى بسورة (سبأ) وكانت آخر السور الخمس (فاطر) للنعمة العظمى والأخيرة (الإبقاء الثانى).(١)

وبهذا يتبين لك عظيم دلالة الاستهلال على المقاصد المتصاعدة في السياق القرآني ، فلا يكون بملك أحد من العالمين أن يقدم سورة على أخرى ﴿ قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ﴾ (النساء: من الآية٧٨)

؟؟؟

(بيان الفصل بين هذه السور)

قد يكون الالتفات إلى دلالة استهلال هذه السور بالحمد ميسرا ، فينبعث القلب إلى التبصر والتدبر، غير أن من اللطافة بمكان فصل السياق الـترتيلى بين سورة (الفاتحة) وسورة (الأنعام) بأربع سور :(البقرة ،وآل عمران ، والنساء،والمائدة) وهي جميعها مدنية بين مكيتين

---

(١) – كنت قد تناولت شيئا من القول في استهلال هذه السور الخمس بالحمد في فصل من فصول بحثي لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) سنة : ١٤٠٣هـ ، وهي لما تنشر في الناس بعد =؟ ؟ == فراجعه في كلية اللغة العربية بالقاهرة إن احببت ، أوراجع كتابي : (الإمام البقاعي : جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم) وهومنشور، وأنا أشرف الآن على دراسة للعالمية (الدكتوراه) في بلاغة القرآن الكريم في كلية اللغة العربية بالمنوفية موضوعها (**براعة الاستهلال** بالحمد في السور الخمس: دراسة تحليلية) يقوم لها الباحث " شحاته عبد الرزاق " المدرس المساعد بقسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالمنوفية .." [١]

"الآية (٤٦) قال تعالى : ؟ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ؟ .

القرآن الكريم مليء بالأساليب البلاغية التي تنبئ عن مدى الرقي في طرح المواضيع ، وعن ما بها من بلاغة نادرة ، ولنتتبع عبارات هذه الآية الكريمة ، فنجد أن الذي نجا وتذكر بعد مدة قد دخل على يوسف ، فقال : " يا يوسف " ووصفه بالمبالغة في الصدق بقوله : " الصديق " حسبما شاهده وذاق أحواله وجربها

---

(١) العزف على أنوار الذكر، ص/٧٦

؛ لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره ؛ فهو من باب " **براعة الاستهلال** " ، وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ، ومثاله في الشعر قول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

أين الرواية بل أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

وانظر أيها القارئ إلى الرقة وعذوبة الأسلوب في مناداته،وكيف أن عدم ذكر أداة النداء قد أشعرت بسمو عاطفة ونبل خلق.ناهيك عن وصفه بالصديق، قال:؟ يوسف أيها الصديق ؟ .

وحيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بـ " الإفتاء " ولم يقل كما قال هو وصاحبه في السجن : " نبئنا بتأويله " ولننظر إلى الدقة في نقل الصورة وطرحه لمبتغاه فقال : ؟ أفتنا ؟ مع أنه المستفتي وحده ؛ وذلك إشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره .

الآية (٤٧) قال تعالى : ؟ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ؟ .." (١)

" فهو برهان لمي نحو هذا متعفن الأخلاط وكل متعفن الأخلاط محموم فهذا محموم فمتعفن الأخلاط كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن فهو إني نحو هذا محموم وكل محموم متعفن الأخلاط فهذا متعفن الأخلاط فالحمى وإن كانت علة لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن لكنها غير علة له في الخارج بل الأمر بعكسه

البرزخ لغة الحاجز والحد بين الشيئين وهو في القيامة الحائل بين المرء وبلوغ المنازل الرفيعة وهو في عرف أهل الحقيقة العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة والأجسام المادية والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصل إليه وهو الخيال المنفصل ذكره بعضهم وقال دمرداش البرزخ هو عالم الخيال وهو عالم المثال وهو عالم السمسمة

براعة الاستهلال كون ابتداء الكلام مناسبا للمقصود وتقع في غرر الكتب كثيرا

---

(١) الاعجاز البلاغي في قصة يوسف عليه السلام، ص/٨٢

البرسام ورم حار يعرض للحجاب الذي بين الكبد والأمعاء ثم يتصل إلى الدماغ قال ابن دريد وهو معرب ." [١]

"...ويجد القارئ أن المفسرين، والمشتغلين بعلوم القرآن والدراسات القرآنية، كثيرا ما يتوقفون عند السر في اختتام آية ببعض الأسماء الحسنى واختتام غيرها بغيرها، وكذا التوقف عند ما أسموه **براعة الاستهلال** بالنسبة لسورة معينة، أو حسن اختتامها، والمعنى من تتالي آيتين أو سورتين، زائدا على القول السابق في تفسير كل منهما على حدة، ومثله في ترتيب المواضيع في الآية الواحدة، كالسر في ترتيب أركان الإيمان في الآية الكريمة (آمن الرسول...) [البقرة:٢٨٥]، أو الحكمة في ترتيب وجوه البر، في قوله تعالى: (ليس البر...) [البقرة:١٧٧]، والمعاني من كون الفاتحة في أول المصحف، والمعوذتين في آخره.

إظهار أسرار الإعجاز القرآني والكشف عن كنوزه

...التناسب وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم، يقول البقاعي في نظم الدرر :" وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين : أحدهما : نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني : نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب "(١).

...وحول الإعجاز في الترتيب، يقول الفخر الرازي في ختام تفسير سورة البقرة:" ومن تأمل في لطائف تفسير هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب ألفاظه وشرف معانيه، فهو معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته"(٢). وقال الشيخ أبو بكر النيسابوري:" إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية، والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة، ترتيبا وتماسكا"(٣).

---

(١) ...البقاعي، نظم الدرر،(١/٧).

(٢) ...الرازي، التفسير الكبير،(٣/١٠٦).

(٣) ...حسن، سامي عطا، المناسبات بين الآيات والسور، www.saaid.net ، نقله عن: رضوان، د. بسيوني عرفة، الفصل والوصل،(ص ٣٩) مكتبة الرسالة، القاهرة.." [٢]

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، ص/١٢٤

(٢) التناسب في سورة البقرة، ٢/٥٨

"من البلاغة عند أهل البيان حسن الابتداء: وهو أن يتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، وعدوا من الابتداء الحسن **براعة الاستهلال**؛ بمعنى أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق(١) الكلام لأجله، والعلم الأسن في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن؛ فإنها مشتملة على جميع مقاصده(٢).

وقد أكد الزركشي أن خواتم السور مثل فواتحها في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد(٣).

ومن جهة ثانية فإن الخاتمة لأي نص، تمثل نتيجته ونهايته، وكثيرا ما تعود على بدء النص(٤) لتذكر به، وتؤكد على ما جاء فيه، وتحقق التماسك معه(٥).

ويلفت الانتباه تركيز عدد من العلماء، على أهمية الفواتح والخواتم للكلام عموما، وللقرآن على وجه الخصوص، لكونهما أول وآخر ما يقرع السمع؛ وبالتالي الأعمق أثرا من جهة، ثم أهمية الفواتح في الإشارة إلى موضوع الكلام وتتمة الموضوع، والخواتم في إيذانها بانتهاء الموضوع.

---

(١) ...عند السيوطي وابن عقيلة المكي: (سبق)، والسياق يرجح ما أورده الباحث أعلاه.

(٢) ...السيوطي، الإتقان،(٢/٢٣٠)، وابن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، (٦/٢٨٢-٢٨٣)، رسائل جامعية، بإشراف مركز بحوث جامعة الشارقة، سلسلة النشر العلمي، رقم(٣٨)، الشارقة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، بتصرف.

(٣) ...الزركشي، البرهان، (١/٢٣٣).

(٤) ...الأسطة، عادل ،العناوين والنهايات القصصية، في مجموعة توفيق زياد القصصية"حال الدنيا"www.najah.edu-

(٥) ...الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي،(٢/١٢٤)، دار قباء، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م.." [١]

"الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ، ص : ٢٨٠

و من الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى **براعة الاستهلال** ، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب

---

(١) التناسب في سورة البقرة، ٤/٢

الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله ، والعلم الأسنى فى ذلك سورة الفاتحة التى هى مطلع القرآن ، فإنها مشتملة على جميع مقاصده.." [١]

"الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ، ص : ٢٨٧

و السور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا ب أهل الكتاب ، يا بني إسرائيل يا أيها الذين آمنوا وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التى بين الناس ، وهى نوعان : مخلوقة لله ، ومقدورة لهم ، كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله :

اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ثم قال :

و اتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام فانظر هذه المناسبة العجيبة فى الافتتاح **وبراعة الاستهلال** ، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر السورة فى أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالأرحام ، فإن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ، ثم خلق زوجته منه ، ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء فى غاية الكثرة.

و أما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ، ومكملات الدين ، والوفاء بعهود الرسل ، وما أخذ على الأمة ، وبها تم الدين ، فهى سورة التكميل ، لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذى هو من تمام الإحرام ، وتحريم الخمر الذى هو من تمام حفظ العقل والدين ، وعقوبه المعتدين من السراق والمحاربين الذى هو من تمام حفظ الدماء والأموال ، وإحلال الطيبات الذى هو من تمام عبادة الله تعالى ، ولهذا ذكر فيها ما يختص شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل ذى دين ، ولهذا أكثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام ، وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه ، ولا يزال هذا الدين كاملا ، ولهذا أورد أنها آخر ما نزل فيها من إشارات الختم والتمام.

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب ، وحكى أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق ، استدلوا بذلك على أن المراد بها الكناية فى قوله : إنا أنزلناه في ليلة القدر الإشارة إلى قوله : اقرأ.

ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة ، واختصاص كل واحدة بما بدئت به ، حتى لم يكن لترد آلم فى موضع الر ولا حم فى موضع طس.

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٦٧٧

وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها ، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له ، فحق لكل سورة منه ألا يناسبها غير الواردة فيها ، فلو وضع ق." [١]

"وألف رسالة مسماة **ببراعة الاستهلال**. فيما يتعلق بالشهر والهلال. ونظم رسالة متعلقة بمنازل القمر. موسومة بمناهل السمر. وشرحها وكتب على آية الكرسي رسالة وكتب قطعة على الخزرجية وولى التدريس سنة خمس بعد الألف فدرس به في أوائل شهر ربيع الثاني من السنة المذكورة وشرع في كتابة شرح على كنز الدقائق مجردا عن نقل خلاف غير المذهب فشرح كتاب النكاح والرضاع وكتاب الحج منه بديباجة مستقلة فصار كتابا مفيدا في المناسك وذلك في سنة ثمان بعد الألف وأفتى بعد موت شيخه القاضي علي بن جار الله على مذهب أبي حنيفة وانتهت إليه الفتوى بالديار المكية انتهى. وقرأت في إجازته للشيخ العلامة شهاب الدين أحمد المقري الأندلسي ما نصه. كان مولدي بمكة المشرفة ليلة الجمعة الخامس من جمادي الأولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فلقبت بشرف المدرسين وهو تاريخ عام ولادتي المذكورة على ما جرت به عادات المشارقة من ضبط تواريخ المواليد والوقائع بلفظ يكون عدد حروفه بحساب الجمل مطابقا لعدد ذلك العام ثم شرعت في الاشتغال على علمآء الحرم. ومن يفد إليه من عرب وعجم بعد أن حفظت القرآن العظيم وصليت به التراويح اماما بالمسجد الحرام سنين عديدة وحفظت متونا عديده. في فنون مفيده. أجزت بها عند عرضها على المشايخ ثم قلدت تدريس مدرسة الوزير محمد باشا التي بمكة المكرمة في عام تسع وتسعين وتسعمائة فدرست بها الجامع الصحيح للبخاري وأمليت عليه شرحا إلى كتاب العلم وصنفت في عام ألف منظومتي التي في الصرف التي قلت في آخرها شعر

فهاك نظما شافيا في الصرف ... ألف في مكة عام ألف

ثم اشتغلت بالتأليف والتدريس والاشتغال إلى أن قلدت الأمر الخطير. والشأن الذي لولا الرجا لعفو الله لكنت منه على وجل كبير. وهو القيام بأعبآء الفتوى في سنة إحدى عشرة بعد الألف وهي سنة وفاة شيخنا الامام. شيخ مشايخ الاسلام. الشيخ علي ابن جار الله بن ظهيرة القرشي الحنفي مفتي مكة وابن مفتيها فباشرته حسبة إلى سنة عشرين بعد الألف فقلدت الافتاء السلطاني وخدمة الامامة والخطابة بالمسجد الحرام ثم قلدت في سنة سبع وعشرين بعد الألف تدريس المدرسة السليمانية فأقرأت فيها تفسير البيضاوي مع حاشية جدي الشيخ مرشد العمري وكنت في أيام الشباب. وخلو الزرع من الأوصاب. ربما تعلقت بأهداب الشعر فلي فيه قصائد ومقاطيع وأسئلة منظومة وأجوبة كذلك حسبما يرد من ذلك النوع واخوانيات

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٦٨٤

ومداعبات. والغازات ومعمايات ومعارضات. وقد امتدحت شريف مكة وحامي حماها الحسن بن أبي نمي بن بركات بقصيدة عارضت بها قصيدة ابن هانيء المغربي التي مطلعها

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر ... وأمدكم فلق الصباح المسفر

وامتدحت ابنه المسعود بقصيدة ذات تواريخ ستة مشجرة في أبياتها على اسلوب عنوان الشرف لابن المقري فلما تقلدت القيام بأمر الفتوى أشغلني ذلك. عن سلوك هذه المسالك.

وأنشدت قول المعري

بعين الشعر أبصرني أناس ... فلما ساءني أخرجت عينه

خروجا بعد راء فهو راء ... فسار الشعر مني الشرع عينه

اللهم إلا ما يستدعيه الحال من أجوبة ما برد إلي من رسائل الاخوان مشتملة على نظم قلائد العقيان. فتقتضي لمشاكله. والموافقة في المراسله. فلي أجوبة عما ورد إلي من علماء الآفاق. مما يستدعيه الوفا. وقد اجتمع عندي من ذلك شيء كثير. ضمن سفر كبير. ولي ديوان خطب لاني منذ تقلدت الخطابة لم أزل أنشي في كل نوبة خطبة تناسب الوقت فاجتمع عندي من ذلك في نحو عشر سنين ما يناهز الستين انتهى ما أردت نقله من كلامه في اجازته المذكورة وعد من مصنفاته فيها الفتح القدسي. تفسير آية الكرسي. وتعميم الفائده. بتفسير المآئده. وهي رسالة وقع الكلام فيها على معنى قول الجلال السيوطي عند تفسير قوله تعالى لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير. ومنه إثابة الطائع وتعذيب العاصي وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر.." (١)

"ومنها شرح صحيح البخاري المقدم ذكره وشرح مناسك الكنز. المسمى بفتح مسالك الرمز. ومنها رسالة تتعلق بالوقف مسماة بوقوف الهمام المنصف. عند كلام الامام أبي يوسف. ألفها لما وقع الخلاف بينه وبين بعض المفتين في مسئلة تتعلق بالأوقاف ومنها المنظومة في علم التصريف. المسماة بترصيف التصريف. وشرحها الموسوم بالشرح اللطيف. ومنها الوافي. لشرح الكافي. في العروض والقوافي. ومنها شرح عقود الجمان. في المعاني والبيان. للجلال السيوطي شرحها مزجا بشرح مطول. يكاد يزيد على المطول. ومنها رسالة منظومة في منازل القمر. وشرح عليها موسوم بمناهل السمر. ومنها كتاب يتعلق بالشهور والأيام. وما يناسب ذلك من مباحث وكلام. له بكل علم تعلق والمام. مسمى **ببراعة الاستهلال**. فيما يتعلق بالشهر والهلال ومما لم يذكره شرح ألفية الجلال السيوطي والأشعار. بما لقائله من الانشا والأشعار. والله أعلم

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/٣٧

ولم يزل ممتطيا صهوة العز المتين. وراقيا ذروة طود الجاه الركين. لا يقاس به قرين. ولا تطأ آساد الشرى له عرين.

إلى أن تولى الشريف أحمد بن عبد المطلب مكة المشرفه. ورفل في حلل ولايتها المفوفه. وكان في نفسه من الشيخ المشار إليه ضغن. حل بصميم مهجته وما ظعن. فأمر أولا بنهب داره. وخفض محله ومقداره. ثم قبض عليه قبض المعتمد على ابن عمار. وجزاه الدهر على يديه جزاء سنمار. إلا أن المعتمد أغص ابن عمار بالحسام الأبيض. وهذا طوفه هلال فتر من أنامل عبد أسود. فجرعه طعم كاس الموت الأحمر. وكان قد أبقاه في مجلسه إلى ليلة عرفه. ثم خشى أن يسعى في خلاصه من أكابر الروم من عرفه. فوجه إليه بزنجي أشوه خلق الله خلقا. وتقدم إليه لقتله في تلك الليله خنقا. فامتثل أمره فيه. وجلله من برد الهلاك بضافيه. فأقفرت لموته المدارس. وأصبحت ربوع الفضل وهي دوارس. وذلك في عام سبع وثلاثين وألف ومن الاتفاق إن الشريف المذكور قتل هذه القتلة بعينها. حتى تقاضت منه الليالي ما أسلفته من دينها. وفي الأثر كما تدين تدان. وهذا حال الدهر مع كل قاص ودان.

فصل وهذا حين أثبت من نثره الباهر. ونظمه المزرى بعقود الجواهر. ما تستلذه المسامع. ويطرب له الناظر والسامع. فمن نثره البديع ما كتبه إلى شيخ الاسلام محمد بن سعد الدين المفتي بقسطنطينية يقبل الأرض التي تمنى الشمس إن لو حظيت منها بالقبل. وبدلتها ببرج درجة شرفها الحمل.

أرضا تقاعست عنها الأفلاك. أرضا ترافعت على الفرقدين والسماك. أرضا تحيط بها الأعاظم. إحاطة الهالة بالقمر. أرضا تنيط بها الأفاخم. ما يختص به كل من نهى وأمر. أرضا أعد التضمخ بثراها طيبي. وأرى التخلق ببراها أعز سهم من نصيبي. أرضا تنافس حصباؤها الدراري. أرضا تنافح شذا المسك الداري. أرضا تمشت فيها إقدام تستقل الثريا موطئا ومرقي. وتجل عن أن ترى بينها وبين السها في العلياء فرقا. أرضا مقبلة بشفاه الأعاظم. مبجلة بشفاه الأفاخم. بها تشديد بنيان المعالي. بها تأيد إيوان الأعالي. بها اكتحلت ألحاظ الموالي. بها افتخر الثرى على الأثير العالي. ولا بدع إذ هي ممشى لسيد كرع من معين الفضل سلسبيله. وأوضح لمفترع هضاب الفرع دليله. وأصبح كماله موقي من العين والعيب فلا مجال لعين الرضى عن كل عيب كليله. أعلم من قضى وأفتى. أفضل من باشر التدريس والأفتا. أكثر العلماء علما. أغزر مشايخ الاسلام فهما. أجمع أرباب العلوم رواية. أوسع أصحاب الفهوم دراية.." (١)

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/٣٨

"عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد أبو الوجاهة العمري المعروف بالمرشدي الحنفي مفتي الحرم المكي وعالم قطر الحجاز وأوحد أهله في الفضل والمعرفة والأدب وهو من بيت العلم والفضل والديانة ذكر السخاوي في الضوء اللامع والتقى التميمي في طبقات الحنفية جماعة من آل بيته وكان هو من كبار العلماء الأجلاء انعقدت عليه صدارة الحجاز نشأ بمكة وحفظ القرآن وصلى به التراويح إماما في المسجد الحرام وحفظ الألفية والأربعين للنووي وكنز الدقائق إلا القليل منه والجزرية وغيرها وشرع في الاشتغال من سنة تسع وثمانين وتسعمائة فلازم الشيخ عبد الرحيم بن حسان وأخذ عن الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة والمنلا عبد الله الكردي والسيد غضنفر والشيخ عبد السلام وزير السلار والشيخ محمد بن علي الركروك الجزائري وروى الحديث عن الشمس الرملي وعن الشيخ المعمر المنلا حميد السندي والشيخ أحمد الشربيني والشمس النحراوي وأخذ القرآت عن الملا على القارى الهروي وولى تدريس مدرسة المرحوم محمد باشا في حدود سنة تسع وتسعين وتسعمائة فدرس بها صحيح البخاري وأملى عليه شرحا بلغ فيه إلى باب رفع العلم وظهور الجهل فعزل عنها ووليها مدرسها الأول ونظم منظومة في علم التصريف عدتها خمسمائة بيت من بحر الرجز سماها ترصيف التصريف وشرحها شرحا نفيسا سماه فتح اللطيف وشرح كتاب الكافي في علمي العروض وألقوا في سماه الوافي في شرح الكافي وألف رسالة بديعة سماها **براعة الاستهلال** فيما يتعلق بالشهر والهلال ونظم رسالة متعلقة بمنازل القمر موسومة بمناهل السمر وشرحها شرحا لطيفا وألف رسالة تتعلق بتفسير آية الكرسي معنونة بالفتح القدسي وكتب قطعة على الخزرجية في علم العروض وولى التدريس بالمسجد الحرام في سنة خمس وألف وشرع في كتابة شرح الكنز في سنة ثمان وسئل عن عبارة وقعت في تفسير آخر سورة المائدة وتعاطى الفتوى على مذهب أبي حنيفة عام وفاة شيخه القاضي علي بن جار الله وهو سنة اثنتى عشرة وألف وباشر ذلك وشيخه في قيد الحياة استفتى في مسئلة في الوقف فأفتى فيها بما هو المختار للفتوى فيه وهو قول أبي يوسف من أن الوقف يتم بمجرد التلفظ به كغيره من العقود من غير حاجة إلى حكم حاكم أو تسليم إلى متول وبدخول أولاد البنات في الوقف على الذرية فحالفه في ذلك بعض القضاة فألف رسالة في ذلك سماها وقف الهمام المنصف عند قول الإمام أبي يوسف وأرسلها إلى مصر فأيده علماؤها وكتبوا على جوابه وصوبوه وخطؤا قول المخالف له في ذلك وكان ذلك في سنة ثمان عشرة وألف وشرح عقود الجمان في المعاني للاسيوطي شرحا حافلا مزج فيه عبارة النظم في الشرح فاق على شرح مؤلفها بكثير وجرى في مجلس قاضي مكة ذكر المسئلة التي ذكرها قاضي خان في فتاويه وهي ما لو قال قائل إن كان الله يعذب المشركين فأمر لأتى طالق قالوا أنها لا تطلق فألف

فيها رسالة سماها الجواب المكين عن مسئلة إن كان يعذب المشركين وولى إمامة المسجد الحرام وخطابته والإفتاء السلطاني في سنة عشرين وألف فباشر جميع ذلك وكانت مباشرته للإمامة في يوم الاثنين سادس المحرم من السمة المذكورة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان أول صلاة صلاها بعد الافتراض هي الظهر وباشر الخطابة في السابع عشر من الشهر المذكور ومشى الأعيان بين يديه ذهابا وإيابا وأفاض عليه سلطان مكة حينئذ وهو الشريف إدريس تشريفا سلطانيا بعد فراغه من الخطبة والصلاة ووردت إليه في آخر سنة ثلاث وعشرين وألف الخلعة السلطانية المحمولة لمفتي مكة في كل عام صحبة أمير الركب المصري فلبسها من المحل المعتاد الذي يلبس منه شريف مكة وكان ذلك بعد انقطاعها نحوا من خمس سنين بموجب حكم سلطاني ورد إلى صاحب مصر يتضمن الأمر بتجهيزها على الأسلوب السابق وإفاضتها عليه وكان ذلك يوم الأربعاء السابع من ذي الحجة من السنة المذكورة ثم تولى تدريس المدرسة السليمانية الحنفية التي أنشأها المرحوم السلطان سليمان جوار المسجد الحرام برسم علماء المذاهب الأربعة وكانت هذه المدرسة أسست برسم الحنفية وكان أول من وليها منهم ودرس بها مفتي مكة القطب المكي النهرواني الحنفي ثم وليها بعد وفاته خير الدين الرومي الحنفي ثم قررها بعده شريف مكة الشريف حسن للقاضي علي بن جار الله الحنفي ثم ورد فيها مصلح الدين الرومي الحنفي ثم بعد وفاته في أواخر سنة." (١)

" العلوم وكان إليه النهاية في العلم حتى كان بعض الأجلاء ممن يحضر دروسه يقول لولا أن باب النبوة سد لاستدلينا بما نسمعه منه على نبوته وأما مجالسه في التفسير وما يقرره فيها من المعاني الدقيقة والأبحاث الغامضة مع استيعاب أقوال الأئمة وذكر المناسبات بين السور والآيات وبين أسماء الذات المقدس والصفات وما قاله أئمة الطريق في كل آية من علوم الإشارة فمما يحير العقول ويدهش الخواطر وجميع ما يلقيه بألفاظ مسجعة معربة موضوع كل لفظ في محله الذي لا أولى به ولم يحفظ أحد له هفوة في لفظ من ألفاظه من جهة اعراب أو تصريف أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك من هفوات الألسن وما من درس من دروسه إلا وهو مفتتح بخطبة مشتملة على الاشارة إلى كل ما اشتمل عليه ذلك الدرس على طريق **براعة الاستهلال** وهكذا كانت مجالسه في الفقه والحديث وكل علم يتصدى لتقريره وله جملة تصانيف منها شرح مختصر على أبي شجاع في الفقه وكتب أيضا على أوائل منهج القاضي زكريا وله رسائل في أنواع

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/ ٥٠

من العلوم والمعارف والآداب كرسالته في الاسم الاعظم ورسالته في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته في السماع وغير ذلك وله ديوان شعر كبير منه قوله

(ما أريض مفتح الأزهار ** وبهيج مشعشع الأنوار)

(ولآل منظمات عقودا ** لغوان عرائس أبكار)

(وشموس تضيء في أفق السعد ** زها ضوؤها على الأقمار)

(وغصون بايكها تسجع الورق ** فتنسى ترنم الأوتار)

(مثل قول الاله في حق جدي ** ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾)

ومنه قصيدته الطويلة التي مطلعها

(ما أرسل الرحمن أو يرسل ** من رحمة تصعد أو تنزل)

(في ملكوت الله أو ملكه ** من كل ما يختص أو يشمل)

". (١)

"٤٣٢ العلوم وكان إليه النهاية في العلم حتى كان بعض الأجلاء ممن يحضر دروسه يقول لولا أن باب النبوة سد لاستدلينا بما نسمعه منه على نبوته وأما مجالسه في التفسير وما يقرره فيها من المعاني الدقيقة والأبحاث الغامضة مع استيعاب أقوال الأئمة وذكر المناسبات بين السور والآيات وبين أسماء الذات المقدس والصفات وما قاله أئمة الطريق في كل آية من علوم الإشارة فمما يحير العقول ويدهش الخواطر وجميع ما يلقيه بألفاظ مسجعة معربة موضوع كل لفظ في محله الذي لا أولى به ولم يحفظ أحد له هفوة في لفظ من ألفاظه من جهة اعراب أو تصريف أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك من هفوات الألسن وما من درس من دروسه إلا وهو مفتتح بخطبة مشتملة على الاشارة إلى كل ما اشتمل عليه ذلك الدرس على طريق **براعة الاستهلال** وهكذا كانت مجالسه في الفقه والحديث وكل علم يتصدى لتقريره وله جملة تصانيف منها شرح مختصر على أبي شجاع في الفقه وكتب أيضا على أوائل منهج القاضي زكريا وله رسائل في أنواع من العلوم والمعارف والآداب كرسالته في الاسم الاعظم ورسالته في الصلاة على النبي ورسالته في السماع وغير ذلك وله ديوان شعر كبير منه قوله (ما أريض مفتح الأزهار * وبهيج مشعشع الأنوار) (ولآل منظمات عقودا * لغوان عرائس أبكار) (وشموس تضيء في أفق السعد * زها ضوؤها على الأقمار) (وغصون

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٤٣٢/٨

بايكها تسجع الورق * فتنسى ترنم الأوتار) (مثل قول الاله في حق جدي * (^ ثاني اثنيين هما في الغار)) ومنه قصيدته الطويلة التي مطلعها (ما أرسل الرحمن أو يرسل * من رحمة تصعد أو تنزل) (في ملكوت الله أو ملكه * من كل ما يختص أو يشتمل)." (١)

"وأحسنه ما ناسب المقصود ، ويسمى **براعة الاستهلال** ، كقوله في التهنئة :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا (١)

وثانيها : التخلص مما افتتح الكلام به إلى المقصود مع رعاية (٢) الملائمة بينهما ، وقد ينتقل منه ، ويسمى الاقتضاب (٣) ، ومنه ما يقرب من التخلص ، كقوله بعد حمد الله : أما بعد ، فصل الخطاب ، وكقوله تعالى : [هذا وإن للطاغين لشر مآب] (٤) .

وثالثها : الانتهاء ، وأحسنه (٥) ما أذن بانتهاء الكلام ، كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل (٦)

نجز الكتاب بحمد الله وعونه

وحسن توفيقه والله

الموفق للصواب

وإليه المرجع

والمآب .

المراجع

ـ الأعلام ، الزركلي : خير الدين ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٤م.

ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكاني : محمد بن علي ، دار المعرفة ـ بيروت ، لا . ت .

ـ البيان والتبيين ، الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ، تح . فوزي عطوي ، دار صعب ـ بيروت ،١٩٦٨م

ـ تاريخ النور السافرعن أخبار القرن العاشر ، العيدروسي : محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ،

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٤٢٩/٨

دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٩٨٥م.

---

(١) صدر بيت من البسيط ، لأحمد القوصي ، ديوانه / الموسوعة الشعرية ، والبيت بتمامه :

... ... بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

(٢) في أ ، ب . زيادة الملاءمة ، وما أثبتناه من التلخيص ، ص ٤٣٢

(٣) في التلخيص ، ص ٤٣٣ : وقد ينتقل منه إلى ما لا يلائمه ويسمى الاقتضاب .

(٤) ص ٥٥

(٥) وأحسنه زيادة من ب . ومن : التلخيص ، ص ٤٣٥ .

(٦) البيت من الطويل ، وقد نسب في نهاية الأرب ، ص ٤٥٣٣ / الموسوعة الشعرية ، للغزي ، وقال عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص ، ص ٢٤٦٦/ الموسوعة الشعرية أنه قد نسب لأبي العلاء المعري ، كما نسب للمتنبي ، ولم أره في ديوان واحد منهما .." [١]

"يجدون من الصور الحاضرة بسبب الصنعة أو التوغل أو الألفة أو الأحتياج، ولا أقل من لف منديل من تلك الصنعة برأسه، أو الانصباغ بلون ما. وما تجده في ديباجة الكتب من **براعة الاستهلال** من اظهر امثلة هذه المسألة.

ثم ان اسلوب الكلام قد يكون باعتبار خيال المخاطب كما في أساليب القرآن الكريم فلا تنس. ثم ان مراتب الاسلوب متفاوتة فبعضها ارق من النسيم اذا سرى يرمز اليه بهيئات الكلام. وبعضها اخفى من دسائس الحرب لايشمه الا ذو دهاء في الحرب؛ كاستشمام الزمخشري(١) من (من يحيي العظام وهي رميم)(٢) اسلوب "من يبرز الى الميدان". وان شئت فتأمل في الآيات المذكورة تر فيها مصداق هذه المسائل بألطف وجه. وان شئت زر الامام البوصيري(٣) وانظر كيف كتب "رجتته"(٤) باسلوب الحكيم في قوله:

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم

ورمز الى الاسلوب بلفظ الحمية. او استمع هدهد سليمان كيف أومأ الى هندسته(٥) بقوله: (الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض)(٦) .

المسألة الرابعة:

---

(١) أقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني لزكريا الانصاري، ص/٤٩

اعلم! ان الكلام انما يكون ذا قوة وقدرة اذا كان اجزاؤه مصداقا لما قيل:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

---

(١) هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى جار الله. ولد بزمخشر سنة ٤٦٧هـ، توفي بعد رجوعه من مكة المكرمة سنة ٥٣٨هـ. إمام عصره في اللغة والتفسير، له "الكشاف عن حقائق التنزيل " و "الفائق في غريب الحديث " و "المفصل في النحو " و "اساس البلاغة " وغيرها.

(٢) سورة يس: ٧٨.

(٣) (٦٠٨ - ٦٩٨هـ) محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله البوصيري المصري. شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني، له ديوان شعر مطبوع، واشهر شعره البردة المشهورة بـ "بردة المديح " (كشف الظنون ٢٨٨/١ الاعلام ١٣٩/٦).

(٤) وصفة طبية.

(٥) ومعرفته الماء تحت الارض (الكشاف).

(٦) سورة النمل: ٢٥.

." [1]

"و من مقطوعاته أي أبن الخطيب البديعة في مخاطبة هذا السلطان أبي حمو صاحب تلمستان قوله يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس:

لقد زار الجزيرة منك بحر ... يمد فليس تعرف منه جزرا

أعدت لها بعهدك عهد موسى ... سميك فهي تتلو منه ذكرا

أقمت جدارها وأفدت كنزا ... و لو شئت اتخذت عليه أجرا

و قوله:

و قالوا الجزيرة قد صوحت ... فقلت غمام الندى تنتظر

إذا وكفت كف موسى بها ... غمام يعود الجناب الخضر

---

(١) إشارات الإعجاز، ص/١٢٥

و مخاطبات الوزير أبن الخطيب للسلطان أبي حمو كثيرة جدا ولنقتصر منها على ما ذكرناه.

و من نظم أبن الخطيب رحمه الله:

يا إمام الهدى وأي إمام ... أوضح الحق بعد إخفاء رسمة

أنت عبد الحكيم حلمك نرجو ... فالمسمى له نصيب من اسمه

و له يخاطب عبد الواحد بن زكريا بن أحمد الليحاني أبا مالك أبن سلطان إفريقيا مودعا:

أبا مالك أنت نجل الملوك ... غيوث الندى وليوث النزال

و مثلك يرتاح للمكرمات ... و ما لك بين الورى من مثال

عزيز بأنفسنا أن نرى ... ركابك مؤذنة بارتحال

و قد هبرت منك خلقا كريما ... أناف على درجات الكمال

و فازت لديك بساعات أنس ... كما زار في الليل طيف الخيال

و لولا تعللنا أننا ... نزورك فوق بساط الجلال

و نبلغ فيك الذي نبتغي ... و ذاك على الله سهل المنال

لما فترت أنفس من أسى ... و لا برحت أدمع في انهمال

تلقتك حيث احتللت العود ... و كان لك الله في كل حال

و توفي أبو مالك المخاطب بهذا ببلد الجريد سنة خمس وسبع مائة.

و أبدع ما وقع لابن الخطيب لاميته التي أولها: الحق يعلو والأباطل تسفل قال أبن حجة في شرح بديعته الذي سماه بتقديم أبي بكر ما نصه: " و مما يشعر بالتهنئة والنصر على الأعداء براعة الاستهلال للعلامة أمام المغرب ذي الوزارتين لسان الدين أبن الخطيب وهي:

الحق يعلو والأباطل تسفل ... و الله على أحكامه لا يسأل

فانه قال: نظمت للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالأندلس قصيدة كان صنع الله براعة استهلالها ووجهت بها إليه إلى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت أنشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذري وسميتها: " المنح الغريب في فتح القريب " منها قوله رحمه الله:

و إذا استحالت حالة وتبدلت ... فالله عز وجل لا يتبدل

و اليسر بعد العسر موعود به ... و الصبر القريب موكل

و المستعد لما يؤمل ظافر ... و كفاك شاهدا قيدوا وتوكلوا

أمحمد والحمد منك سجية ... بحليها دون الورى تتجمل

أما سعودك فهو دون مناز ... عقد بأحكام القضاء مسجل

و لك السجايا الغر واليم التي ... بغريبها يتمثل المتمقل

و لك الوقار إذا تزلزلت الربا ... و هفت من الروع الهضاب المثل

عوذ كمالك ما استطعت فانه ... قد تنقص الأشياء مما تكمل

تاب الزمان إليك مما قد جنى ... و الله يأمر بالمتاب ويقبل

إن كان ماض من زمانك قد مضى ... بإساءة قد سرك المستقبل

ه ذا بذاك فلشفع الثاني الذي ... أرضاك فيما قد جناه الأول

و الله قد ولاك أمر عباده ... لما ارتضاك ولاية لا تعزل

و إذا تغمدك الإله بنصره ... و قضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

و ظعنت عن أوطان ملكك راكبا ... متن العباد فأي صبر يجمل

و البحر قد حنيت عليك ضوعه ... و الريح تقطع للزفير وترسل

و لك الجواري المنشآت قد أغتدت ... تختال في برد الشباب وترفل

جوفاء يحملها ومن حملت به ... من يعلم الأنثى وماذا تحمل

صبحتهم غرر الجياد كأنما ... سد الثنية عارض متهلل

من كل منجرد أغر مجل ... يرمي الجياد به أغر محجل

زجل الجناح إذا أجد لغارة ... و إذا تغنى للصهيل فبلبل

جيد كما التفت الظلم فوقه ... أذن ممشقة وطرف أكحل

و منها:

و خليج هند راق حسن صفائه ... حتى يكاد يعوم فيه الصقيل

غرقت بصفحته المنال وأوشكت ... تبغي النجاة فأوثقتها الأرجل." (١)

"فالصرح منه ممرد والصفح من ... هـ مورد والشط منه مصندل

و بكل أزرق إن شكت ألحاظه ... مره العيون فبالعجاجة يكحل

متأود أعطافه في نشوة ... مما يعل من الدماء وينهل

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٨٧

عجبا له أن النجيع بطرفه ... رمد ولا يخفى عليه مقتل

لله موقفك الذي وثباته ... وثباته مثل به يتمثل

و النصل خط ومجال صحيفة ... و السمر تنقط والصوارم تشكل

و البيض قد كسرت حروف جفونها ... و عوامل الأسل المثقف تعمل

و هي طويلة وجميعها فرائد ولم أكثر منها لعلمي أن كلام لسان الدين أبن الخطيب غريب في هذه البلاد " . انتهى كلام أبن حجة رحمه الله.

و من هذه بعد قوله " و طرف أكحل " :

فكأنما هو صورة في هيكل ... من لطفه وكأنما هو هيكل

ومنها بعد قوله: " و البيض قد كسرت " البيت قوله:

لله قومك عند مشتجر القنا ... إذ ثوب الداعي المهيب وأقبلوا

قوم إذا لفح الهجير وجوههم ... حجبوا برايات الجهاد وظللوا

ومن مقطوعات أبن الخطيب قوله لما أشرف على مراكش:

ماذا أحدث عن بحر سبحت به ... من البحار فلا إثم ولا حرج

دحاه مبتدع الأشياء مستويا ... ما إن به درك كلا ولا درج

حتى ما للمنار الفرد لاح لنا ... صحت بشرى يا مطايا جاءك الفرج

قربت من عامر دارا ومنزلة ... و الشاهد العدل هذا الطبيب والأرج

و قال رحمه الله:

كأنا بتامسنا نجوس خلالها ... و ممدودها في سيرنا ليس يقصر

مراكب في البحر المحيط تخبطت ... و لا جهة تدري والبر يبصر

قال أبن الخطيب: ولما قضى الله عز وجل بالإدالة ورجعنا إلى أوطاننا من العدوة واشتهر عني ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والدالة والتكبر على أعلى رتب الخدمة وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة ورغبت في تبرءة الذمة ونفرت عن الأندلس بالجملة خاطبني يعني أبا جعفر بن خاتمة بعد صدر بلغ من حسن الإشارة وبراعة الاستهلال الغاية بقوله:." (١)

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٨٨

"عشنا والسلام حتى رأينا عيان ... أنفاس السلاطين في جلود الكلاب

كبار النفوس جدا ضعاف الأسوس ... هم في ناحيا المجد في ناحيا

يروا أنهم ... و الناس يروهم تيوس وجوه البلد والعمد الراسيا

ثم ذكر أبن خلددون كلاما آخر لابن شجاع. ثم قال: وكان منهم على بن الؤذن بتلمستان. وكان لهذه العصور القريبة من فحولهم بزرهون من نواحي مكانسة رجل يعرف بالكفيف أبدع في مذاهب هذا الفن ومن أحسن ما علق له بمحفوظي قوله رحلة السلطان أبي الحسن بني مرين إلى أفريقية يصف هزيمتهم بالقيروان ويعزيهم عنها ويؤنسهم بما وقع لغيرهم بعد أن عيبهم على غزاتهم إلى أفريقية في ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول في مفتتحها وهو من أبدع مذاهب البلاغة في الإشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى **براعة الاستهلال**:

سبحان مالك خواطر الأمرا ... بنواصيها في كل حين وزمان

إن طعناه أعظم لنا نصره ... وإن عصيناه عاقب بكل هوان

إلى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص:

كن مرعى قل ولا تكن راعي ... فالراعي عن رعيته مسئول

واستفتح بالصلاة على الداعي ... للإسلام والرضى السنى المكمول

للخلفا الراشدين والأتباع ... واذكر بعدهم إذا تحب وقول

أحجاجا تخللوا الصحرا ... ودروا شرح البلاد مع السكان

عسكر فاس المنيرة الغر ... أين سارت به عزائم السلطان

أحجاج بالنبي زرتم ... وقطعتهم لو كلاكل البيدا

عن جيش الغرب جيت نسألكم ... المتلوف في أفريقيا السودا

وأمير كان بالعطا يزودكم ... ويدع برية الحجاز رغدا

قام كل كلسد صادف الجزرا ... ويعجز شوط بعد ما لحقان

وتركوا دم ولهب في الغبرا ... أدى صار إذ غار له سيحان

لو كان ما بين تونس الغربا ... وبلاد الغرب سد الاسكندر

مبنى من شرقها إلى غربا ... طبقا بحدبد وثانيا بصفر

لا بد للطير كان يجي بنبا ... أو يأتي الريح عنهم بفرد خبر

ما أعوصها من أمور وما شرا ... لو تقرا كل يوم على الويدان
لجرت بالدم وانصدع حجرا ... وهوت الاجراف وجفت الغدران
ادري لي بعقلك الفحاص ... وتفكر لي بخاطرك جمعا
إن كان يعلم حمام ولا رقاص ... عن السلطان شهر وقبله سبعا
بكتاب عبد المهيمن القواص ... وعلامات تنشر على الصمعا
إلا قوم العاربين بلا سترا ... مجهولين لا مكان ولا إمكان
لم يدريوا كيف يصيروا الكسرا ... أو كيف دخلوا مدينة اليروان
أمولاي بو الحسن خطينا الباب ... بقضة سيران إلى تونس
في غنا كنا عن الجريد والزاب ... وايش لك بعرب إفريقية القونس
ما بلغك عن عمر بن الخطاب ... الفارق فاتح القرى المونس
ملك الشام والحجاز وتاج كسرى ... ولم يفتح من أفريقيا دكان
كان إذا تذكر له كره ذكرا ... ويقول اسمها يفرق الإخوان
هذا الفاروق زمرد الأكوان ... صرح في أفريقيا بذا التصريح
وبقت حمى إلى زمن عثمان ... وفتحها أبن الزبير عن تصحيح
لما دخلت غنايمها الديوان ... مات عثمان وانقلب علينا الريح
وافترق الناس على ثلاث أمرا ... وبقى ما هو السكوت عنو إيمان
إذا كان ذا في مدة البررا ... أيش نعمل في أواخر الأزمان
وأصحاب الجفر في كتيباتنا ... وفي تاريخ كتابنا وكيوانا
تذكر في صحفها وأبياتا ... شق وسطيح وأبن مرلنا
أبن مرين إذا انكبت برايانا ... لجدار تونس فقد سقط شانا
قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا ... عيسى بن الحسن الرفيع الشان
قال لي رينا وأنا بها أدري ... لكن إذا جاء القضا عمت الاجفان
ويقول لك ما رمى المرينيا ... من حضرة فاس إلى عرب دياب
راد المولى يموت أبو يحيى ... سلطان تونس وصاحب العناب
ولقد كان قبل ذا الأشيا ... جعل أولاد أبو الحسن أنسابا

ثم أخذ في ترحيل السلطان وجيوشه إلى آخر رحلته ومنتهى أمره مع أعراب أفريقية وأتى فيها بكل غريبة من الإبداع.." [1]

"أما الناحية الثانية : فهي القسم الثاني من الكتاب ؛ وهي تختص بمناقشة عبد الحق في نظرياته وأفكاره ؛ وتطبيقه للقواعد ؛ وتصحيحه للأحاديث وتحسينها ؛ أوردها وتعليلها ؛ وحكمه على الرجال ؛ وموافقته للنقاد الذي يحكي أقوالهم أو معارضته لهم . إلى آخر ما يرجع إلى اجتهاده في علوم الحديث وعلله ثم استدراكه عليه في كل ذلك وتتميم الناقص ؛ وتكميل المغفل وما إلى ذلك ؛ وذلك ما عبر عنه ابن القطان باركنا ((الإيهام)) أي إيهام عبد الحق في النظر .

دراسة المقدمة من خلال ما اشتملت عليه :

المقدمة من حيث الشكل :

أولا :دخول المؤلف في الموضوع رأسا ؛ بعد حمد وصلاة لا يتعديان السطر الواحد ؛ وخلو التقديم عما كان قد بدأ يشيع أو شاع في ذلك العصر من الخطب المحبرة والأسجاع المتكلفة ؛ **وبراعة الاستهلال** .

ثانيا : أسلوبه السلس المعبر عما في نفسه ببساطة ويسر دون تكلف أو تنميق ؛ وأسلوبه هذا هو المتبع في سائر الكتاب ؛ حتى إنه ينزل في أحيانا في الشرح والبيان إلى درجة تستغرب بالنظر إلى عصره ؛ وما يبدو أحيانا من تعقيد في بعض العبارات فانه يرجع إلى الموضوع ذاته وتشعب أطرافه وتداخل مصطلحاته .

معطيات المقدمة :

مما اشتملت عليه المقدمة من المعطيات ؛ مما يستحق العناية والبحث ؛ أشياء منها :

دراسة أبواب الكتاب من خلال تصديرات المؤلف لكل باب ؛ ثم تلخيص مضمن الباب ؛ وما يرمي ليه المؤلف من عقده له .

القواعد والفوائد التي قال : إنه أفادها في أسانيدها ومتونها فوائد لا توجد في غير كتابه .

معرفة أولئك المحاورين والمناظرين والمفاوضين من المغاربة أو الطارئين على المغرب ؛ الذين استفاد من مذكراتهم ومناظرتهم في علوم الحديث ؛ والذين لا يعرف عنهم إلا أقل القليل .

سبب تأليفه للكتاب :

انتقاد المؤلف للمعتمدين على المختصرات ؛ ونصيحته لطلبة الحديث بالرجوع إلى الأصول المسندة .

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/١٨١

وظيفة المحدث في نظر المؤلف .

دفاعه عن المحدثين الأصلاء .." [1]

"وفي هذا ما يغني عن باقيها فكتبت إليه: من الخفيف

يا شهابا أهدى إلي قريضا ... خاليا عن تعسف الألغاز

جاءني مؤذنا برقة طبع ... حين رشحته بباب المجاز

إن تكن رمت عنه مني جزاء ... فأقلني فلست ممن يجازي

ومن خطب، فاتحة خطبة رأس السنة: الحمد لله الذي لا تدرك كنه عظمته ثواقب الأفهام، ولا يحيط بمعارف عوارفه خطرات الأوهام، ولا تبلغ مدى شكر نعمة محامد الأنام. الذي طرز بعسجد الشمس حواشي الأيام، ورصع بجواهر النجوم حلة الظلام، وفصل بلجين الأهلة عقود الشهور والأعوام.

أحمده على نعمه الجلائل العظام، ومننه الشوامل الجسام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة لا ينقص لها تمام، ولا يخفر لها ذمام. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله وسوق الباطل قد قام، ومحب الضلال قد هام، وطرف الرشد قد نام، وأفق الحق قد غام، فجرد سيف العزم وشام، وعنف على الغي ولام، واقتاد الخليفة إلى السعادة بكل زمام. صلى الله عليه وعلى آله الخيرة الكرام، صلاة لا انفصال لمتتابعها، ولا انفصام.

وقلت في فاتحة عيد الأضحى: الحمد لله العظيم شانه، العزيز سلطانه، القديم إحسانه، العميم غفرانه، الذي دعت عوارف إحسانه إلى عرفات عزماته، من كل طريق فلبتها قلوب أولي الإنابة مسرعة في الإجابة وأمتها من كل فج عميق. أحمده على نعمه التي أحلت مغنى الغنى فتحلت بفرائدها الأجياد، ومننه التي بلغت مني المنى، وكل الأيام بها أعياد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يخلق الملوان جديدها، ولا تنال يد الشك مشيدها. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله رحمة للبرايا، ومحذرا من شر عواقب الخطايا، فطهر من رجسها السجايا، وساق إلى محلها الهدايا، وبعث الهمم على الضحايا. صلى الله عليه وعلى آله المبرإين من الدنايا. صلاة لا تنفك بتعاهد معاهدهم في البكور والعشايا.

وأما خطب الأصدقة فكثير، وكذا ما كتبته لمن عرض علي كتابا مما يناسب اسمه وكتابه كثيرا أيضا. ومن عجيب ما اتفق في ذلك من **براعة الاستهلال** ما كتبته للمولى المالك شهاب الدين أحمد ابن المولى شرف الدين ابن المولى شمس الدين ابن المرحوم شهاب الدين محمود أعزه الله تعالى ورحم سلفه، حين

---

(١) ابن القطان من خلال الوهم والإيهام، ص/١٢

عرض علي مقدمة ابن الحاجب رحمه الله تعالى.
أما بعد حمد الله الذي جعل شرف العلم منوطا بشرف الدين فحق لمن تحلى بهما أن يكون جده محمودا وعاقبته أحمد، وفي ذكره طول، وهو عند المولى شهاب الدين أحمد المذكور.
ومما يلحق بالشعر المتقدم ما كتبته للمولى المالك جمال الدين ابن المرحوم علاء الدين بن غانم حين جاءني توقيع بتدريس العذراوية بخطه وإنشائه، وقد تصدق بها ملك الأمراء تغمده الله برحمته من غير سؤال: من المجتث

وافى إلي كتاب ... حلو من الدر حالي

صاغته فكرة سار ... إلى العلى غير سالي

يسري وراء سراة ... تشتاقهن المعالي

مرصع بلآل ... مشرف بمثال

من عند أكرم مولى ... يعطي بغير سؤال

فما رآه صديق ... من الصدور الموالي

إلا وقال سريعا ... هذا بديع الجمال." (١)

"وفي ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعين: توفي الأستاذ الأعظم قطب العارفين الشيخ محمد ابن الشيخ أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين بن عيسى بن داود بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه البكري الصديقي الشافعي الأشعري المصري، وأم جده الأعلى أحمد بن محمد بن أحمد فاطمة بنت الشريف تاج الدين القرشي ابن محمد بن عبد الملك بن يرحم بن حسان بن سليمان بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن المثنى بن حسن السبط، وروي أن الشيخ كان يفتخر بهذه النسبة النبوية ويقول: ما أحب أن لي بها كذا ... وكذا...، وكان هذا الشيخ من آيات الله في الدرس والإملاء فكان إذا تكلم فيه تكلم بما يحير العقول ويذهل الأفكار بحيث لا يرتاب سامعه في أن ما يتكلم به ليس من جنس ما ينال بالكسب، وربما كان يتكلم فيه بكلام لا يفهمه أحد من أهل مجلسه مع كون كثير منهم أو أكثرهم على الغاية من التمكن في سائر مراتب العلوم الإسلامية والإحاطة بفنونها فيذكر له ذلك بعد القيام من المجلس فيقول: ليس بأعجب من حال المتكلم به فاني فيه مثلهم،

---

(١) الوافي بالوفيات، ٦/٣٩٠

وكان إليه النهاية في العلم حتى كان بعض أئمة العلوم والمعارف هناك ممن أفنى عمره في كسب العلوم الدينية والمعارف الربانية يقول: والله لا ندري من أين هذا الكلام الذي نسمعه من هذا الأستاذ؟ ولا نعلم له أصلا يؤخذ منه؛ ولولا العلم بسد باب النبوة لا ستدلينا بما نسمعه منه على نبوته. وأما مجالسه في التفسير وما يقرره فيها من المعاني الدقيقة والأبحاث الغامضة مع استيعاب أقول أئمة التفسير من السلف والخلف، وبيان أولاها بالاعتماد عنده، وذكر المناسبات بين السور والآيآت وبين أسمآء الذات المقدسة والصفات ومواضعها وما قاله أئمة الطريق في كل آية من علوم الإشارة فإن القرآن نزل بها أيضا، فذاك مما يحير العقول ويدهش الخواطر مع كون ما يلقيه من ذلك كله في ألفاظ مخترعة بالغة في الفصاحة والبلاغة والجزالة والإيضاح إلى الغاية التي ليس ورآها غاية. مع كون أكثرها أو جميعها مسجعا مقفا معربا موضوعا في محله الذي لا أولى منه به، ولم يحفظ له أحد هفوة في لفظ من الفاضة من جهة اعراب أو تصريف أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك من هفوات الألسنة في تقرير العلوم، وما من درس من دروسه إلا وهو مفتتح بخطبة بديهية أو غير بدبهية مشتملة على الإشارة إلى كل ما اشتمل عليه ذلك الدرس على طريق **براعة الاستهلال**. وهكذا كانت مجالسه في الحديث والفقه، وكل علم يتصدى لتقريره لا يظن سامعه المتمكن في ذلك العلم الحافظ لأصوله وفروعه أنه ترك في كل بحث كلمة لأحد من المتكلمين فيه مع ما يبديه هو من اختياراته الشريفه، وكان الشعراء من فضلاء مصر المتمكنين في علوم اللغة وقواعد الشعر ومذاهب الانشاء يقصدون يوم ختمه فيكتبون القصائد البديعة في مدحه، وبيان ما من الله به عليه من سائر النعم الظاهرة والباطنة فتتلى، أو المهم منها على رؤوس الاشهاد في مجلسه الشريف وفيه خلائق من الخاصة والعامة، ويجلس هو نفعنا الله ببركاته لاستماع ما يتلى منها بين يديه، ويجيز على كل منها ويظهر السرور بها لطفا منه بأصحابها وجبرا لخواطرهم ومقابلة لحسن ظنهم وعقائدهم نفعنا الله ببركاته، وكان إذا قام من كل مجلس جلس فيه للتدريس في الجامع الأزهر أو غيره يتقدم إليه الناس لتقبيل يده والتبرك بدعائه إذ ذاك والقرب من موضعه الشريف الذي هو موضع الرحمة، ويقع بينهم ازدحام عظيم، وربما سقط بعضهم تحت أقدام الناس وحوله إذ ذاك جماعة من جند سلطان الروم وغيرهم قد حلقوا على حضرته بأيديهم خشية عليه من الايذاء بالازدحام، وربما أخذ واحد منهم بيده الشريفة وهي ممدودة لتقبيل الناس لطول زمن مدها لهم إذ كان يقف لهم بعد درسه نحوا من ساعة زمانية، ثم يسير إلى جهة دابته والناس على الغاية في الازدحام عليه إلى أن يصل إليها، ومما يشهد بكونه بالمقام الأعلى من الإحاطة بأنواع العلوم وأصناف المعارف ما كان يتكلم به في مجالسه الخاصة والعامة من منظوم الكلام ومنثوره، ولما مرض والده شيخ الإسلام وفارس

ميدان العلوم والمعارف أبو الحسن البكري نفعنا الله ببركاته مرضه الذي مات فيه اختلى بولده المذكور وخصه." (١)

"وفي ثاني عشر المحرم المذكور خرج الأمير بكتمر جلق الظاهري على البريد إلى حلب لإحضار الوالد – رحمه الله وعفا عنه – بعد عزله عن نيابة حلب، وكتب بانتقال الأمير أرغون شاه الإبراهيمي الظاهري نائب طرابلس إلى نيابة حلب عوضا عن الوالد، وخرج الأمير يشبك العثماني بتقليد أرغون شاه المذكور. ورسم بانتقال الأمير آقبغا الجمالي الظاهري من نيابة صفد إلى نيابة طرابلس عوضا عن أرغون شاه المذكور، وتوجه بتقليده الأمير أزدمر أخو إينال ومعه أيضا خلعة للأمير تنم الحسني باستمراره في نيابة الشام. ورسم بانتقال الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على حاجب حجاب دمشق إلى نيابة صفد عوضا عن آقبغا الجمالي المذكور، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير يلبغا الناصري الظاهري رأس نوبة.

ثم قدم في هذه الأيام جماعة من سوابق الحاج وأخبروا أنه هلك بالسبع وعرات من شدة الحر نحو ستمائة إنسان.

ثم عاد السلطان من سرحة سرياقوس في خامس عشرينه ولم يخرج إليها بعد ذلك، ولا أحد من السلاطين، وبطلت عوائدها وخربت تلك القصور، وكانت من أجمل عوائد الملوك وأحسنها. وكان النزول إلى سرياقوس يضاهي نزول السلطان إلى الميدان؛ فالميادين أبطلها الملك الظاهر، وسرياقوس أبطله الملك الناصر. ثم صار كل ملك يأتي بعد ذلك يبطل نوعا من تراتيب مصر، حتى ذهب الآن جميع شعار الملوك السالفة، وصار الفرق بين سلطنة مصر ونيابة الأبلستين اسم السلطنة ولبس الكلفتاة في المواكب لا غير.

قلت: والفرق بين **براعة الاستهلال** وبين براعة المقطع واضح.

ثم في يوم الاثنين تاسع عشرين المحرم من سنة ثمانمائة المذكورة قبض السلطان في وقت الخدمة بالقصر على الأمير الكبير كمشبغا الحموي أتابك العساكر بالديار المصرية وعلى الأمير بكلمش العلائي أمير سلاح، وقيدا وحبسا بقلعة الجبل يأتي ذكر السبب على قبضهما في الوفيات، وفي هذه الترجمة – إن شاء الله تعالى – .

ثم نزل في الحال الأمير قلمطاي الدوادار، والأمير نوزوز الحافظي رأس نوبة النوب، والأمير فارس حاجب الحجاب إلى الأمير شيخ الصفوي أمير مجلس ومعهم خلعة له بنيابة غزة، فلبسها شيخ المذكور وخرج من وقته ونزل بخانقاه سرياقوس.

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/٢٠٣

ثم في ليلة الثلاثاء سلخه توجه الأمير سودون الطيار الظاهري بالأتابك كمشبغا وبكلمش في الحديد إلى سجن الإسكندرية فسجنا بها وفي الغد استعفى الأمير شيخ الصفوي من نيابة غزة وسأل الإقامة بالقدس فرسم له بذلك.

وفي يوم الخميس ثاني صفر استقر الأمير أيتمش البجاسي أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن كمشبغا الحموي؛ وأنعم السلطان على أيتمش المذكور، وعلى قلمطاي الدوادار، وعلى الأمير تنبك اليحياوي الأمير آخور بعدة بلاد من إقطاع كمشبغا المذكور زيادة على ما بأيديهم، وأنعم ببقية إقطاع كمشبغا على الأمير سودون المعروف بسيدي سودون ابن أخت الملك الظاهر وجعله من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، وأنعم بإقطاع سيدي سودون المذكور على ولد السلطان الأمير عبد العزيز ابن الملك الظاهر برقوق.

ثم أنعم السلطان بإقطاع بكلمش العلائي على الأمير نوروز الحافظي رأس نوبة النوب.

وأنعم بإقطاع نوروز المذكور على الأمير أرغون شاه البيدمري الظاهري، وأنعم بإقطاع أرغون شاه على الأمير يلبغا المجنون الأستادار، والجميع تقادم ألوف، لكن التفاوت بينهم في زيادة المغل والخراج.

ثم عين السلطان الأمير شيخ الصفوي أمير مجلس للوالد قبل قدومه إلى القاهرة من نيابة حلب.

ثم في رابعه استقر الأمير باي خجا الشرفي الأمير آخور المعروف بطيفور في نيابة غزة.

ثم في تاسع صفر استقر الأمير بيبرس ابن أخت السلطان أمير مجلس عوضا عن شيخ الصفوي المقدم ذكره.

ثم في سابع عشرين صفر أنعم السلطان على الأمير بهادر فطيس بإمرة طبلخاناه، عوضا عن طيفور بحكم انتقاله إلى نيابة غزة، واستقر عوضه أيضا في الأمير آخورية الثانية، وأنعم بإقطاع بهادر فطيس المذكور، وهو إمرة عشرة، على يلبغا السالمي الظاهري.

وفي ليلة الجمعة ثاني شهر ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوي على العادة في كل سنة.." (١)

"خاتمة في فصلين يلحقان بالبديع:

هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين: منها ما يتعين إهماله؛ لعدم دخوله في فن البلاغة؛ نحو ما يرجع في التحسين إلى الخط دون اللفظ، مع أنه لا يخلو من التكلف؛ ككون الكلمتين متماثلتين في الخط، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣/٣٤٥

ونحو ما لا أثر له في التحسين، كما يسمى "الترديد"١. أو لعدم جدواه؛ نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه، كما سماه: "الإيضاح"؛ فإنه في الحقيقة راجع إلى الإطناب٢ أو خلط فيه، كما سماه: "حسن البيان"٣.

ومنها ما لا بأس بذكره؛ لاشتماله على فائدة٤، وهو شيئان:

أحدهما: القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها.

والثاني: القول في الابتداء والتخلص والانتهاء.

فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب.

---

١ هو أن تعلق الكلمة بمعنى، ثم تعلق بمعنى آخر في مصراع أو مصراعين؛ كقول الشاعر:

هويننى وهويت الغانيات إلى أن شبت فانصرفت عنهن

علق "هويننى وهويت" بالغانيات. ومثاله في المصراعين:

يريك في الروع بدرا لاح في غسق في ليث عريسة في صورة الرجل

٢ فيكون من علم المعاني، لا من علم البديع.

٣ هو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة، والخلط فيه أنه من البيان لا البديع.

٤ هي بيان حسن الأخذ وقبحه في السرقات الشعرية، وبيان مواضع حسن الابتداء والتخلص والانتهاء وقبحها، وقيل: إن هذا ليس من علوم البلاغة، وإنما يختم الكلام فيها به لاتصاله بها وتوقفه عليها، والحق أن **براعة الاستهلال** وحسن التخلص وبراعة المقطع من صميم البديع لا من لواحقه؛ فالأولى قصر ما يلحق بالبديع على السرقات الشعرية.." (١)

"**براعة الاستهلال**:

وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود، ويسمى **براعة الاستهلال**١؛ كقول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب٢

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب٣

---

(١) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ٤٨٨/١

وقول أبي محمد الخازن يهنئ ابن عباد بمولود لبنته:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعد وكوكب المجد في أفق العلا صعدا[٤]

وقول الآخر:

أبشر فقد جاء ما تريد أباد أعداءك المبيد[٥]

وكقول أبي الفرج الساوي يرثي بعض الملوك من آل بويه -أظنه[٦] فخر الدولة:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي[٧]

وكذا قول أبي الطيب يرثي أم سيف الدولة:

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال[٨]

وترتبط السوابق مقربات فما ينجين من خبب الليالي[٩]

---

١ هي أن يكون مطلع الكلام دالا على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة، والحق أنها من المحسنات البديعية، ولهذا يذكرها فيها كثير من العلماء.

٢ الإنباء مصدر "أنبأ" بمعنى أخبر، وحد السيف: مقطعه.

٣ بيض الصفائح: السيوف، والصفائح: جمع صفيحة وهي وجه كل شيء ممدد عريض، وسود الصحئف: الكتب، والمتون: الظهور، وإنما نسب ذلك إليها لاعتماد حد السيف في القطع عليها.

٤ هو لعبد الله بن محمد المعروف بأبي محمد الخازن، والإقبال: قدوم الدنيا بالخير، والأفق: الناحية استعير للعلا، المراد بكوكب المجد ذلك المولود على سبيل الاستعارة، وبصعوده: ظهوره، وإضافته للمجد على معنى اللام.

٥ لا يعرف قائله. وقوله: "أباد" بمعنى أهلك، والمبيد: المهلك وهو الله تعالى، والجملة دعائية.

٦ جاء في "يتيمة الدهر" أنه فخر الدولة على القطع.

٧ هي: ضمير القصة، و"الدنيا" مبتدأ خبره الجملة بعده، والجملة خبر ضمير القصة، وملء الشيء: ما يملؤه، وهذا كناية عن قولها ذلك جهرة بلا خفاء، والبطش: الأخذ بصولة وشدة، والفتك: مرادف له.

٨ المشرفية: السيوف المصنوعة في مشارف الشام، والعوالي: الرماح، والمنون: المنية.

٩ السوابق: الخيل، والمقربات: المدناة من البيوت لفرط الحاجة إليها أو للضمن بها فلا ترسل إلى المرعي، والخبب: ضرب من العدو لا يستفرغ الجهد؛ استعير لليالي.." [1]

"حسن التخلص:

الثاني التخلص، ونعني به الانتقال مما شبب١ الكلام به من تشبيب أو غيره٢ إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما٣: لأن السامح يكون مترقبا للانتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون؛ فإذا كان حسنا متلائم الطرفين، حرك من نشاط السامع، واعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلك؛ كان الامر بالعكس.

فمن التخلصات المختارة قول أبي تمام:

---

١ أي ابتدئ، واصل التشبيب ابتداء القصيدة بذكر أمور الشباب، فاستعمل في مطلق الابتداء على سبيل المجاز المرسل.

٢ التشبيب: النسيب وغيره؛ كوصف الخمر ونحوه مما كانت القصيدة تبدأ به.

٣ الحق أن حسن التخلص بهذه الملاءمة يكون من المحسنات البديعية **كبراعة الاستهلال**.." [2]

"قيدت فيها ما استفدته من تحقيق تلميذه شيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر ، أبي الفضل شهاب الدين ، أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي قاضي القضاة بالديار (١) / ٢أ / المصرية أيام سماعي لبحثها عليه بارك الله في حياته (٢) وأدام عموم النفع ببركاته . سميتها " النكت الوفية بما في شرح الألفية " .

واعلم أن ما كان فيها من بحثي صدرته في الغالب بـ((قلت)) وختمته بقولي :

((والله أعلم)) وما نقلته عن غير شيخنا من بعض الكتب ، عزوته إليه ، وما عدا ذلك – – وهو جل الأمر – فهو من كلام شيخنا (٣) فإن كان من بحثه فإني عبرت عنه بعد انفصالي عن مكان الدرس بحسب فهمي ، وإن كان ناقلا له فإني كتبت اسم المنقول عنه من لفظه في الحال وعبرت عن مقوله كما تقدم ، فإن ظفرت بمخالفة لشيء من ذلك عن من هو أوثق مني ، فقد علمت عذري ، وأما الاعتذار عن شيخنا

---

(١) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ٢/٢٩

(٢) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ٢/٣٠

فهو أن النقل حالة المذاكرة قد يتساهل فيه ، والله الموفق .

قوله : (الحمد لله الذي قبل بصحيح النية حسن العمل ..إلى آخرها)(٤) استعمل فيها أسماء أنواع الحديث **لبراعة الاستهلال** (٥) ، وذكرها بمعان غير معانيها الاصطلاحية أحسن وأدخل في البراعة مما لو استعملها بالمعاني الاصطلاحية ، نحو أن يقول –كما فعل بعضهم – : الحمد لله الذي منح أهل الحديث خدمة السنة .

---

(١) انظر ترجمته في المقدمة : .

(٢) وهذا دليل على أن تأليف هذا الكتاب في حياة الحافظ ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – وهو مما يزيد الثقة بنقول البقاعي عنه .

(٣) وهذا مما يقوي أهمية الكتاب ، ويدل على نفاسته .

(٤) شرح التبصرة والتذكرة ١/ ٩٧ .

(٥) انظر عن مصطلح **براعة الاستهلال** : الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٤٢ .." [1]

"ما لو دفع المرسل الكتاب إلى المرسل إليه من يده ، وقال له : هذا كتابي إليك ، فاقرأه . فكما لا يكون قوله لذلك مخلا بالابتداء بالحمد ، كذلك لا تكون كتابته في أول الكتاب مخلة على أن التسمية من أفراد الحمد ؛ فإنه الثناء بالجميل وقد ابتدأ بها قبل ذلك ، ولو لم يكن كذلك كان : قوله: (ربه المقتدر) (١) حمدا لما تقدم .

قوله : (الأثري) (٢) نسبة إلى الأثر(٣) وهو لغة البقية ، ويطلق على ما يروى بسند سواء كان مرفوعا إلى النبي– صلى الله عليه وسلم – أو موقوفا . وعن خط شيخنا أن بعض الفقهاء قصره على الموقوف كما سيأتي ، انتهى .

والمراد به علم الأثر كما يقال : الأصولي والمراد به العالم بعلم الأصول ، فالمراد بالأثر في هذه النسبة جميع ما يبحث عنه في علم الحديث تسمية للشيء باسم جزءه كالمحدث سواءا .

وأما إذا أطلق / ٤أ / الأثر فهو المأثور عن الصحابي فمن دونه ، وكذا الحديث خاص بما أضيف إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقول المصنف : إن الأثر هو الحديث (٤) ، يحمل على أن المراد علم الأثر – علم الحديث – ونسبته للأثر دون غيره من **براعة الاستهلال** أي : هذا العلم الذي أنا شارع فيه

---

(١) النكت الوفية بما في شرح الألفية للبقاعي، ٢/٢

هو علم الحديث ، والآثار .
قوله : (من بعد حمد) (٥) أي : إنما قلت هذا البيت الذي قدمته في الوضع بعد أن حمدت الله تعالى
.

---

(١) التبصرة والتذكرة (١)
(٢) التبصرة والتذكرة (١) .
(٣) انظر : الأنساب ١/ ٨١ ، واللباب ١/ ٢٨ .
(٤) شرح التبصرة والتذكرة ١/ ٩٨ .
(٥) التبصرة والتذكرة (٢) .." [١]

"فاعلى درجات للبلاغة ان يحتج للمذموم حتى نخرجه في معرض المحمود ، وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم)(١١) .

ويروي الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)(١٢) وما يأتي عمن قال : (لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط . سئل : ماالبلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الاشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعا وخطبا ، ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها ، والاشارة الى المعنى . والايجاز هو البلاغة . فاما الخطب بين السماطين ، وفي اصلاح ذات البين ، فالاكثار في غير خطل ، والاطالة في غير املال ، وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما ان خير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته) .

وهكذا جمع ابن المقفع في هذا النص معاني البلاغة – فنا – تجري فيه وجوه كثيرة – على حد قوله – منها ما هو من (آداب المحادثة) كالسكوت والاستماع ، ومنها ماهو من (فنون الادب) كالشعر والخطب والرسائل .

كما اشار الى عدد من الاساليب هي من فنون البلاغة ، كما استقرت بعدئذ ، اشار الى بعضها بالاسم المعروفه به ، والى بعض آخر مما عرفت اسماؤها بعدئذ .

---

(١) النكت الوفية بما في شرح الألفية للبقاعي، ٧/٢

فقد اشار الى (السجع) و (الايجاز) و (الاطناب) و (حسن الابتداء) او (**براعة الاستهلال**) والى (رد العجز الى الصدر) او (التصدير) اضافة الى (مطابقة الكلام لمقتضي الحال) الذي هو (جوهر البلاغة) .

****

(١١) المكان نفسه .

(١٢) ١ / ١١٥ .

الدرس البلاغي في البصرة ـ ٧ ـ

الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ)

." [1]

"ج-جيشوا جيش علم: أكثروا من أعداد المتعلمين- رد الأرض ممرعة: حول الأرض القاحلة إلى خصبة.

٢- كيف نظر الرصافي إلى العلم وإلام دعا؟ وضح ذلك من خلال الأبيات.

ج-نظر إليه على أنه شفاء من الأمراض الاجتماعية التي خلفها الجهل.حيث ورد ذلك في البيت الثالث.

٣- قال الشاعر: إذا ارتوت البلاد بفيض علم فعاجز أهلها يمسي قديرا

أشر إلى بيت في النص يماثل البيت السابق في المعنى ووازن بينهما؟

ج-البيت السابع: ربوا البنين مع التعليم تربية يمسي بها ناقص الأخلاق مكتملا

الرصافي يدعو إلى اقتران العلم بالأخلاق حتى يكون علما بناء، أما الشاعر فإنه يشير إلى أثر العلم في المجتمع من كونه البناء والتطور.

٤- النص ذو نزعة اتباعية، حدد سمتين من سمات الاتباعية برزتا في النص؟

ج-التقريرية- **براعة الاستهلال**-تمجيد العقل.

٥- استخرج من البيت الأول اسما ممنوعا من الصرف واذكر سبب منعه؟

ج-زحل- اسم علم على وزن فعل.

٦- اجعل كلمة (العلم) مخصوصا بالمدح على أن يكون الفاعل ضميرا مستترا؟

---

(١) الدرس البلاغي في البصرة الدكتور قصي سالم علوان، /

ج-نعم عملا العلم-أو: نعم ما العلم.

٧- في البيت الثالث أسلوب شرط، حدد فعله وجوابه، وسبب اقتران الجواب بالفاء؟

ج-إن كان للجهل في أحوالنا علل... فالعلم كالطب يشفي تلكم العللا

كان: فعل الشرط. جملة(العلم كالطب يشفي تلكم العللا) هي الجواب، وقد اقترن بالفاء لأنه جملة اسمية.

٨- قطع البيت الرابع وسم بحره وقافيته وحرف رويه؟

ج-سيروا إلى ال/علم في/ها سير مع/تزم

مستفعلن / فاعلن/مستفعلن/فعلن

ثم اركبوا ال/ليل في/ تحصيله/ جملا

... مستفعلن /فاعلن/مستفعلن/فعلن

من البحر البسيط، قافيته: هي جملا. حرف الروي: اللام.

٩- استخرج أسلوب أمر وأسلوب نهي واذكر صيغة كل منهما؟

ج-ابنوا: أمر صيغته: فعل أمر، لا تجعلوا: نهي، صيغته مضارع مقترن بلا الناهية.

١٠- هات مرادفات الكلمات التالية:استقصوا- عرمرم- ممرعة- دك.

ج-عرمرم: كثير- ممرعة: خصبة- دك: هدم.." (١)

"عدت البسملة من **براعة الاستهلال** في الخطاب، لأن جميع السور القرآنية تشرح جوانب من ربوبية الله الرحمن الرحيم وتبينها، فالبسملة تذكير بأن ما من شيء إلا وباسم الله بدايته ووجوده، وقد ((نقل العلامة أبو بكر التونسي إجماع علماء كل ملة على أن الله تعالى افتتح كل كتاب بها، وروى السيوطي، فيما نقله عنه السرميني، والعهدة عليه: بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل كتاب))(١)، ورجح السرميني أن البسملة من خصوصيات هذه الأمة، ووافقه القرطبي في تفسيره(٢)، ويرد هذا الرأي الذي يزعم أنها من خصوصيات هذه الملة، ما جاء في القرآن الكريم من سورة النمل، في قصة سليمان – عليه السلام – أنه أرسل رسالة إلى ملكة سبأ، قال الله – سبحانه وتعالى – على لسانها: ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ [النمل: ٣٠]، ويرده أيضا الإجماع، الذي ذكره التونسي(٣)، و ((روي أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يكتب باسمك اللهم إلى أن نزلت: ﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ﴾ (٤) فأمر بكتابة (بسم الله) حتى نزلت: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ (٥) فأمر بكتابة (بسم الله الرحمن) إلى أن

---

(١) الكامل في اللغة العربية، ص/١٢

نزلت آية النمل، فأمر بكتابة (بسم الله الرحمن الرحيم).))(٦).

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي (م١/ج١/٦٨).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١/ ٩٠).
(٣) ينظر : روح المعاني (م١/ج١/٦٨).
(٤) هود : ٤١.
(٥) الإسراء: ١١٠.
(٦) صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأحمد بن علي القلقشندي (٦/ ٢١١).." [١]

"- ... البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لأبي حفص عمر بن زين الدين قاسم بن محمد الأنصاري النشار، ت: الشيخ علي محمد معوض- الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

- ... **براعة الاستهلال** في فواتح القصائد والسور، لمحمد بدري عبدالجليل، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

- ... البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

- ... بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، HTTP://WWW.ALMESHKAT.NET/BOOKS/OPEN.PHP?CAT=7&BOOK=2349

- ... البلاغة وقضايا المشترك اللفظي، لعبدالواحد حسن الشيخ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

- ... البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت،١٩٦٨م.

- ... تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- ... تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: شهاب

---

(١) تنوع خطاب القرآن الكريم في العهد المدني ((دراسة لغوية))، ص/٤

الدين أبو عمر، بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر العربي، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

– ... التاريخ الكبير، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، د ت ط.

– ... التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، للسيد ولد أباه، ط ٢، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٤م.

– ... تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي ، بحث، لفوزي حسن الشايب، حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت، الحولية العاشرة، الرسالة الثانية والستون، لعام ١٤٠٩– ١٩٨٩م.

– ... تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدينوري، د د ن، القاهرة، ١٩٦٦م.." [١]

"... ... مر سابقا أن المفسرين قد وقفوا عند هذه الأحرف المقطعة موقفين، أرجحهما أنها من المتشابه النسبي الذي يعلمه بعض أهل العلم، وقد اختلفوا في معاني هذه الأحرف، ولهذا جعلت هذا الجزء للحديث عن تأويل المفسرين وعلماء اللغة لمعاني هذه الأحرف المقطعة، ووجدت أفضل كتب العلماء، التي تناولت هذا الأمر هو كتاب (التحرير والتنوير) لابن عاشور، الذي عرض فيه جميع أقوال المفسرين واللغويين وتخريجاتها، إذ عرض فيه واحدا وعشرين قولا حول معناها(١)، وقد خلصت منها إلى عدة أقوال لها أدلة وقوة، في مضمونها، وما سواها أقوال لأهل العلم غير أنها لا ترتقي إلى مرتبة تلك الأقوال، فقد بدأ ابن عاشور في تفسيره للأحرف المقطعة، التي بدأ الخطاب المكي والمدني بها، بأن قسم أقوال العلماء فيها على ثلاثة أنواع هي:

١– ما يرجع إلى أنها رموز اقتضبت من كلم أو جمل، فكانت أسرارا يفتح غلقها مفاتيح أهل المعرفة.

٢– ما يرجع إلى أنها حروف وضعت بهيئات أسماء أو أفعال.

٣– ما يرجع إلى أنها حروف هجاء مقصودة بأسمائها لأغراض داعية لذلك.

... ويدخل تحت كل نوع فروع، تصل بالأقوال إلى واحد وعشرين قولا، كما ذكرت سابقا، فأما الأقوال التي لها وجه من القوة– في سبب بدء الخطاب المدني بتلك الثلاثة الأحرف–، في هذه المسألة، فهي(٢):

---

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير (م١/ج٢/ص٢٠٧) وما بعدها.

---

(١) تنوع خطاب القرآن الكريم في العهد المدني ((دراسة لغوية))، ص/٥

(٢) ينظر: تفسير الرازي (م١/ج٢/ص٧)، وتفسير التحرير والتنوير (م١/ج٢/ص٢٠٧) وما بعدها، **وبراعة الاستهلال** في فواتح القصائد والسور (١٠٩– ١٧٤).." [1]

"ويذهب الباحث بعيدا لتقوية رأيه هذا، عبر إحصاء دقيق لألفاظ (بسم الله الرحمن الرحيم)، ليؤكد قوله بأن السبب في ذلك يرجع إلى الرقم (١٩) لأنه من وجهة نظره عظيم، ثم بحث في مضاعفاته، التي هي مدار هذه النتيجة، التي ظن أنها وراء الحكمة من عدم ذكر البسملة في بداية (سورة التوبة)، وبحث في تعدد ألفاظ الكلمات التي تكونت منها البسملة لتدل على الرقم (١٩)، ملخصا ذلك في الآتي(١):

١– القرآن الكريم يتألف من (١١٤) سورة، وهذا العدد يساوي (١٩ x 6) .

٢– كلمة اسم تتكرر في القرآن كله (١٩) مرة.

٣– كلمة الله تتكرر في القرآن (٦٩٨) مرة وهذا العدد يساوي (١٩ x 42) .

٤– كلمة الرحمن تتكرر (٥٧) مرة وهذا العدد يساوي (١٩ x 3) .

٥– كلمة الرحيم تتكرر (١١٤) مرة، وهذا العدد يساوي (١٩ x 6).

وللفائدة أكثر يرجع إلى كتابه، مع أنني لا أؤيد هذا الرأي لما ذكره ابن عطية من أن ذلك من ملح التفسير وليس من متين العلم(٢)، إذ هو قائم على الحدس والظن، ثم إن ((دفع هذا وفق منهجهم أيسر من تتبعه، فكلمة الرحيم – على طريقتهم– لم ترد في القرآن (١١٤) مرة كما قرروا... ونلوذ بالقرآن لنجد أنها قد وردت (١١٥) مرة))(٣).

---

(١) تنظر تلك الإحصاءات في: طلوع الشمس من مغربها (٥٢) وما بعدها، و **براعة الاستهلال** في فواتح القصائد والسور، لـ د. محمد بدري عبدالجليل (١٥٠).

(٢) ينظر الصفحة السابقة من هذا البحث.

(٣) **براعة الاستهلال** في فواتح القصائد والسور(١٥٠).." [2]

"حاشية الصبان

مقدمة المؤلف

....

---

[1] تنوع خطاب القرآن الكريم في العهد المدني ((دراسة لغوية))، ص/١٠

[2] تنوع خطاب القرآن الكريم في العهد المدني ((دراسة لغوية))، ص/١٢

قصبات السبق في مضمار الإحسان. وأبرزوا ضمير القصة والشأن بسنان اللسان ولسان السنان. فهذا شرح لطيف بديع على ألفية ابن مالك. مهذب المقاصد واضح المسالك.

فائدة لأنه يلزم من كونه عليه الصلاة والسلام منتخبا من لباب عدنان كونه منتخبا من خلاصة معد ولا عكس. قوله: "أحرزوا" أي حازوا وقوله قصبات السبق الخ كان من عادة العرب أن تغرز قصبة في آخر ميدان تسابق الفرسان فمن أعدى فرسه إليها وأخذها عد سابقا ففي الكلام استعارة تمثيلية إن شبه حال الصحابة في غلبتهم لمن قاواهم في الإحسان بحال السابقين على الخيل في الميدان في سبقهم إلى قصبة السبق بجامع مطلق حوز ما به الشرف، أو استعارة مكنية إن شبه في النفس الإحسان بساحة ذات ميدان وجعل إثبات المضمار أي الميدان تخييلا وإحراز قصبات السبق ترشيحا، أو استعارة مصرحة إن شبهت مراتب العلو بقصبات السبق وجعل المضمار ترشيحا والإحسان تجريدا والمراد بالإحسان إما معناه الشرعي المبين في حديث جبريل بقوله عليه الصلاة والسلام: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" أو مطلق الطاعة وهذا أقرب.

قوله: "وأبرزوا" أي أظهروا. وقوله ضمير القصة والشأن يحتمل أن المراد المضمر المستور الذي كان له قصة وشأن عظيمان وهو دين الإسلام فيكون تسميته مضمرا باعتبار ما كان. ويحتمل أن المراد ضمير القصة والشأن الاصطلاحي الواقع في قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩] ففي الكلام حذف مضاف أي مفسر ضمير الخ لأن الذي أظهروه مفسره وهو لا إله إلا الله، أو مجاز مرسل علاقته المجاورة حيث سمي المفسر بكسر السين باسم المفسر بفتحها. قوله: "بسنان اللسان ولسان السنان" السنان نصل الرمح، والتركيبان إما من إضافة المشبه به إلى المشبه أي اللسان الذي كالسنان في التأثير والسنان الذي كاللسان في كثرة استعماله، أو من الاستعارة بأن يكون شبه في التركيب الأول كلام اللسان بالسنان في التأثير وشبه في النفس السنان في التركيب الثاني بالإنسان في صدور الفعل العظيم عن كل وأثبت له اللسان تخييلا، أو شبه طرف السنان الذي به الجرح باللسان في كثرة استعماله، وجعل شيخنا إطلاق لسان السنان على طرفه الجارح لا تجوز فيه ممنوع لأنه ليس من معاني اللسان الحقيقية كما يؤخذ من القاموس وغيره. وفي قوله بسنان الخ من أنواع البديع العكس وهو تقديم المؤخر وتأخير المقدم كقولهم عادات السادات سادات العادات. وقد اشتملت خطبته على أنواع أخر **كبراعة الاستهلال** والتورية في الفتح والرفع والماضي

ونحوها. والطباق في الرفع والخفض والإيمان و ا لبهتان والإفراط والتفريط. والجناس اللاحق في الأسد والجسد والتحقيق والتدقيق والمخل والممل، وكذا بين الأدراج والأبراج كما قاله شيخنا والبعض وإن جعل شيخنا السيد الجناس بينهما مضارعا لما سيأتي والجناس المضارع في خلا وعلا. والفرق بين الجناسين أن الاختلاف إن كان بحرف بعيد المخرج فاللاحق أو قريبه فالمضارع. ومعنى بعد المخرج أن يختلف الحرفان في جنس المخرج ومعنى قربه أن يتحدا في جنسه ويختلفا في شخصه.

قوله: "فهذا" اسم الإشارة راجع إلى الألفاظ الذهنية المخصوصة الدالة على المعاني المخصوصة على أرجح الأوجه فهو مستعار مما وضع له، وهو المبصر الحاضر للمعقول لشبهه به

٦ | ٤٣٥." [1]

"وكحال أحد الطلاب في الجامعة، حيث أرسل رسالة إلى أستاذ يجله ويحبه، فأراد هذا الطالب أن يعبر عن هذه المشاعر المكنونة، وأن يصف أستاذه بصفات تليق بمقامه العالي عنده، فأرسل رسالة عبر الجوال يقول فيها:

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى ... وريح المعاصي من ثيابك تنضح

فلما قرأها الأستاذ قال: صحيح إن ذنوبي كثيرة، ولو فاحت رائحتها لما جالسني أحد.

ثم اتصل على هذا المرسل وهو لا يعرفه، فلما تكلم كأنه عرفه، فقال له: ما هذا البيت؟ فقال الطالب: والله يا شيخ إنني أحبك في الله، وبين يدي أحد مؤلفاتك، وقد أفدت منه فائدة كبيرة، وخطر في بالي ذلك البيت، فأرسلته لك معبرا عن إعجابي وحبي.

فقال له الأستاذ: أتدري معنى البيت؟

فقال الطالب: لا شك أنه معنى جميل.

فقال الأستاذ: إن معناه كذا وكذا، فتلعثم الطالب، وقال: والله إنني لا أعلم أن معناه هكذا، فلعلك لم تعرفني أيها ال أستاذ.

فقال الأستاذ: لا عليك؛ الأمر أهون من ذلك، ولكن عليك بالتثبت، ومعرفة ما تكتب.

وربما قال بعضهم لزوجته مثنيا عليها:

أثني علي بما علمت فإنني ... مثن عليك بمثل ريح الجورب

---

(١) حاشية الصبان، ٦/١

وما علم أن ذلك منتهى الإقذاع والسب، والسخرية.

وكل ذلك ناتج عن سوء الفهم، ووضع الكلام في غير مواضعه.

وإن كلام المرء في غير كنهه ... لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها

١٩_ الاهتمام بحسن الافتتاح، وجودة المطلع، **وبراعة الاستهلال**

فذلك دليل على جودة البيان، وسلامة الذوق، كما أنه سبيل بلوغ المعاني إلى الأذهان؛ فلذلك ينبغي أن يكون حسنا مقبولا، دالا على الغرض ولو من طرف خفي؛ فالفكرة الأولى عن شيء، أو أمر، أو شخص تثبت وتقر في النفس.

ومحوها يحتاج إلى عناء؛ فإن كانت حسنة صعب تهجينها، وإن كانت سيئة عز تزيينها.." [١]

"فأسكن. ويقال: ماه قاله وماه قالته، يريدون: ما هو وما هي؛ وأنشد:

دار لسلمى إذه من هواكا

فحذف ياء هي. الفراء: يقال إنه لهو أو الحذل عنى اثنين، وإنهم لهم أو الحرة دبيبا، يقال هذا إذا أشكل عليك الشيء فظننت الشخص شخصين. الأزهري: ومن العرب من يشدد الواو من هو والياء من هي؛ قال:

ألا هي ألا هي فدعها، فإنما تمنيك ما لا تستطيع غروز (((١))) .

معجم المصطلحات البلاغية في لسان العرب

أ –

الابتداء :

الاستئناف: الابتداء ، وكذلك الائتناف (((٢))) ، وينظر : (**براعة الاستهلال**)

الإبداع :

فلان بدع في هذا الأمر أي أول لم يسبقه أحد. ويقال: ما هو مني ببدع وبديع ، قال الأحوص : فخرت فانتمت فقلت: انظريني ليس جهل أتيته ببديع (((٣))) .

الإبدال :

___ـ_______

(١) لسان ارعرب (ها) .

---

(١) الارتقاء بالكتابة، ص/٤٢

(٢) لسان العرب (أنف) .

(٣) لسان العرب (بدع) .." [١]

"وإذا تأملنا قوله تعالى؟؟؟ ﴿ ؟يا أيها الناس أتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وأتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ (النساء:١) ، نجد **براعة الاستهلال** المستند الى العدد المؤنث (واحدة) بدلالته الخلقية في النمو والاخصاب لديمومة الحياة ، مع المناسبة في أفتتاح هذه السورة حيث تضمنت الآية مجمل ما في السورة من الاحكام : كنكاح النساء ومحرماته،والمواريث المتعلقة بالأرحام وهذا راجع لأساس الخلق(من نفس واحدة) وذلك لأن كثيرا من هذه الاحكام قد شرع لتنظيم العلاقة بين الزوجين (١).

وبالدلالة نفسها يعدد سبحانه وتعالى نعمه على الإنسان غير أن الامر هنا يتجه الى الثمار والزروع فيقول تعالى: ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لأيات لقوم يعقلون ﴾ ؟(الرعد:٤) ، فالثمار مختلفات الطعوم وفي بقاع مختلفة من الارض ولكن الكل يسقى بماء واحد(٢)،كما هوأساس الخلق ثم أن ما ورد ذكره يعد سر آستمرار الحياة وبقاء الخلق ،ومما يلاحظ أن لفظة (نخيل) وردت – – هنا– – بهذه الصيغة في حين وردت بصيغة (نخل) . في آيات أخرى (٣) . والذي هو أعم وأشمل من (النخيل) لأنه أسم جنس جمعي ،أما (النخيل) فهي محددة مخصصة بشيء معين لا تفيد الشمول والاستعمال القرآني راعى بذلك ماتطلبه السياق (٤).

– –

(١) ؟ينظر النظم الفني في القرآن ؟؟؟؟، ومن أسرار البلاغة في القرآن ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

(٢) ؟ينظر الكشاف ؟؟؟؟؟؟؟، وصفوة التفاسير ؟؟؟؟؟؟

(٣) ينظر الرحمن : ٦٨ ، والشعراء : ١٤٦–١٤٧– ١٤٨ ، والقمر :٢٠، والحاقة :٧، وطه: ٧١، وق:١٠." [٢]

---

(١) البحث العروضي والبلاغي في لسان العرب مع معجم بمصطلحات العروض والبلاغة، ص/١٢٠

(٢) آيات العدد في القرآن الكريم . دراسة أسلوبية، ص/٧

"ربيع ثان ﴿ ؟ينظر الاعجاز اللغوي في القصة القرآنية – ؟ ربيع أول محرم ربيع أول ذو القعدة ربيع أول محرم ربيع ثان

الفصل الأول ـــــــــــــــــــــــ

وقد يكون المحذوف أكثر من جملة ، . وغالبا . ما يأتي هذا ايضا في سياق القصص القرآني، فتحذف تفصيلات جزئية تدرك من السياق،وفي تخطيها وصول الى العناصر الجوهرية في القصة.(١) كقوله تعالى – ؟ ﴿ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون ﴾ ؟(يوسف:٤٦)، المعنى: فأرسلوه الى يوسف فأتاه ، فقال له

((يوسف أيها الصديق)) وهذا من **براعة الاستهلال** فقد قدم الثناء قبل السؤال طمعا في إجابة مطلبه (٢) ، فالمحور الاساسي الذي تدور حوله القصة هو الاخبار عن هذه الاعداد والسؤال عن تفسيرها بأستعبار الرؤيا التي عجزوا عن تعبيرها فلجأوا الى يوسف (– عليه السلام –) هذا هو المقصود بالارسال اليه (٣). ولو بسط الكلام فأورد محذوفه لطال وبرز خلل ونقص فيه وهذا ليس من الاسلوب القرآني الذي يقوم على الايجاز غير المخل في عرض القصص والمؤدي الى فهم المعنى ووضوحه من خلال سياق الاحداث(٤) ، و ((إنما حذفت هذه الجمل لانها معلومة بالضرورة وقصة يوسف (– عليه السلام –) طويلة فحذفت منها هذه الجمل المعلومة بالضرورة ، تخفيفا وكان حذفها أحسن من الاتيان بها ، لأن سماعها يشغل عن تأمل ما في القصة ، مما يحتاج الى تأمله وهو كثير))(٥). وثمة نوع آخر من الحذف يبدو مخالفا لما وضعه النحويون والبلاغيون قديما

في باب الحذف وهو حذف الحرف (٦).

– –

(١) ينظر من بلاغة القرآن – ؟ محرم صفر رجب." [١]

"المقولة الثانية: توجيه العناية في صناعة الكلام الأدبي

توجيه العناية في صناعة الكلام الأدبي للبدء – والتخلص – والختام

نظر علماء البلاغة إلى الكلام الواحد الذي له مقدمة تمهيدية هي بدايته، وموضوع مقصود بالذات هو وسطه، وله مؤخرة يكون بها ختامه، فرأوا التنبيه على لزوم توجيه العناية لثلاثة أمور.

---

(١) آيات العدد في القرآن الكريم . دراسة أسلوبية، ص/٣٩

(١) البدء بالمقدمة التي فيها براعة استهلال، وحسن التأثير في المتلقي، مع خلوها مما يستنكر أو يتشاءم به وسموا حسن اختيار البدء البديع: "براعة استهلال".

(٢) التخلص من المقدمة بأسلوب حسن بديع للدخول في الموضوع المقصود بالذات، وسموا حسن الانتقال من المقدمة إلى الموضوع الرئيسي في الكلام: "حسن التخلص".

(٣) الختام الذي ينقطع عنده الكلام، وسموا حسن اختيار الختام الحسن الجميل الملائم: "براعة المقطع" أو "براعة الختام".

وقالوا: ينبغي للمتكلم أن يتأنق في مقدمة كلامه، وفي التخلص منها إلى مقصود بالذات، وفي الختام.

ونلاحظ أن القرآن المجيد يتحلى بأبدع وآنق بدايات، وأبدع وآنق أوساط، وأبدع وآنق نهايات.

فلنبحث بشيء من التفصيل في:

(١) **براعة الاستهلال**.

(٢) وحسن التخلص.

(٣) وبراعة الختام.

أما **براعة الاستهلال**:

فتكون بالبدء بما يكون فيه إلماح إلى المقصود الأول من النص الأدبي، وإبداع يجذب الانتباه، ويأسر المتلقي سامعا أو قارئا، مع حسن سبك، وعذوبة لفظ، وصحة معنى، ومن البديع في البدء ذكر مجمل الموضوع أو مجمل القصة قبل التفصيل ومنه إجمال قصة أهل الكهف قبل تفصيلها في سورة (الكهف): وينبغي للمتكلم أن يجتنب في بدء كلامه المواجهة بما يسوء، أو بما يتطير به، أو بما يستكره لفظه أو معناه.

فإذا لم يكن في البدء إلماح إلى المقصود الأول الذي قد يخص بعنوان "**براعة الاستهلال**" فلا أقل من مراعاة الصفات الأخرى.

* ومن أمثلة البدايات الحسنة ما يلي:

١- قول امرئ القيس في أول معلقته:

*قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل*

قالوا: إنه في هذه البداية البارعة وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب ومنزله في مصراع واحد.." (١)

" بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده إسحاق الموصلي

(يا دار غيرك البلى ومحاك ... يا ليت شعري ما الذي أبلاك)

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر

ومن أراد ذكر الديار والأطلال في مديح فليقل مثل قول القطامي

(إنا محيوك فاسلم أيها الطلل ...) أو مثل قول أشجع السلمي

(قصر عليه تحية وسلام ... خلعت عليه جمالها الأيام)

وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى **براعة الاستهلال** كقول أبي تمام يهنىء المعتصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت

(السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب)

(بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب)

وقول أبي محمد الخازن يهنيء ابن عباد بمولود لبنته

(بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وكوكب المجد في أفق العلا صعدا) وقول الآخر

(أبشر فقد جاء ما تريد ... أباد أعداءك المبيد) ." (٢)

"– بحث في علم الجمال: جان برتليمي – ترجمة الدكتور أنور عبد العزيز – دار نهضة مصر – القاهرة – ١٩٧٠.

– **براعة الاستهلال** في فواتح القصائد والسور: للدكتور محمد بدري عبد الجليل – ط ٢ – المكتب الإسلامي – بيروت ١٩٨٤ م.

– البرهان في علوم القرآن: للزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – إحياء الكتب العربية – القاهرة – ١٩٥٧ م.

– البلاغة تطور وتاريخ: للدكتور شوقي ضيف – ط ١ – دار المعارف – القاهرة ١٩٦٥ م.

– بلاغة الخطاب وعلم النص: للدكتور صلاح فضل – سلسلة عالم المعرفة العدد ١٦٤ – الكويت –

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص/٨٧٨

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة – دار إحياء العلوم، ص/٣٩٢

.١٩٩٢

- بلاغة العطف في القرآن الكريم: للدكتور عفت الشرقاوي- دار النهضة العربية- بيروت- ١٩٨١ م.

- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: للدكتور محمد محمد أبو موسى- ط ٢ - مكتبة وهبة- القاهرة ١٩٨٨ م.

- بناء الصورة الفنية في البيان العربي: للدكتور كامل حسن بصير- مطبعة المجمع العلمي العراقي- بغداد- ١٩٨٧ م.

- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: للدكتور إحسان عباس- ط ١ - مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٩٧١ م.

- تأويل مشكل القرآن: لابن قتيبة- تحقيق الدكتور أحمد صقر- ط ١ - دار إحياء الكتاب العربية- القاهرة ١٩٥٢.

- تجديد الفكر الديني في الإسلام: محمد إقبال- ترجمة عباس محمود العقاد- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة.

- التصوير البياني: للدكتور محمد أبو موسى- ط ٢ - دار التضامن- القاهرة ١٩٨٠ م.

- التصوير الفني في القرآن: لسيد قطب- ط ١٠ - دار الشروق- ١٩٨٨ م/ ١٤٠٨ هـ.

- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث: للدكتور نعيم اليافي- منشورات اتحاد الكتاب العرب- سوريا.." (١)

"منظومة التفسير للشيخ الأديب المفسر عبد العزيز الرئيس الزمزمي نسبة إلى زمزم -كما سيأتي - عز الدين بن علي بن عبد العزيز بن عبد السلام بن موسى بن أبي بكر بن أكبر بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن داود البيضاوي الشيرازي الأصل ثم المكي الزمزمي الشافعي، ولد عام تسعمائة من الهجرة بمكة، قدم جده الأعلى علي بن محمد إلى مكة في سنة ثلاثين وسبعمائة فساعد الشيخ سالم بن ياقوت المؤذن ليكون مؤذن لعله المسجد الحرام في ذلك الوقت في خدمة بئر زمزم، فلما ظهر له فضله نزل له عنه يعني: تنازل له عن بئر زمزم وخدمتها فاشتغل علي بن محمد الذي هو جد عبد العزيز الزمزمي بخدمة زمزم فقيل له: الزمزمي. إذا الزمزمي نسبة إلى ماذا؟ إلى بئر زمزم.

ولد عبد العزيز بمكة ونشأ بها وأخذ العلم عن أهلها وبرع في الفنون وله في الأدب اليد الطولى وله تآليف ومنها ذكر في ترجمتها كذا ((منظومة في التفسير)) وهي التي معنا نظم فيها ((النقاية)) لجلال الدين

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب ص/٤٧٦

السيوطي، وشرح مقامات الحريري، وكتاب في الفتاوى، وله شعر حسن توفي المترجم له سنة ست وسبعين وتسعمائة بمكة.

وهذه المنظومة قد عني بها خاصة في هذه البلد الحرام قديما والآن لا ذكر لها، وإنما يعنون بها العلماء الوافدين، لذلك أكثر الشراح من الأندلسيين ونحوهم فشرح شروحا عدة ولهم عليها بعض الحواشي منها: ((نهج التيسير شرح منظومة الزمزمي في أصول التفسير)) هذا يكاد يكون أول شرح لها لمحسن بن علي بن عبد الرحمن المساوي الحضرمي توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف - قريب العهد ألف ثلاثمائة وأربع وخمسين -، وعلى هذا الشرح حاشيتان مطبوعتان حاشية علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي، وحاشية الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي. وهذا قريب أيضا.

الشرح الثاني: ((التيسير شرح منظومة التفسير)) محمد يحيى أمان المدرس بمدرسة الفلاح القديمة.

حينئذ نقول: هذه المنظومة أصلا لعبد العزيز من؟ الرئيس الزمزمي وكان من أعيان علماء مكة، وشرح في الشرحين المذكورين ولجلالتها عندهم درست في الصولتية المدرسة وكذلك مدرسة الفلاح القديمة.

قدم لمنظومته بمقدمة وهي التي تسمى عندهم بمقدمة الكتاب، وسبق مرارا أن المقدمة مقدمتان:

مقدمة كتاب.

ومقدمة علم.

مقدمة العلم هي التي يعنى بها المبادئ العشر

إن مبادئ كل فن عشرة ... إن مبادئ كل فن عشرة

ونسبة وفضله والواقع ... والاسم والاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالواو اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرف

هذه سيأتينا بحثها إن شاء الله في الدرس القادم.

واليوم نشرع في النظم وهي ما يسمى: بمقدمة الكتاب.

مقدمة الكتاب شاع عندهم أنه يذكر فيها البسملة والحمدلة والشهادتين وأما بعد **وبراعة الاستهلال** وتسمية نفسه وتسمية كتابه إلى ما يذكر من الواجبات والمستحبات التي مر معنا ذكرها كثيرا.

قال: بسم الله الرحمن الرحيم.." [١]

---

(١) شرح منظومة التفسير، أحمد بن عمر الحازمي ١/٣

"أجذم بالذال المعجمة، وهو في اللغة مقطوع الأنف يسمى أجذم.

والكلام من باب التشبيه البليغ أو استعارة على مذهب السعدي في نحو: زيد أسد، فهو أجذم يعني: فهو كالأجذم، التشبيه البليغ يحذف ذات التشبيه، حينئذ فهو أجذم أي: فهو كالأجذم هذا التشبيه.

أو استعارة مثل: زيد أسد.

وقوله: (أي: مقطوع البركة) بيان لما آل إليه المعنى؛ لأن قوله: (فهو أجذم) هذا مقطوع الأنف، وهو ليس مقطوع الأنف وإنما المراد به التشبيه.

ما المراد هنا؟

(كل أمر ذي بال) الذي لا يبدأ بالبسملة ما شأن هذا الأمر الذي هو ذو بال؟ نقول: ما شأنه؟ أنه ناقص البركة، مقطوع البركة.

ولذلك قال: وهو وإن تم حسا إلا أنه ناقص من جهة المعنى. يعني: لا يكون فيه بركة، إذا لم يكن فيه بركة يكون عنه الانصراف، فلا يشتغل به الناس.

إذا: مقطوع البركة هذا تفسير من المصنف، ولذلك قال: (أي) لأنه فسر لفظا مفردا (أجذم. أي: مقطوع البركة).

وي‍حتمل أنه فسر مركبا؛ لأنا قلنا: (فهو أجذم) تشبيه بليغ هنا إلى أي شيء يئول؟ إلى كونه ناقص البركة، وحينئذ يحتمل الوجهين، وقلنا بعضهم يتوسع في (أي).

إذا: قوله: (أي: مقطوع البركة) هذا بيان لما آل إليه المعنى.

وفي رواية أخرى للحديث السابق: (بحمد الله) يعني: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله، وفي رواية: (بالحمد لله) بالرفع. رواه أبو داود وغيره وحسنه ابن الصلاح وغيره.

والحديثان ضعيفان كما هو معلوم في محله، قوله: حسنه ابن الصلاح وهو لا يرى التصحيح قيل: نقل تحسينه، وقيل: إنما يمنع التصحيح دون التحسين.

هذا أو ذاك غلق باب التحسين والتصحيح هذا غير مسلم عند أهل العلم، سواء حسنه ابن الصلاح أو غيره فالحديث فيه ضعف.

لكن العمل بهما من حيث المعنى من أدلة أخرى ثابت، لا يلزم أنه إذا ضعف الحديث قلنا: حديث ضعيف، أن مدلول الحديث الضعيف ألا يكون ثابتا بحديث صحيح.

ولذلك جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إلى هرقل

عظيم الروم .. ﷺ.

بدأ رسالته بالبسملة، وبدأ في خطبة النكاح بالحمدلة، وكذلك جرى عليه الصحابة والتابعون والأئمة .. إلى آخره، بل قال الشافعي: يستحب لكل دارس ومدرس وخطيب وخاطب .. إلى آخره أن يبدأ بالحمدلة، دل ذلك على أن الحكم ثابت، ولكن هم يتوسعون في العمل بالحديث الضعيف، أنه في مقام الأعمال التي هي ليست بإيجاب ولا تحريم، والعمل بالحديث الضعيف في مثل هذا مقبول عندهم، الصواب المنع منه.

قال: (نحمد الله) بعدما بدأ بالبسملة ثنى بالحمدلة.

قلنا: تورد في مقدمات الكتب ثمانية أشياء .. مقدمة الكتاب تشتمل على ثمانية أشياء:

أربعة واجبة وهي: البسملة، والحمدلة، والشهادتان، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم.

وأربعة مستحبة: أما بعد، تسمية نفسه، تسمية كتابه، **براعة الاستهلال**. هذه أربعة.." [1]

"لكن يبقى النظر فيما يطلق عليه أنه شيخ الإسلام، شيخ الإسلام والمسلمين هذا وصف عام، بمعنى أنه يطلق على من جمع بين علمي المنقول والمعقول، لكن يشترط فيه أن يكون صحيح العقيدة، كما يقال: إمام. هذه يشترط فيها أن يكون صحيح العقيدة بمعنى أن تكون عقيدته سلفية في باب الأسماء والصفات، في باب الألوهية وفي باب الربوبية؛ لأن هذا الوصف على إطلاق.

بمعنى أنه لا يشاركه فيه غيره، وبمعنى أنه يكون قدوة للمسلمين، فإذا كان كذلك فلا بد أن يكون صحيح المعتقد وصحيح العمل، جمع بين الأمرين.

وأما من كان متلبسا بعقيدة منحرفة فالأصح أنه لا يقال بأنه شيخ الإسلام ولا يقال فيه أنه إمام، إمام يعني: مؤتم به يعني: يقتدى به، وهذا إذا كان كذلك فلا بد أن يقيد بأنه لا يطلق هذا الوصف ولا يتوسع فيه بأن يقال إمام إلا إذا كان صحيح المعتقد، وإن لم يكن كذلك فحينئذ لا يطلق عليه.

قال: (بسم الله الرحمن الرحيم).

هذا الكلام من أبي يحيى زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى، وبدأ بالبسملة والحمدلة، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم يسيرون على أدب معلوم في باب التصانيف، ولا بد أن يجمع بين أمور ثمان: أربعة واجبة وأربعة مستحبة.

الواجبة: البسملة، والحمدلة، والشهادتان، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم. هذه أربعة عندهم واجبة.

---

(١) شرح المطلع على متن إيساغوجي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٥

والمراد بالإيجاب هنا أو الوجوب الاصطناعي يعني: يعاتب أنه لم يذكر واحدا من هذه الأربعة.
الأربعة الأخرى مستحبة، كذلك استحباب اصطناعي بمعنى أنه على جهة الأولوية أن يأتي بها وهي: أما بعد. وهي سنة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.
وبراعة الاستهلال، **وبراعة الاستهلال** أن يذكر شيئا في المقدمة تشعر بالمقصود كما سيأتي في قوله: سبيل التصور والتصديق.
والثالث: تسمية نفسه.
والرابع: تسمية كتابه.
هذه ثمانية أمور ينبغي العناية بها في التصانيف، أربعة على جهة الإيجاب وأربعة على جهة الاستحباب: البسملة، والحمدلة، والشهادتان، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم. هذه أربعة واجبة اصطناعيا.
وأما بعد، وتسمية نفسه، وكتابه، **وبراعة الاستهلال**. هذه أربعة على جهة الاستحباب.
و (بسم الله الرحمن الرحيم) تكلم كما ترون المحشي هنا كغيره ممن صنف في علم المنطق، يتكلمون عليها من جهة ما يتعلق بها من قواعد منطقية؛ لأن القاعدة عندهم: أنه ينبغي لكل متكلم في فن من الفنون أن يتبرك بذكر طرف مما يتعلق بالبسملة في ذلك الفن، وترك ذلك يعتبر قصورا أو تقصيرا .. قصورا في العلم أو تقصيرا في العمل بالعلم، ولا بد أن يذكر شيئا مما يتعلق بالقواعد المنطقية.
ذكر شيء يتعلق بالبسملة من علم النحو، ومن علم الصرف، ومن علم البيان لا شك فيه أنه ظاهر وهو واضح بين.
وأما من جهة علم المنطق فليس فيه أدنى مناسبة، فحينئذ الخوض في هذه المسألة على جهة ما قرره المحشي هنا خوض ليس فيه إلا التكلف والتعسف.
ولذلك قال العطار: التكلم عن البسملة من فن المنطق غير ظاهر المناسبة.." (١)
"إذا: فعيل بمعنى محبوب أو محب، هذا جمع بين اللغتين:
إما أن يقال: محب محب من أحب. وهذا المشهور وهو الفصيح.
وإما أن يقال: حاب فاعل حابب أو محبوب، فيكون من الثلاثي الذي هو حب وهذا واضح بين.
أحباب الله إما أن يراد بهم مطلق المؤمنين، كل مؤمن ويحبه الله تعالى، أو يراد به خواص المؤمنين، لكن

---

(١) شرح المطلع على متن إيساغوجي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٣

الأول هو الذي يكون ظاهرا.

قال هنا: وأحبه جمع حبيب، فعيل بمعنى مفعول أو فاعل أي: محب أو محب بفتح الحاء أو كسرها، فهو من الثلاثي المزيد يعني: أحب.

أو حاب ومحبوب إن كان من الثلاثي المجرد أعني: حب، وهي لغة في أحب.

(منح أحبته باللطف) وهو الرأفة والرفق (والتوفيق) عطفه عليه عطف مغايرة وهو كذلك.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد أجمع العارفون بالله على أن الخذلان أن يكلك الله إلى نفسك ويخلي بينك وبينها.

والتوفيق يقابله .. أن لا يكلك الله إلى نفسك، وإنما تكون الهداية هداية الإرشاد وهداية التوفيق.

قال: (ويسر لهم سلوك سبيل التصور والتصديق).

يسر يعني: سهل، هذا تفعيل من اليسر وهو ضد العسر.

(يسر لهم) لمن؟ للأحبة المذكورين، مطلق المؤمنين أو خواصهم.

(سلوك سبيل التصور) سلوك المراد به المرور والدخول، يقال: سلكت الشيء في الشيء سلكا فانسلك أي: أدخلته فيه فدخل فيه، هذا على المشهور.

وفيه لغة أخرى: سلكته سلوكا.

(سبيل التصور) سبيل يعني: طريق، والسبيل يذكر ويؤنث، ومنه ((ولتستبين سبيل)) [الأنعام:٥٥] قراءتان والشاهد الذي معنا: ((ولتستبين سبيل)) [الأنعام:٥٥] القراءة المشهورة.

تستبين سبيل، سبيل هذا فاعل، تستبين أنت سبيل، قد يظن الظان هكذا لا، ليس هذا المراد، التاء هذه تاء التأنيث -تأنيث الفاعل- مثل: تضرب هند زيدا، "وتاء تأنيث تلي الماضي"، وإذا كانت في المضارع تأتي أولا: تضرب هند زيدا، تضرب لماذا جاء بالتاء هنا؟ نقول: هذه التاء تاء التأنيث؛ لأن الفاعل مؤنث، ولا يصح أن يقال: يضرب هند إنما يقال: تضرب هند.

هنا الفاعل جاء مؤنثا: تستبين سبيل الفاعل هنا مؤنث وهو مجازي التأنيث، حينئذ أنث الفعل قال: تستبين بالرفع، سبيل يعني: تظهر سبيل المجرمين. فلا يشكل كيف جاء تستبين والظاهر أنه للمخاطب وليس المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القراءة.

إذا: "السبيل" الطريق يذكر ويؤنث، ويجمع المذكر على سبل بضمتين، والمؤنث على سبول.

قال هنا: (ويسر لهم سلوك سبيل التصور والتصديق) هذا قلنا فيه براعة استهلال، **براعة الاستهلال** أن يأتي

بشيء مما يدل على المقصود، يعني يأتي بعبارة، يأتي بمصطلح في فن المنطق فيذكره في المقدمة ليشير للقارئ ابتداء أن هذا الكتاب في فن المنطق. وهو واضح بين.

هنا المصنف لعله أراد أن يشير بالتصور والتصديق إلى كون المصنف "إيساغوجي" في كتابه لم يذكر بابا يعتبر مقدمة مهمة في علم المنطق ابتداء، هو ليس داخلا في الموضوع لكنه لا بد منه، وهو ما يتعلق بتقسيم العلم إلى تصور وتصديق.." [1]

"النوع الثاني: **«براعة الاستهلال»**

وهذا النوع أخص من الأول، وهو:

[أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله].

والعلم الأسنى في هذا الفن سورة فاتحة الكتاب، التي هي مطلع القرآن، وجديرة أن تسمى ب (عنوان القرآن).

لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده، بعبارة وجيزة في أوله. وسورة الفاتحة قد اشتملت على جميع مقاصده، وعلومه، إذ أن القرآن قد حوى علوم الأديان جميعا، وأحصاها الأئمة، فبلغت لديهم أربعة: علم الأصول، علم العبادات، علم السلوك، علم القصص.

ولهذه الأربعة إرشادات قد حوتها فاتحة الكتاب.

فعلم الأصول: وهو ما يدور حول معرفة الله تعالى وصفاته.

فقد أشير إليه ب رب العالمين (٢) الرحمن الرحيم.

ومعرفة النبوات: ب صراط الذين أنعمت عليهم.

ومعرفة المعاد: ب مالك يوم الدين.

وعلم العبادات أشير إليه: ب إياك نعبد.

وعلم السلوك أشير إليه: ب وإياك نستعين (٥) اهدنا الصراط المستقيم.." [2]

"وعلم القصص: وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة، والقرون الماضية، ليتعرف المطلع على سعادة من أطاع، وشقاوة من عصى.

وأشير إليه ب صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

---

(١) شرح المطلع على متن إيساغوجي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٧

(٢) موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور ص/٢٦٣

وبهذا تكون الفاتحة قد أشارت إلى جميع مقاصد القرآن الكريم، وهو الغاية، في **براعة الاستهلال**، فضلا عما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة، والمقاطع المستحسنة،
وأنواع البلاغة.

[نقتصر هنا على نوعين اثنين من أنواع حسن الابتداء]
ولسوف نقتصر هنا على نوعين اثنين من أنواع حسن الابتداء العشرة فقط، نظرا لضيق المساحة، ووفاء بالقصد.

النوع الأول: افتتاح بالثناء
وأولى الأنواع: الافتتاح بالثناء على الله سبحانه، وهو قسمان:

الأول: إثبات لصفات المدح: وهي في خمس سور.
فسور الحمد:
١ – الكهف: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ....." (١)
"عناصر الدرس
* نبذة عن الشرح.
* شرح مقدمة الناظم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد.
المقرر هو: ((شرح السلم المنورق في فن المنطق))، وهو لعبد الرحمن الأخضري، والشرح لحسن درويش القويسني، وهو شيخ جامع الأزهر لم يعرف له تاريخ ولادة، وإنما كان حيا عام خمس وخمسين ومائتين وألف، ألف ومائتين وخمس وخمسين.
والسلم له شروحات متعددة، ولكن تختلف من حيث الطول ومن حيث الاختصار ومن أجودها في نظري هو هذا الشرح ويمتاز ميزتين.

---

(١) موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور ص/٢٦٤

الأولى: الاختصار.

والثانية: المزج.

والشرح الممزوج بالنسبة لطالب العلم المبتدئ والمتوسط والمنتهي، المتون التي شرح بالمزج العناية بها أولى دراسة وتدريسا، وما عداه يكون مرجعا أو يجرد أو نحو ذلك، والمراد بالمزج هو الذي يخلط فيه الشرح مع المتن، يأتي بكلمة ويدخل بينها كلمة أخرى وهكذا حتى يأتي على المسائل التي ذكرها الناظم وقد يزيد على ما ذكره الناظم، وهذا أفيد لطالب العلم من حيث إذا كان المتن محفوظا يكون الفهم له أكثر وأرسخ، بخلاف المتن الذي تعلق فيه المتن يوضع في أعلى الصفحة ثم يؤتى بمعاني الأبيات وقد يترك بعض الكلمات التي تكون في المتن فلا تشرح أو بعض المسائل ولا يحل عبارات المتن، نقول: هذا فائدته قليلة لطالب العلم، والعناية به ينبغي أن تكون أقل من العناية بالشروحات الممزوجة، إذا لهاتين الميزتين كان الاختيار لهذا الكتاب، ثم شروحات السلم متقاربة ((إيضاح المبهم))، ((وشرح المصنف)) وكذلك ((الملوي)) الملوي يعتبر شرحا ممزوجا لأنه صعب، وكذلك بعض الشروحات المعاصرة إنما هي من باب التعليق على المتن، وإن كان الدمنهوري في ((إيضاح المبهم)) يحاول أن يقف مع الألفاظ، لكنه ليس كالشرح الممزوج على كل هذا الكتاب العناية به أولى وهو مختصر ليس بطويل، وهو واضح العبارة في الجملة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر لأرباب العقول حقائق المعقول على التحقيق، ودلهم على تصحيح طرق التصور والتصديق، فاستنتجوا بها بدائع الأسرار من دقائق الأنظار، واستخرجوا بها عرائس الأبكار من مخبئات الأسرار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي شيد قواعد الإسلام بأفصح منطق وأوضح خطاب، وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم العرض والحساب.

ـــــ - الشرح - ـــــ بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مقدمة المصنف رحمه الله تعالى، والظاهر أنه قد كتبها بنفسه لما سيأتي، وضمنها **براعة الاستهلال** وهي أن يذكر في مقدمة كلامه ما يشعر بالمقصود، وهو فن من أنواع أو من فنون البديع عند البيانيين، يذكر في مقدمة كلامه ما يشعر بالمقصود.." (١)

---

(١) شرح القويسني على السلم المنورق للأخضري، أحمد بن عمر الحازمي ١/١

"إذا نتائج والفكر هذه ألفاظ يستعملها المناطقة حينئذ صار في الكلام براعة استهلال، وأما النتيجة وضبطها سيأتي في محله (نتائج الفكر) مضاف ومضاف إليه و (الفكر) بكسر الفاء وإسكان الكاف [يطلق على المفكر فيه مجازا، وعلى حركة النفس في المعقولات] النفس المراد بها الذهن، والمعقولات جمع معقول وهو الشيء المدرك قلنا: العقل هو الذي يكون به الإدراك. العقل هو آلة الإدراك طيب يدرك ماذا؟ يدرك الشيء المدرك الذي يمكن أن يدرك، حينئذ المدرك يسمى عقلا والمدرك يسمى معقولا [حركة النفس] أي الذهن والعقل. [في المعقولات أي انتقالها من المبادئ إلى المطالب] هذا تفسير للحركة، وهذا سيأتي بحثه في باب النظر بجهة التوسل [وعلى النظر] يعني يطلق الفكر على النظر. [الاصطلاحي اصطلاحا فيعرف الفكر على الأخير بأنه ترتيب أمور معلومة للتوصل بها إلى أمر مجهول]، [ترتيب أمور أمرين أقلها معلومين ليتوصل بهما إلى أمر مجهول سواء كان تصوريا أو تصديقيا، [فالأمور المعلومة المقدمتان: الصغرى، والكبرى. والأمر المجهول هو: النتيجة. كما تقدم تمثيله]، [العالم متغير وكل متغير حادث]، إذا العالم حادث هذا سيأتي بحثه في محله ... [(لأرباب) أي أصحاب] نتائج الفكر أخرجا (لأرباب) متعلق بقوله: ... (أخرجا). [أي أصحاب (الحجا) بالقصر، أي العقل وهو نور روحاني به تدرك النفس المعلومات الضرورية والنظرية] وسيأتي تقسيم العلم إلى نظري وضروري [وفي تصدير الكتاب بذكر النتائج والفكر والعقل براعة استهلال] هذا المقصود، وأما الألفاظ هذه الشرح يأتي في محلها [وهي] أي **براعة الاستهلال**. [أن يأتي المتكلم في أول كلامه بما يشعر بمقصوده، ففي ذلك إشعار بالمنطق الذي يتكلم فيه على النتائج والفكر، أي: النظر، وهو من العلوم العقلية]، إذا مقصود الناظم هنا أن يأتي في مقدمة كلامه بما يشعر بالمقصود الذي من أجله صنف هذا النظم.

– – –

وحط عنهم من سماء العقل ... كل حجاب من سحاب الجهل

(وحط) أي أزال. (عنهم) أي: عن أرباب الحجا (من سماء العقل) بدل من الجار والمجرور قبله أي: أزال الله عن عقلهم الذي هو كالسماء، فأل في العقل بدل عن الضمير، وشبه العقل بالسماء لأنه محل لطلوع شموس المعارف المعنوية، كما أن السماء محل لظهور شموس الإشراق الحسية (كل حجاب) مفعول حط، أي: كل مانع (من سحاب الجهل) أي: من الجهل الذي هو كالسحاب، فالإضافة من إضافة المشبه به للمشبه كسابقه، لأن الجهل يمنع العقل عن إدراك العلوم المعنوية كما أن السحاب يمنع النظر من إدراك

الشموس المحسوسة فكل من السحاب والجهل وجودي.

ـــ - الشرح - ـــ." [١]

"(الحمد لله الذي قد أخرجا) (الذي قد) قد هنا للتحقيق و (أخرجا)، الألف هذه للإطلاق، وأخرج بمعنى أظهر وأوجد، (نتائج الفكر)، هذا مفعول أخرج (نتائج الفكر)، أي: النتائج التي تنشأ عن الفكر، حينئذ يكون بإضافة المسبب إلى السبب، فكر سبب والنتائج مسبب، حينئذ يكون من إضافة المسبب إلى السبب، (نتائج) فعائل جمع نتيجة.

والنتيجة في اللغة هي: الثمرة والفائدة.

وأما في الاصطلاح عند المناطقة كما سيأتي: القول اللازم من تتميم قولين لذاتهما، وهذا سيأتي في محله، وإنما أراد الناظم هنا أن يأتي **ببراعة الاستهلال**، وهي مقصودة عندهم وتعتبر من أنواع البيان والبديع أن يأتي في طالعة كلامه بما يشعر بالمقصود، هذا يريد أن يبين لك أنه أراد أن يكتب وينظم في فن المنطق، لأن الفكر والنتائج وما سيأتي ذكره إنما يبحث في فن المنطق، (نتائج الفكر) الفكر بالكسر ويفتح فكر وفكر والمشهور هو الكسر، والمراد به إعمال النظر في الشيء، هذا في اللغة، وفي المختار فكر تأمل، ويطلق عندهم الفكر مرادفا للنظر وسيأتي بحثه، ويطلق ويراد به حركة النفس في المعقولات حركة النفس النفس المراد بها عند المناطقة القوة الفكرية القوة العاقلة القوة التي يحصل بها التفكير، ويطلق عليها النفس، حركة النفس يعني: انتقالها من المبادئ إلى المطالب. في المعقولات، يعني: لا في المحسوسات. يعني: حركة النفس في المحسوسات تسمى تخليلا، وهذا يسمى فكرا، إذا (نتائج الفكر)، الفكر المراد به هنا النظر (لأرباب الحجا)، يعني: لأصحاب. أرباب جمع رب فعل، والمراد به أصحاب، و (الحجا) المراد به العقل، كأنه قال: لأرباب العقول. لأن بحثه إنما يكون في المعقولات، كل بحث المناطقة إنما هو في المعقولات ثم هذه المعقولات يعبر عنها بالألفاظ وبذلك سيأتي باب الدلالات ونحوها، (أخرجا نتائج الفكر لأرباب الحجا)، (لأرباب)، يعني: أصحاب، يعني: أرباب مضاف و (الحجا) مخصص مضاف إليه، وأل هنا قال الشارح: للكمال. يعني: للعهد العلمي، مراد المعهود الفرد الكامل، وهذا عند بعضهم يعظمون بدع المنطق ويجعلون أهله كأنهم هم العقلاء الذين بلغوا غاية العقل وأن غيرهم دونهم وهذا فيه نوع غلو.

---

(١) شرح القويسني على السلم المنورق للأخضري، أحمد بن عمر الحازمي ١/١٧

.... لأرباب الحجا

وحط عنهم من سماء العقل ... كل حجاب من سحاب الجهل." (١)

"(حتى)، هذه يأتي المصنف في شرحه تفريعية، يعني: يتفرع مما سبق ما بعده، وعند بعض أو أكثر الشراح جعلوها للانتهاء، يعني: إذا أتى حتى على بابها # .... [١٦,٥، فالحرف حينئذ يكون تدريجيا بمعنى أنه يحصل شيئا فشيئا، (بدت)، يعني: ظهرت. (لهم)، لأرباب العقول (شموس المعرفة)، يعني: المعرفة التي هي الشموس، والناظم هنا هو ناظم ((الجوهر المكنون)) يعتبر الأخضري من أئمة البلاغة، لذلك كلامه فيه التشبيه فيه جناس وفيه استعارات ونحو ذلك (شموس المعرفة)، يعني: المعرفة التي كالشموس، بجامع أن كلا منهما ينتفع به، وجه الشبه هنا الانتفاع ينتفع بكل منهما، (المعرفة) لا شك أنه ينتفع بها، والشمس كذلك ينتفع بها إلا أن الانتفاع بالشمس انتفاع حسي، والانتفاع بالمعرفة انتفاع معنوي، حتى ظهرت لهم شموس المعرفة معرفة يعني: المعرفة التي كالشموس في الانتفاع بها، (رأوا مخدراتها منكشفة) (رأوا) على حذف الفاء يعني: بدت فرأوا، فاء للتفريع (مخدراتها)، جمع مخدرة وهي: المرأة المستترة. مخدرة (مخدراتها) اسم مفعول والضمير هنا يعود إلى شموس المعرفة، يعني: رأوا مخدرات شموس المعرفة. والمراد به أو بالمخدرات المسائل الخفية، كما أن المرأة تستر في الخدر تختفي ورائه، كذلك بعض المسائل تختفي، وهذا واضح بين سواء كانت العلوم الشرعية أو في غيرها (مخدراتها)، هنا جمع مخدرة وهي: المرأة المستترة تحت الخدر. والمراد بالضمير هنا يرجع إلى شموس المعرفة، أي: مخدرات شموس المعرفة. أي: مسائلها الخفية. وبعضهم عبر بمسائلها إفصاحا، شبهت المسائل هنا بالعرائس المستترة تحت الخدر، إذا

حتى بدت لهم شموس المعرفة ... رأوا مخدراتها منكشفة

أي: متضحة. ومقصوده من هذا البيت انتهاء زوال الحجاب عن عقولهم لظهور شمس المعارف التي كانت مستترة بخدرها # ١٩,٢٥.

ثم قال الناظم بعدما حمد الله تعالى وذكر شيئا من **براعة الاستهلال**، والألفاظ التي يستخدمها المناطقة

---

(١) الشرح المختصر للسلم المنورق، أحمد بن عمر الحازمي ٤/١

ببراعة الاستهلال، أعاد الحمد مرة أخرى ولكن بصيغة أخرى، حمد بجملة اسمية أولا، ثم حمد بالجملة الفعلية.." (١)

"أمورا في مقدمات الكتب لا بد من ذكرها، وهي ثمانية، أربعة واجبة وجوبا صناعيا، وأربعة مستحبة استحبابا صناعيا. فالأربعة الواجبة هي البسملة، والحمدلة، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، والتشهد. والأربعة المستحبة هي تسمية نفسه، وقد أتى به الناظم كما ذكرنا، وتسمية كتابه، وأما بعد، **وبراعة الاستهلال**.

قوله: [قال] فعل ماض لفظا مستقبل معنى. إذا لم عدل عن الفعل المضارع وأتى بالفعل الماضي؟ نقول: التعبير بالفعل الماضي مرادا به الاستقبال خروج عن مقتضى الظاهر فلابد فيه من نكتة وفائدة، قال السيوطي في عقود الجمان مبينا تلك النكتة:

ومنه ماض عن مضارع وضع ... لكونه محققا نحو فزع

[ابن آب] هذا اسم أبيه، ولعله كنية؛ لأن الكنية ما صدر بأب أو أم وعلى الأصح أو ابن أو بنت. وأراد أن يبين اسمه فقال: [واسمه محمد] وهذا لضيق النظم، وإلا لو قال: محمد مباشرة لأدى المراد، واسمه مبتدأ، محمد خبر. وهو محمد بن آب القلاوي التواتي، القلاوي الأصل من قبيلة الأقلال الشنقيطية، ومولده ومسكنه في مدينة أتوات المغربية توفي سنة ألف ومائة وستين (١١٦٠هـ) هذا هو الصواب والمشهور عند المتأخرين، ولذلك غلط من شرح هذا النظم ونسبه لعبيد ربه، ولذلك نقول هذه المنظومة منسوبة لمحمد بن آب لذلك الصواب في الشطر الأول أن يقال (قال بن آب واسمه محمد) ولا نقول: (قال عبيد ربه محمد).." (٢)

"أجل كل ناطق بالضاد: أجل بمعنى: أعظم، كل ناطق بالضاد، هذا فيه براعة استهلال، لماذا؟ لأنه أراد أن يشير إلى كمال فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أتى بأصعب مخرج لحرف من الحروف وهو الضاد، والضاد هذا عند أهل التجويد فيه إشكالات.

أجل كل ناطق بالضاد: هذا فيه إشارة إلى حديث قيل بوضعه وقيل بضعفه وهو ضعيف: ﴿أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش﴾ لكنه ضعيف، والمعنى صحيح ولا إشكال لا تعارض أن يقال: حديث ضعيف بل موضوع والمعنى صحيح.

---

(١) الشرح المختصر للسلم المنورق، أحمد بن عمر الحازمي ٦/١

(٢) فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، أحمد بن عمر الحازمي ص/١٢

أجل كل ناطق بالضاد محمد: هذا بدل من قوله نبينا، قلنا: أجل كل ناطق بالضاد هذا فيه براعة استهلال كما ذكر في الأول، ونسينا أن ننبه: الحمد لله البديع: هذا إشارة إلى الفن الثالث وهو البديع.

الحمد لله البديع الهادي ... إلى بيان مهيع الرشاد

البيان: البيان هذا فيه إشارة إلى فن البيان، هذه تسمى براعة استهلال، مع هذا النص: أجل كل ناطق بالضاد، وهو إشارة إلى فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم، بل كمال فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم.

براعة الاستهلال: أن يأتي المتكلم في طالعة كلامه، يعني: في أول كلامه بما يشعر بمقصوده، هو يريد أن يؤلف في البلاغة فحينئذ يأتي ببعض العبارات أو الاصطلاحات الخاصة بالبلاغة، منها البديع ومنها البيان، ومنها الإرشاد إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أفصح من نطق بالضاد؛ لأن الذي يأتي بالمخارج يكون أقرب إلى الفصاحة، لذلك الخطيب الذي يعتني بمثل هذه يكون له دور.

محمد سيد خلق الله: محمد هذا علم ... لأنه أصل اسم مفعول محمد، فعله حمد فهو محمد، وقيل: مشتق من الحميد، والحميد هذا اسم من أسماء الله تعالى، وعليه حمل قول حسان:

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وابن القيم رحمه الله تعالى يرى أنه مشتق من حمد وهو اسم مفعول، وهو أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم، اشتق من حمد وهو صيغة مبالغة أو التضعيف هنا للمبالغة، لماذا؟ لأنه أكثر الخلق يحمد من البشر، لم؟ لكثرة خصاله التي يحمد عليها الظاهرة والباطنة، فحينئذ محمد ولذلك اختلف العلماء: أسماء الله عز وجل تدل على معاني في الموصوف، أسماء البشر وهذا باتفاق أهل السنة، وأهل البدع لا التفات إليهم، أسماء المخلوقين غير النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أنها جامدة، تسمي شخصا صالحا، صالح اسم فاعل، واسم الفاعل يدل على ذات متصفة بالصلاح، هل هو بالفعل متصف بالصلاح؟ لا؛ الله أعلم، لكن هل اللفظ يقتضي هذا؟ ما يقتضي؛ لأنه لا يجوز أن يشتق بإجماع أهل اللغة.

وهذا من أعظم ما يرد به على المعتزلة ومن على شاكلتهم، أنه لا يجوز أن يشتق لذات وصف لم تتصف تلك الذات بمدلول اللفظ، لا يمكن أن تقول لزيد: هذا قائم، يعني: بالفعل، وهو لم يحدث منه القيام، هذا بالإجماع ممنوع لغة، فحينئذ لو قيل: زيد صالح .. فلان سميت ابنك صالحا مثلا، لا يقتضي هذا

اللفظ بذات اللفظ أن تكون تلك الذات المسماة بهذا اللفظ قد قام بها وصف الصلاح، هذا اسم جامد.." (١)

"الثاني: **براعة الاستهلال**، وهي أن يأتي المتكلم في طالعة كلامه، يعني: أول كلامه بما يشعر بالمقصود، كما قال الناظم هنا أتى بها، وهي أنه قال:

الحمد لله البديع الهادي ... إلى بيان مهيع الرشاد

بديع: هذا إشارة إلى النوع الثاني، وبيان: هذا إشارة الفن الثاني.

الثالث من المستحبات: تسمية كتابه:

سميته بالجوهر المكنون ... في صدف الثلاثة الفنون

الرابع: "أما بعد"، وهي مستحبة، قد يؤتى بها نصا، وقد يؤتى بدلها بـ (هذا):

"هذا؛ وإن درر البيان"، "هذا" ... الانتقال من أسلوب إلى آخر، ومن كلام إلى كلام آخر.

إذن: لما افتتح نظمه بالبسملة ثم حمدل ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، عطف يعني: قال:

ثم صلاة الله ما ترنما ... حاد يسوق العيس في أرض الحمى

على نبينا ...

صلى الله عليه وآله وسلم.

عطف على نبينا؛ قال: ثم على صاحبه، ثم: هذا حرف عطف، والأصل أنه يفيد الترتيب والتراخي، ولكن التراخي هنا غير مراد، يعني: غير ظاهر، لماذا؟ لأن التراخي الأصل أنه يفيد أن ما بعد ثم تال لما قبله، مع مهلة في الزمن، جاء زيد فعمرو، جاء زيد ثم عمرو، ما الفرق بينهما؟ كلاهما يفيدان الترتيب، أن ما قبل الفاء وثم وقعا قبل ما بعدها، ولكن الفاء تدل على أن ما بعدها وقع بعد ما قبلها بلا مهلة، يعني: ليس بينهما فاصل، جاء زيد فعمرو، مباشرة. جاء زيد، فجاء عمرو مباشرة بعده، ليس بينهما فاصل. ليس بينهما مهلة ولا زمن، جاء زيد ثم عمرو، ثم هذه للترتيب وتثبت أن عمرا لم يل زيدا مباشرة، بل بينهما مهلة وتراخ في الزمن.

قد يراد الترتيب في مثل هذا الترتيب الذي معنا، قد يراد الترتيب، ولكنه رتبي، يعني: رتبة ما بعده بعد رتبة

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١٩/١

ما قبله، لماذا؟ لأنه أثنى على الله أولا، وهذا استيفاء بحق الخالق جل وعلا، إذ هو مقدم على حق غيره، الحمد لله. أثني على الله عز وجل بجميل الصفات على الجميل الاختياري إلى آخره، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ثم صلاة الله، لماذا عطف بـ"ثم"؟ لأن حق النبي صلى الله عليه وسلم تال لحق الله عز وجل.

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشقاق

لما كان من المخلوقين من البشر من يستحق الثناء بعد ثناء الله عز وجل كان أشرف المخلوقين هو النبي صلى الله عليه وسلم، وأولى من يستحق الثناء بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم صحابته الكرام، إذن: الثناء هنا طلب الثناء على الصحابة بعد الثناء على النبي صلى الله عليه وسلم، هذا فيه ترتيب، لأن حق الصحابة تال لحق النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك نقول مثلا بما بدأ بأبي بكر الصديق أفضل الناس بعد الأنبياء أبو بكر رضي الله تعالى عنه.." (١)

"والختام: هذا الثاني، أي: انتهاء الكلام، لأنه آخر ما يفيد السامع ويرسم في الذهن، فإن كان حسنا تلقاه السمع واستلذه، وجبر ما وقع فيما سبقه من تقصير، نعم .. العبرة بالخواتيم، حينئذ لا بد أن يأتي بالبيت الأخير بما يشمل معنى حسنا، لو كان في الكلام السابق تقصير لوفى الثاني الأخير بما حصل التقصير في السابق، ولذلك قال: فإن كان حسنا تلقاه السمع واستلذه، وجبر ما وقع فيما سبقه من تقصير، ومتى كان بخلاف ذلك كان على العكس، وربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق.

بمطلع حسن: الباء سببية، أي: بسبب إيراد مطلع حسن، يعني: التأنق في البدء إنما يكون بالحسن في الطلوع، مطلع: هذا اسم مفعل يعني: إما مصدر ميمي، أو مصدر مكاني، يعني: يكون المصدر مصدرا للطلوع الحسن. الباء سببية، أي: بسبب إيراد مطلع حسن، والمراد بحسن هنا: حسنا زائدا على غيره، بما ليس بمطلع، ومثله يقال فيما بعده.

إذا: بمطلع حسن، تأنق في البدء بماذا يكون؟ بالمطلع الحسن، يعني: هذا تفسير للبدء، وحسن القال، يعني: القال الحسن، عطف على مطلع، من عطف السبب على المسبب، بالنظر لوصفه، وحسن القال: بأن يكون اللفظ في غاية البعد عن التنافر والثقل، هذا أمر عام، سواء كان في الافتتاح أو في الأثناء أو في الختام، إذ لا تتحقق البلاغة والفصاحة إلا بمثل ذلك.

وحسن القال وسبك، وهو حسن النظم، بأن يكون في غاية البعد عن التعقيد والتقديم والتأخير الملبسين،

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٢

وأن تكون الألفاظ متقاربة في الجزالة والمتانة، والرقة والسلاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكتسى اللفظ الشريف المعنى السخيف، أو على العكس، بل يصاغان بتلاؤم وتناسب، ويعول فيه على صحة المعنى، بأن يسلمه من التناقض والامتناع والابتذال، ومخالفة العرف ونحو ذلك، يعني: يحقق ما مضى .. يحقق كل ما سبق من المعاني السابقة في علم المعاني والبيان، وما ذكر من البديع.

وسبك او براعة استهلال: من الابتداء الحسن نوع أخص منه، وهو أحسنه وهو الأهم هنا في الأنواع الثلاثة: وهو أن يقدم في أول كلامه إشارة إلى ما سيق الكلام لأجله، يعني: يشير في كلامه أنه يريد كذا في هذه المنظومة وهذه الخطبة أو نحوها، كقوله:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

إذا: أول كلمة هذه براعة استهلال، لأنه أراد أن يبشر، ولما قال: بشرى، عرفنا أن ما بعده مما يبشر به، وأصل البراعة: التفوق، وأصل الاستهلال: رفع المولود صوته عند الولادة، استهل صارخا، رفع المولود صوته عند الولاة المشعر بحياته، فسمي كل ما أشعر بشيء في الابتداء، براعة استهلال، والإضافة فيه على معنى اللام أو في.

إذا: المطلع الحسن، وحسن القال، والسبك، **وبراعة الاستهلال** كلها مما يتعلق بالبدء.." [١]

"إذن الأسماء توقيفية الأسماء توقيفية المظهر، لم يرد (الحمد لله الذي قد أظهرا) وأخرج وأوجد (علم الأصول) أل هذه الأصول علم هذا منصوب على أنه مفعول به وهو مضاف، والأصول مضاف إليه، أل هذه للعهد الذهني العهد الذهني والمعهود هو أصول الفقه، لأن الناظم أراد أن يبين أو أن ينظم كتابا في أصول الفقه وهو الورقات.

إذن أل هذه نقول: للعهد الذهني وفيه براعة استهلال، براعة استهلال، وهي من المستحبات؛ أن يأتي بها في المقدمة، **براعة الاستهلال** أن يأتي المتكلم في طالعة كلامه بما يشعر بمقصوده، أن يأتي المتكلم أو الخطيب أو الواعظ بطالعة كلامه أول كلامه فلا تدري يقول: الحمد لله، ثم يأتي ببعض الكلمات تشعر بالمقصود، ولذلك تجد بعض الخطباء إذا أراد أن يتكلم في الربا يأتي ببعض آيات الربا في المقدمة، أو الزنا ونحو ذلك، يأتي بها في المقدمة، هذه تسمى **براعة الاستهلال**، وتسمى عند بعضهم براعة المطلع، أن يأتي المتكلم في طالعة كلامه بما يشعر بمقصوده هنا قال: (علم الأصول) إذن عرفنا أنه سينظم في علم أصول الفقه، وأتى بها في المقدمة فحينئذ نقول هذه براعة استهلال (علم الأصول) الأصول الأصل أنه إذا

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/٤٩

أطلق انصرف إلى إما علم الكلام، وإما علم أصول الفقه، ولكن لما كان الكتاب في أصول الفقه حملناه عليه أظهر (علم الأصول للورى) يعني للخلق (وأشهرا) هذا معطوف على (أظهرا) يعني: وأشهره، الألف هذه للإطلاق والفاعل ضمير مستتر والمفعول به محذوف لأنه يقدر هكذا: الحمد لله الذي قد أظهرا أوجد علم أصول الفقه للخلق وأشهر، علم أصول الفقه للخلق ولكنه حذفه للعلم به.

وحذف فضلة أجب ** إن لم يضر

حذف فضلة أجب وحذف ما يعلم جائز ونقول: المفعول به إذا علم جاز حذفه (وأشهرا) الألف للإطلاق والمفعول به محذوف.

على لسان الشافعي وهونا**فهو الذي له ابتداء دونا

(على لسان الشافعي) (على لسان الشافعي))لسان) الأصل في اللسان أنه الجارحة لذلك قال في القاموس: المقول، اللسان هو المقول، مقول على وزن مفعل مقول بكسر الميم أي: آلة القول آلة القول، إذا قيل: المنشار، يعني: آلة النشار، المنحار آلة النحر، مقول آلة القول وهو: اللسان، هذا الأصل لكن لعل مراد النظم هنا المعنى المجازي وهو: إطلاق اللسان على القلم إطلاق اللسان على القلم. لذلك اشتهر القلم أحد اللسانيين القلم أحد اللسانيين بجامع أن كل منهما اللسان الجارحة والقلم يعبر عما في نفس المتكلم أو الكتاب، وهذا إطلاق المجازي (على لسان الشافعي) وهو: محمد بن إدريس إمام من الأئمة الأربعة أبي عبد الله الشافعي نسبة إلى شافع جده.." (١)

"لم؟ لأن شيخ الإسلام ابن تيمية قال وقال ويأتي بالأدلة ثم إذا عرض الأدلة تجده يعرضها كما عرضها شيخ الإسلام من جهة الاستنباط فهو يعتبر مجتهد في ظنه وليس مجتهدا يعتبر نفسه أنه مجتهد لكونه أخذ الأدلة لكونه أخذ القول دون أن يتقيد بمذهب معين لكنه وقع في تقليد آخر وهو أنه قلد مثلا شيخ الإسلام ابن تيمية في وجه الاستدلال من الأدلة لذلك ينتبه طالب العلم إلى ذلك.

قال رحمه الله تعالى:

باب أصول الفقه

انتهينا بالأمس من المقدمة التي يعنون لها العلماء بمقدمة الكتاب لأن المقدمة عندهم مقدمتان: مقدمة، ومقدمة علم.

مقدمة الكتاب كما سبق أنهم يذكرون فيها ثمانية أشياء: أربعة على جهة الوجوب الصناعي، وأربعة على

---

(١) شرح نظم الورقات، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/١

جهة الاستحباب الصناعي البسملة، والحمدلة، والتشهد، والصلاة والسلام على النبي عليه الصلاة والسلام، وأما بعد، **وبراعة الاستهلال**، وتسمية نفسه وكتابه هذه تسمى مقدمة الكتاب وأحيانا يذكر منهجه في الكتاب أو طريقته في الكتاب هذه تسمى مقدمة الكتاب.

مقدمة العلم هي: ما يعنون لها العلماء بالمبادئ العشرة التي جمعها الصبان محمد بن علي في قوله:

إن مبادئ كل فن عشرة ** الحد والموضوع ثم الثمرة

ونسبة وفضله والواضع ** والاسم والاستمداد وحكم الشارع

ومسائل والبعض بالبعض اكتفى ** ومن درى الجميع هذه العشرة

وأمام هذه المسائل العشرة الحد، والموضوع، والحكم، والفائدة التي هي الثمرة، وأما المسائل فهي التي تعرف بثنايا الكتاب دراسة الكتاب هذه المبادئ العشرة ذكر بعضها الناظم وهو ما عنون له باب أصول الفقه لأنه ذكر حد الفقه ذكر حد أصول الفقه من جهة معناه الإضافي ومن جهة معناه العلمي اللقبي ثم استرسل في بيان بعض المسائل المتعلقة بهذه الحدود إلى آخر الباب، ولم يذكر إلا الحد لماذا؟ لأن الحد أهم ما يعتني به طالب العلم، كل باحث، كل دارس لفن ما لعلم من العلوم قبل الشروع فيه قالوا: يجب أن يتصوره بوجه ما. يعني: أن يعرف حقيقة هذا الفن ماذا يدرس؟ لا بد أن يتصوره والتصور هنا يحصل إما بحده أو رسمه قالوا: فالذي يشرع في فن، وما يدري ما هو هذا الفن ما حقيقة هذا الفن قالوا:

كمن ركب متن عمياء وخبط خبطة ناقة عشواء.

ركب متن عمياء ظهر الطريق الذي لا يدرى أين يصل به قد يسير السائر في طريق ما ولا يعرف إلى أين يكون هذا المسير وما هي غاية هذا الطريق الذي يدرس فنا ولا يدري ما حده هذه حاله كمن ركب متن عمياء وخبط خبط ناقة عشواء، ناقة عشواء التي لا ترى لا تبصر نظرها وبصرها ضعيف هذه إذا ركبها وترك لها الخطام ماذا تصل به؟ تخبط به خبط ناقة عشواء فلذلك عين الناظم هنا أحد هذه المبادئ وهو: حد أصول الفقه. فقال:

باب أصول الفقه." (١)

"١٦- حسن التشبيه:

ذكره أرسطو ورأى أن الشعراء يقبحون في التشبيه إذا أبعدوا وفرق بينه وبين الاستعارة.

وأشار إليه الجاحظ عابرة؛ حيث ذكر مثلا له١، وعقد له المبرد في كامله بابا مستقلا٢، وكذلك فعل

---

(١) شرح نظم الورقات، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٣

ثعلب٣ وابن المعتز٤.

والإصابة في التشبيه معدودة من أسباب جودة الشعر٥، وذكر ابن قتيبة التشبيه في مواضع كثيرة من كتابه٦، ورأى أن المشبه به يجب أن يكون أقوى من المشبه في وجه الشبه٧، ذكر قدامة أيضا بابا مستقلا للتشبيه٨، وكذلك صاحب العمدة وأبو هلال وسواهم من العلماء.

ولقد كان اهتمام ابن المعتز بالتشبيه وعده له من ألوان البديع متمشيا مع فطرته وذوقه الأدبي الذي شغف بهذا الصبغ البياني شغفا خاصا.

١٧- إعنات الشاعر نفسه في القوافي ٩:

وهو باب لزوم ما يلزم، وهو من إفراد ابن المعتز١٠، وإذا كان ابن المعتز يسميه إعناتا فكيف يعده من البديع؟

١٨- حسن الابتداء ١١:

سمى ابن المعتز **براعة ال استهلال** حسن الابتداء، وأورد في هذا الباب قول النابغة: "كليني لهم يا أميمة ناصب"، قال ابن أبي الأصبع: ولقد أحسن ابن المعتز الاختيار١٢، ويقول الحلبي: وحسن الابتداء تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداء القصائد، وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية **براعة الاستهلال١٣**.

---

١ ٢٢٩/ ٢ و٢٤٣/ ٣ البيان.

٢ ٣٥-١٠١/ ٢ الكامل.

٣ ١٤-١٨ قواعد الشعر.

٤ ١٢١-١٣١ البديع.

٥ ٢٠ الشعر والشعراء.

٦ ٢٠، ٢١، ١٠٦ الشعر والشعراء.

٧ ٣١٧ المرجع.

٨ ٦٥-٧٠ نقد الشعر.

٩ ١٣٢-١٣٣ البديع.

١٠ ٨٦ حسن التوسل.

١١ ١٣٣-١٣٥ البديع.

١٢ ص٣ خزانة الأدب.

١٣ ٩٣ حسن التوسل.." (١)

"ج٢ ص٩١، ٩٢ وج١ ص١٧٠"، وكالاستطراد الذي أشار إليه الجاحظ دون أن يذكر اسمه ويسميه ابن المعتز: حسن الخروج "ج٣ ص٢٠٥ وج١ ص١٣٨"، وأبو تمام هو الذي سماه استطرادا١، وكجودة الابتداء، ويسميها المتأخرون: حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال**، وجودة القطع والقافية "بيان ج١ ص٨٩، ٩٠"، ويعني بها استقرار خاتمة الكلام وقافية البيت في مقرها وحسن ملاءمتها للغرض المقصود ولما قبلها من الكلام.

قال ابن رشيق في العمدة: "ورواية الجاحظ تدل على أن المقطع آخر البيت والقصيدة، وهو بالبيت أليق "١٩٠/ ١ العمدة" وكالمذهب الكلامي، والجاحظ هو الذي سماه هذا الاسم٢، وهو القياس المضمر عند أصحاب الخطابة والمنطق، والتطبيق كان معروفا بمعنى إصابة الكلام الغرض المسوق له"، أو كما يقول الرماني: "مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان".

واختاره ابن رشيق٣، وذكره الجاحظ كثيرا في بيانه٤، وهو بهذا المعنى خلاف ما عرف عند ابن المعتز حيث سماه "مطابقة" مريدا به الجمع بين الشيء وما يقابله في الكلام٥؛ ولكن الأصمعي سبق ابن المعتز إلى ذلك وتسميته بالمطابقة "٦/ ٢ العمدة" ويسميه قدامة في نقد الشعر: التكافؤ٦، ويسميه ثعلب في "قواعد الشعر": مجاورة الأضداد "ص٢٤ طبع ليدن"، وكالإفراط في الصفة، فقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء كثيرا مما أخذه على الشعراء من إفراط، مسميا لهذا النوع من المبالغة بهذا الاسم، فيقول في

---

١ راجع ص٤ مقدمة ديوان البحتري طبع ١٩١١ بالقاهرة، و٣٨/ ٢ العمدة.

٢ ١٠١ البديع، ٧٥/ ٢ العمدة لابن رشيق.

٣ ٦/ ٢ العمدة.

٤ ٨٦-٨٩/ ١، ١٣٣/ ٢ البيان والتبيين.

٥ ويسميه ثعلب المطابق "٢٤ قواعد الشعر طبع ليدن"، وتبعه قدامة فسمى نوعا من الجناس بذلك الاسم

---

(١) البديع في البديع لابن المعتز ابن المعتز ص/٤٢

"٩٦ نقد الشعر".

٦ ٨٥ نقد الشعر.." [١]

"١٣- حسن الابتداء ١:

ومنها حسن الابتداءات، قال النابغة "من الطويل":

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب٢

وقال الأعشى "من الطويل":

كفى بالذي تولينه لو تحبباً٣

---

١ راجع باب المبدأ والخروج والنهاية في العمدة لابن رشيق ص١٩١/ ١ وما بعدها. وحسن الابتداء تسمية ابن المعتز، وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية **براعة الاستهلال** "٩٣ حسن التوسل إلى صناعة الترسل".

٢ كليني: من وكله إلى نفسه يكله وكولا من باب وعد. والهم: الحزن. أميمة: اسم محبوبته. ناصب: شديد أي: ذو نصب؛ لأنه ينصب فيه ويتعب.

٣ تحبب إليه: تودد.." [٢]

"تقريظ وجد آخر الأصل

بسم الله **براعة الاستهلال**، والتخلص بالصلاة على محمد رسوله والآل. ثم براعة الختام عليه وعلى آله وصحبه السلام، وبعد فمن قابل أبواب هذا الكتاب وسلك أرجاءه المطرزة بالآداب وجد حديقة موشحة ببديع الطريقة، مرصعة بدراري البيان موشعة بلوامع التبيان، مرشحة بعقود اللآلئ، مدبجة كالغزالي، منسجمة الألفاظ والمعاني، موزونة الأركان والمباني، مطيبة بأفواه البلاغة، مسورة بلجين لا لجين الصناعة، فكأن بانيها قد خطها في ذهنه الوقاد قبل الشروع، ومهد أصولها لاستنباط الفروع ثم أسسها بأساس التحقيق، ورفعها بلبن التدقيق، وزينها بمصابيح الفصاحة، وأنارها بثوابت السماحة، حتى أتت جنة عالية، قطوفها دانية، فيها أعين فوائد جارية، وحور خرائد لقلوب المدنفين فارية، وموائد للمعاني وللمعاني قارية، وغرائب لم تكن على الأفئدة طارئة، وطرائق للسالكين واضحة كافية، ودبارق لقلوب العاشقين فنون البلاغة شافية، بيد أنها جامعة للغة الغريبة، والنكت العجيبة وخرائد الأذهان الحصان، التي لم يطمثهن أنس قبله ولا جان،

---

(١) البديع في البديع لابن المعتز ابن المعتز ص/٦١

(٢) البديع في البديع لابن المعتز ابن المعتز ص/١٧٦

فبخ له من لوذعي نحرير، وألمعي تنقيح وتقرير، ما أرشق براعة استهلاله وتخلصه، وما أوفق حسن مقطعة وتربصه، إلى أن حافظ على براعة الختام، بأوقات الصلاة بخير اهتمام، وجعلها تذكرة مدة الأعوام والأيام، وها أنا أختم بالسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله الأعلام وخير صحبه الماسكين زمام الإسلام.." (١)

"لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمه في بيت واحد أو جملة واحدة، وهذا الباب سماه قدامة التمام وسماه الحاتمي في الحلية التتميم. وهو مما توارد عليه قدامة، وابن المعتز، ثم ذكر من المحاسن الخروج من معنى إلى معنى، وهو الذي سماه الحاتمي الاستطراد، ناقلا تسميته لا مخترعا وهو من أفراد ابن المعتز، ثم ذكر تأكيد المدح بما يشبه الذم منفردا به وذكر تجاهل العارف، وهو الذي سماه المتأخرون الإعنات والتشكيك وهذه التسمية غير مطابقة من كل وجه، والتشكيك باب مفرد بينه وبين تجاهل العارف فرق سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى، وهو من إفراد ابن المعتز، ثم ذكر الهزل الذي يراد به الجد منفردا به، وذكر حسن التضمين منفردا به، وذكر الكناية منفردا بها، وذكر الإفراط في الصفة متواردا عليها مع قدامة، وسماها قدامة المبالغة، وذكر التشبيه متواردا هو وقدامة عليه، وذكر عتاب المرء نفسه منفردا به، وذكر حسن الابتداءات، منفردا به، وسماه من بعده **براعة الاستهلال** على اختلاف في شواهده، فهذه اثنا عشر بابا من المحاسن تضاف إلى أبواب البديع الخمسة فيصير بها ما اخترع ابن المعتز جميعه من ذلك سبعة عشر بابا.

وأما قدامة فضمن كتابه الموسوم بنقد الشعر عشرين بابا، وهي: التشبيه والتمام، والمبالغة، والطباق، الجناس متواردا هو وابن المعتز." (٢)

"باب حسن الابتداءات

هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية **براعة الاستهلال**، وخصوا بها ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله ولقد وقع في أثناء القصيدة.

وقد روى أن أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قصيدة قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي، حيث يقول خفيف:

هل إلى أن تنام عيني سبيل ... إن عهدي بالنوم عهد طويل

ومن إنشادات ابن المعتز في هذا الباب قول النابغة الذبياني طويل:

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٥٥٧

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٨٥

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ولعمري لقد أحسن ابن المعتز الاختيار، فإني أظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس في معلقته حيث قال طويل:." (١)

"فهذه أمثلة ابتداءات القصائد.

وأما أمثلة **براعة الاستهلال** فمنها قول محمد بن الخياط طويل:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدت وأعداني فأنفدت ما عندي

ولقد أحسن البحتري اتباعه في هذا المعنى حيث قال كامل:

أعدت يداه يدي وشرد جوده ... بخلي فأفقرني كما أغناني

ووثقت بالخلق الجميل معجلا ... منه فأعطيت الذي أعطاني

وإذا نظرت إلى فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه، ومن أراد الوقوف على ذلك فليقف على كتابي المنعوت بالخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح والله أعلم.." (٢)

"وأما حسن الابتداءات

- قال: هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وفرع المتأخرون من هذه التسمية **براعة الاستهلال**، وهو أن يأتى الناظم أو الناثر فى ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده فى القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده؛ والكاتب أشد ضرورة إلى ذلك من غيره ليبتنى كلامه على نسق واحد دل عليه من أول علم بها مقصده «١» ، إما فى خطبة تقليد، أو دعاء كتاب، كما قيل لكاتب: اكتب إلى الأمير بأن بقرة ولدت حيوانا على شكل الإنسان، فكتب:

أما بعد حمد الله خالق الإنسان فى بطون الأنعام وكقول أبى الطيب فى الصلح الذى وقع بين كافور وبين ابن مولاه:

حسم الصلح ما اشتهته الأعادى ... وأذاعته ألسن الحساد

وأمثال ذلك.

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/١٦٨

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/١٧٢

قال: وينبغي أن لا يبتدئ بشيء يتطير منه، كقول ذى الرمة:

ما بال عينك منها الماء ينسكب

وقول البحترى:

لك الويل من ليل تقاصر آخره

وكقول المتنبى:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكقوله:

ملث «٢» القطر أعطشها ربوعا ... وإلا فاسقها السم النقيعا." (١)

"قال: وينبغي أن يراعى فى الابتداءات ما يقرب من المعنى إذا لم تتأت له **براعة الاستهلال**، وتسهيل اللفظ وعذوبته وسلاسة ألفاظه، وقيل: إن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قول النابغة:

كلينى لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب

ومن أحسن ما ابتدأ به مولد قول إسحاق بن إبراهيم الموصلى:

هل إلى أن تنام عينى سبيل ... إن عهدى بالنوم عهد طويل

ويحسن أن يبتدئ فى المديح بمثل قول أبزون العمانى:

على منبر العلياء «١» جدك يخطب ... وللبلدة العذراء سيفك يخطب

وقول المتنبى:

عدوك مذموم بكل لسان ... وإن كان من أعدائك القمران

وقول التيفاشى:

ما هز عطفيه بين البيض والأسل ... مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

وفى التشبيب كقول أبى تمام:

على مثلها من أربع وملاعب ... أذيلت مصونات الدموع السواكب

وفى النسيب كقول المتنبى:

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة فى المآقى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٣/٧

وفى المراثى كقول أبى تمـام:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... وليس لعين لم يفض ماؤها عذر.." [(١)]

"ربوعه ورباعه «١» ، وتعجيل رؤية ما أوعد «٢» به قبل سماعه، ومن لقازان بأن يجاب الى مثل ذلك، أو يسمح له مع الأمن من سيوفنا ببعض ما فى يده من الممالك؛ ليقنع بما أبقت جيوشنا المؤيدة فى يده من الخيل والخول، ويعيش فى الأمن ببعض ما نسمح له به، ومن للعور «٣» بالحول؛ والسيوف الآن مصغية الى جوابه لتكف إن أبصر سبل الرشاد، أو تتعوض برءوس حماته وكماته عن الأغماد إن أصر على العناد، والخير يكون.

وأما التقاليد والمناشير والتواقيع وما يتعلق بذلك- فالأحسن فيها بسط الكلام، وتعتبر كثرته وقلته بحسب الرتب، ويجب أن يراعى فيها أمور:

منها **براعة الاستهلال** بذكر الرتبة أو الحال، أو قدر النعمة، أو لقب صاحب التقليد أو اسمه بحيث لا يكون المطلع أجنبيا من هذه الأحوال، ولا بعيدا منها، ولا مباينا لها، ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق المقصد من أول الخطبة." [(٢)]

"قد استقرت القاعدة بين الناس فى إسجالات العدالة ان يبتدئ الكاتب بخطبة يذكر فيها شرف العدالة وعلوها، وارتفاع رتبتها وسموها؛ ويصف المعدل بأوصاف تليق به بحسب حاله ورتبته، وأصالته وأبوته؛ ولا حجر على الكاتب فيما يأتى به من القرائن والفقر والكلام المسجوع ما لم يتعد به حق المنعوت، أو يخرج به عن طوره ورتبته، ويراعى مع ذلك قيود الشرع وضوابطه؛ والكاتب فيها بحسب «١» قدرته وتصرفه فى أساليب الكلام **وبراعة الاستهلال** واختيار المعانى؛ فاذا انتهى إلى آخر الخطبة وذكر أوصاف المعدل قال: فلذلك استخار الله تعالى سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى قاضى القضاة، حاكم الحكام؛ وينعته بنعوته، ويذكر مذهبه وولايته للدولة القاهرة السلطانية الملكية الفلانية، بالولاية الصحيحة الشرعية، المتصلة بالمواقف الشريفة النبوية، الإمامية العباسية، (المستكفى) أمير المؤمنين- أعز الله به الدين، و أمتع ببقائه الإسلام والمسلمين- وأشهد على نفسه من حضر مجلس حكمه وقضائه، وهو يومئذ نافذ القضايا والأحكام ماضى النقض والإبرام، وذلك فى اليوم المبارك؛ ويكتب الحاكم التاريخ بخطه؛ ثم يكتب الكاتب: أنه ثبت عنده وصح لديه بالبينة العادلة المرضية، التى ثبتت بمثلها الحقوق الشرعية، عدالة

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٤/٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري7 /٢٠١

فلان– وينعته بما يستحقه– ثبوتا ماضيا شرعيا معتبرا تاما مرضيا؛ وحكم بعدالته، وقبول قوله فى شهادته؛ وأجاز ذلك وأمضاه واختاره وارتضاه، وألزم ما اقتضاه مقتضاه؛ وأذن سيدنا قاضى القضاة فلان لفلان المحكوم بعدالته فى تحمل الشهادات وأدائها، لتحفظ الحقوق على أربابها وأوليائها؛." (١)

"قلب المخبر لتلقي الخبر وأوجبت له التشوف التام إلى سماعه ومعرفته وهذا نوع من **براعة الاستهلال** وخطاب التهييج ثم كشف عن حقيقة الخبر كشفا مؤكدا بأدلة التأكيد فقال إني وجدت امرأة تملكهم ثم أخبر عن شأن تلك الملكة وأنها من أجل الملوك بحيث أوتيت من كل شيء يصلح أن تؤتاه الملوك ثم زاد في تعظيم شأنها بذكر عرشها التي تجلس عليه وأنه عرش عظيم ثم أخبره بما يدعوهم إلى قصدهم وغزوهم في عقر دارهم بعد دعوتهم إلى الله فقال: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ وحذف أداة العطف من هذه الجملة وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها إيذانا بأنها هي المقصودة وما قبلها توطئة لها ثم أخبر عن المغوي لهم الحامل لهم على ذلك وهو تزيين الشيطان لهم أعمالهم حتى صدهم عن السبيل المستقيم وهو السجود لله وحده ثم أخبر أن ذلك الصد حال بينهم وبين الهداية والسجود لله الذي لا ينبغي السجود إلا له ثم ذكر من أفعاله سبحانه إخراج الخبء في السماوات والأرض وهو المخبوء فيهما من المطر والنبات والمعادن وأنواع ما ينزل من السماء وما يخرج من الأرض وفي ذكر الهدهد هذا الشأن من أفعال الرب تعالى بخصوصه إشعار بما خصه الله به من إخراج الماء المخبوء تحت الأرض قال صاحب الكشاف "وفي إخراج الخبء إمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السماوات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة الناظر بنور الله مخايل كل شخص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله فما عمل آدمي عملا إلا ألقى الله عليه رداء عمله".

فصل: وهذا الحمام من أعجب الحيوان هداية حتى قال الشافعي: "أعقل الطير الحمام" وبرد الحمام هي التي تحمل الرسائل والكتب ربما زادت قيمة الطير منها على قيمة المملوك والعبد فإن الغرض الذي يحصل به لا يحصل بمملوك ولا بحيوان غيره لأنه يذهب ويرجع إلى مكانه من مسيرة ألف فرسخ فما دونها وتنهي الأخبار والأغراض والمقاصد التي تتعلق بها مهمات الممالك والدول والقيمون بأمرها يعتنون بأنسابها اعتناء عظيما فيفرقون بين ذكورها وإناثها وقت السفاد وتنقل الذكور عن إناثها إلى غيرها والإناث عن ذكورها ويخافون عليها من فساد أنسابها وحملها من غيرها ويتعرفون صحة طرقها ومحلها لا يأمنون أن تفسد الأنثى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٩/١٤٦

ذكرا من عرض الحمام فتعتريها الهجنة والقيمون بأمرها لا يحفظون أرحام نسائهم ويحتاطون لها كما يحفظون أرحام حمامهم ويحتاطون لها والقيمون لهم في ذلك قواعد وطرق يعتنون بها غاية الاعتناء بحيث إذا رأوا حماما ساقطا لم يخف عليهم حسبها ونسبها وبلدها ويعظمون صاحب التجربة والمعرفة وتسمح أنفسهم بالجعل الوافر له ويختارون لحمل الكتب والرسائل الذكور منها ويقولون هو أحن إلى بيته لمكان أنثاه وهو أشد متنا وأقوى بدنا وأحسن اهتداء وطائفة منهم يختار لذلك الإناث ويقولون الذكر إذا سافر وبعد عهده حن إلى الإناث وتاقت نفسه إليهن فربما رأى أنثى في طريقه ومجيئه فلا يصبر عنها فيترك المسير ومال إلى قضاء وطره منها وهدايته على قدر التعليم والتوطين والحمام موصوف باليمن والألف للناس ويحب الناس ويحبونه ويألف المكان ويثبت على العهد والوفاء لصاحبه وإن أساء إليه ويعود إليه من مسافات بعيدة وربما صد فترك وطنه عشر حجج وهو ثابت على الوفاء حتى إذا وجد فرصة واستطاعة عاد إليه والحمام إذا أراد السفاد يلطف للأنثى غاية اللطف فيبدأ بنشر ذنبه وإرخاء جناحه ثم يدنو من الأنثى فيهدر لها ويقبلها ويزفها وينتفش." [1]

"الحق قد غام فجرد سيف العزم وشام وعنف على الغي ولام واقتاد الخليفة إلى السعادة بكل زمام صلى الله عليه وعلى آله الخيرة الكرام صلاة لا انفصال لمتتابعها ولا انفصام

وقلت في فاتحة عيد الأضحى الحمد لله العظيم شانه العزيز سلطانه القديم إحسانه العميم غفرانه الذي دعت عوارف إحسانه إلى عرفات عزماته من كل طريق فلبتها قلوب أولي الإنابة مسرعة في الإجابة وأمتها من كل فج عميق أحمده على نعمه التي أحلت مغنى الغنى فتحلت بفرائدها الأجياد ومننه التي بلغت مني المنى وكل الأيام بها أعياد واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يخلق الملوان جديدها ولا تنال يد الشك مشيدها وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله رحمة للبرايا ومحذرا من شر عواقب الخطايا فطهر من رجسها السجايا وساق إلى محلها الهدايا وبعث الهمم على الضحايا صلى الله عليه وعلى آله المبرإين من الدنايا صلاة لا تنفك بتعاهد معاهدهم في البكور والعشايا

وأما خطب الأصدقة فكثير وكذا ما كتبته لمن عرض علي كتابا مما يناسب اسمه وكتابه كثيرا أيضا ومن عجيب ما اتفق في ذلك من **براعة الاستهلال** ما كتبته للمولى المالك شهاب الدين أحمد ابن المولى شرف الدين ابن المولى شمس الدين ابن المرحوم شهاب الدين محمود أعزه الله تعالى ورحم سلفه حين عرض علي مقدمة ابن الحاجب رحمه الله تعالى

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٧١

أما بعد حمد الله الذي جعل شرف العلم منوطا بشرف الدين فحق لمن تحلى بهما أن يكون جده محمودا وعاقبته أحمد وفي ذكره طول وهو عند المولى شهاب الدين أحمد المذكور

ومما يلحق بالشعر المتقدم ما كتبته للمولى المالك جمال الدين ابن المرحوم علاء الدين بن غانم حين جاءني توقيع بتدريس العذراوية بخطه وإنشائه وقد تصدق بها ملك الأمراء تغمده الله برحمته من غير سؤال من المجتث

(وافى إلي كتاب ... حلو من الدر حالي)

(صاغته فكرة سار ... إلى العلى غير س ا لي)

(يسري وراء سراة ... تشتاقهن المعالي)

(

(مرصع بلآل ... مشرف بمثال)." (١)

"وقد ضمنا في نداه جنان ... به احتفل الحسن حتى كمل «١»

فأعرض عنا لعذر «٢» الصيام ... وما كل عذر له مستقل

فإن الجنان محل الجزاء ... وليس الجنان محل العمل

وعندما فرغنا من الطعام أنشدت الأبيات شيخنا أبا البركات، فقال «٣» : لو أنشدتنيها، وأنتم بعد لم تفرغوا منه «٤» لأكلت معكم، برا بهذه الأبيات، والحوالة في ذلك على الله تعالى.

ولما «٥» قضى الله، عز وجل، بالإدالة، ورجعنا إلى أوطاننا من العدوة، واشتهر عني ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة، والتيه على السلطان والدولة «٦» ، والتكبر على أعلى رتب الخدمة، وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة، ورغبت في تفويت «٧» الذمة، ونفرت عن الأندلس بالجملة، خاطبني بعد صدر بلغ من حسن الإشارة، **وبراعة الاستهلال** الغاية، بقوله:

«وإلى هذا يا سيدي، ومحل تعظيمي وإجلالي، أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم! وضاعف في العز درجات ارتقائكم! فإنه من الأمر الذي لم يغب عن رأي المقول «٨» ، ولا اختلف فيه أرباب المحسوس «٩» والمعقول؛ أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، وتاج مفرقها، وواسطة سلكها، وطراز ملكها، وقلادة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢١/٦٥

نحرها، وفريدة دهرها «١٠» ، وعقد جيدها المنصوص، وكمال «١١» زينتها «١٢» على المعلوم والمخصوص «١٣» ؛ ثم أنتم مدار أفلاكها، وسر سياسة أملاكها، وترجمان بيانها، ولسان إحسانها، وطبيب مارستانها، والذي عليه عقد إدارتها، وبه قوام إمارتها؛ فلديه «١٤» يحل المشكل، وإليه يلجأ في الأمر المعضل؛ فلا غرو أن تتقيد بكم الأسماع والأبصار، وتحدق نحوكم الأذهان والأفكار؛ ويزجر عنكم السانح والبارح «١٥» ،." (١)

"الباب الرابع في الفواتح والخواتم واللواحق؛ وفيه فصلان.

الفصل الأول- في الفواتح من البسملة والحمدلة والتصلية والسلام «١» في أول الكتب والبعدية التي يقع بها فصل الكلام، وبيان أصول ذلك وأصل مشروعيته.

الفصل الثاني- في الخواتم واللواحق من كتابة «إن شاء الله» في آخر المكتوب وكتابة التاريخ ومعرفة معناه ومعرفة التواريخ القديمة وأصل وضع التاريخ في الإسلام والتاريخ بالهجرة والوقت الذي يؤرخ فيه؛ وبيان بناء التاريخ العربي على الليالي دون الأيام، واختلاف مذاهب النحاة والكتاب في التعبير عن ذلك، وبناء تاريخ العجم على الأيام دون الليالي، ومعرفة استخراج كل تاريخ من تواريخ الأمم من الآخر، وكتابة المستند والحمدلة في آخر الكتب والتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم بعدها، والاختتام بالحسبلة «٢» ، وبيان مواضع ذلك جميعه من الورق، وكيفية وضعه.

المقالة الرابعة في المكاتبات، وفيها بابان الباب الأول في أمور كلية: تتعلق بالمكاتبات، وفيه فصلان.

الفصل الأول- في مقدمات المكاتبات من أصول يعتمدها الكاتب فيها من حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال وتقديم مقدمة تناسب المكتوب فيه في أول المكاتبة، ومعرفة الفرق بين الألفاظ الجارية في الخطاب ونحوه من." (٢)

"إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحا أحوج ما تكون الأرض إليه» . وقال ابن عمنا علي رضي الله عنه «الملك والدين أخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر، ونشرهما في الرعية ضائع «١» ، فالدين أس والملك حارس، فما لم يكن له أس فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع» فليأمر بالمعروف وينه عن المنكر عالما أنه ليس يسأل غدا بين يدي الله عز وجل عن ذلك سوانا وسواه، وينه نفسه عن الهوى فلا يحسن لعود قده أن يميل مع هواه- وليترك الثغور بعدله باسمة، وقواعد الملك بفضله قائمة- وليجاهد في

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١١٩/١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٧/١

الله حق جهاده، ويلطف بالرعايا ويعلم أن الله لطيف بعباده- وليشرح لهم بالإحسان صدرا، ويجرهم إذا وقف على أحوالهم أحسن مجرى؛ وهو بحمد الله غير محتاج إلى التأكيد: لأنه لم يخل له من القيام في مصالح المسلمين فكر، ولكنه تجديد ذكر على ذكر، والله تعالى يمتع بطول بقائه البلاد والعباد، ولا برحت سيوفه الهندية تكلم أعداء هذا الدين بألسنة حداد، وثبت ملكه بالعدل وشيد أقواله وأفعاله، وختم بالصالحات أعماله، والاعتماد على الخط الإمامي المستعيني أعلاه، إن شاء الله تعالى.

قلت: ولم يعهد أنه كتب عن الخلفاء العباسيين القائمين بالديار المصرية عهد لملك من غير ملوك الديار المصرية سوى هذا العهد.

المذهب الرابع

([أن يفتتح العهد بقوله أما بعد] «٢» «فالحمد لله» أو «أما بعد فإن أمير المؤمنين» أو «أما بعد فإن كذا» ونحو ذلك) ويأتي بما يناسب من **براعة الاستهلال** وحال المتولي والمولي وما يجري مجرى ذلك مما يسنح للكاتب ذكره مما يناسب الحال، ويأتي من الوصايا بما يناسب المقام: إما بلفظ الغيبة أو بلفظ الخطاب كما في غيره من المذاهب." (١)

"المهيع الثاني (فيما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة هذه الولايات)

واعلم أنه يجب على الكاتب في ذلك مراعاة أمور.

الأمر الأول- **براعة الاستهلال** بذكر اسم المولى أو نعته أو لقبه أو الوظيفة

، أو حال الولاية، مع استصحاب **براعة الاستهلال** إلى آخر الخطبة ونحوها من الافتتاحات، كما أشار إليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في كتابه «حسن التوسل» «١» كما تقدم ذكره في الكلام على البيعات والعهود.

الأمر الثاني- مراعاة قطع الورق

«٢» في الجملة لكل ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات والولايات وغيرها. والذي يختص بهذا المكان ذكر مقادير قطع الورق فيما يتعلق بهذه الولايات خاصة، وهي خمسة مقادير:- أحدها قطع الثلثين، ويختص في الولايات بكبار التقاليد دون غيرها- وثانيها قطع النصف، وفيه تكتب صغار التقاليد، والمراسيم المكبرة، والتفاويض، وكبار التواقيع- وثالثها قطع الثلث، وفيه تكتب صغار المراسيم المكبرة، والتواقيع المتوسطة- ورابعها قطع العادة المنصوري، وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التي لأصحابها بعض ميزة

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٤٠/١٠

لا تنتهي بهم إلى رتبة قطع الثلث- وخامسها قطع العادة الصغير، وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التي هي في الرتبة الأخيرة.

الأمر الثالث- معرفة ما يناسب كل قطع من هذه المقادير من الأقلام

. وقد تقدم في المقالة الثالثة نقلا عن «التعريف» «٣» ما لكل مقدار من الأقلام.." (١)

"الشاهد به ديوان الوقف، أو نحو ذلك، على ما شرح فيه» ثم يكتب في الصدر بعد البسملة ما صورته: «رسم بالأمر الشريف العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الفلاني» (باللقب الخاص ولقب السلطنة) ويدعى له بما فيه **براعة الاستهلال** بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد «أن يستقر المجلس السامي، الأمير، الأجل» (إلى آخر ألقابه) ، أو أن يستقر مجلس الأمير، الأجل (إلى آخر الألقاب) لما له من كذا وكذا (ويأتي من صفات المدح بما يناسب المقام) ثم يقال: فليباشر ذلك، أو فليتلق ذلك، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة بكذا ونحو ذلك؛ ثم يوصى بما يليق به، ويدعى له بدعوتين فقط؛ ثم يقال: بعد الخط الشريف العالي أعلاه الله تعالى» .

قلت: وهذا الصنف إن روعي صاحبه، كتب في قطع العادة المنصوري، وإلا ففي قطع العادة الصغير. قال في «التثقيف» : ومما ينبه عليه أنه لا يكتب مرسوم شريف في قطع العادة إلا بمثل نيابة الشقيف بصفد «١» وصرخد وعجلون والصبيبة، فإنه لا يولى فيها إلا مقدم حلقة «٢» أو جندي، ومثل هذا لا يكتب عن." (٢)

"موضوعاتها: من تدريس التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والنحو، وغير ذلك، في **براعة الاستهلال** والوصايا، وهو في الوصايا آكد.

وهذه نسخ وصايا أوردها في التعريف:

وصية مدرس- وليطلع في محرابه كالبدر وحوله هالة تلك الحلقة «١» ، وقد وقت أهداب ذلك السواد منه أعظم اسودادا من الحدقة، وليرق سجادته التي هي لبدة جواده إذا استن الجدال في المضمار، وليخف [أضواء] «٢» أولئك العلماء الذين هم كالنجوم كما تتضاءل الكواكب في مطالع الأقمار، وليبرز لهم من وراء المحراب كمينه، وليفض على جداولهم الجافة معينه، وليقذف لهم من جنبات ما بين جنبيه درر ذلك البحر العجاج، وليرهم من غرر جياده ما يعلم به أن سوابقه لا يهولها قطع الفجاج، وليظهر لهم من مكنون

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٧٣/١١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١١١/١١

علمه ما كان يخفيه الوقار، وليهب من ممنون فضله ما يهب منه عن ظهر غنى أهل الافتقار، وليقرر تلك البحوث ويبين ما يرد عليها، وما يرد به من منعها وتطرق بالنقض إليها، حتى لا تنفصل الجماعة إلا بعد ظهور الترجيح، والإجماع على كلمة واحدة على الصحيح، وليقبل في الدروس طلق الوجه على جماعته، وليستملهم إليه بجهد استطاعته، وليربهم كما يربي الوالد الولد، وليستحسن ما تجيء به أفكارهم وإلا فكم رجل بالجبه لبنت فكر وأد؛ هذا إلى أخذهم بالاشتغال، وقدح أذهانهم للاشتغال؛ ولينشيء الطلبة حتى ينمي منهم الغروس، ويؤهل منهم من كان لا يظن منه أنه يتعلم لأن يعلم ويلقي الدروس.

وصية مقريء:

وليدم على ما هو عليه من تلاوة القرآن فإنه مصباح قلبه، وصلاح قربه،." (١)

"اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقديمه وأن يعتنى. فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر [الصحبة الشريفة] «١» .

فليباشر ذلك محليا هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل، ومجليا في هذه الحلبة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل، ومبينا من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن اطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار؛ فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مثمرا، وليل نقسه في ليل الأعمال مقمرا، وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح محدقا، ولسان قلمه لما دق وجل من أمور الأقاليم محققا، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مثبتا، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح منبتا، ولدر أخلاف الأعمال بحسن الاطلاع محتلبا، ولوجوه الأموال بإنفاق التوجه إلى تثميرها إن أقبلت مجتليا وإن أعرضت مختلبا، فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل، ومنابت ينمي٥١ النظر الجلي والاتقان الجليل؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتخيلها في كل حال أمامه؛ والله تعالى يسدده ويوفقه بمنه وكرمه!؛ إن شاء الله تعالى.

قلت: وربما أضيف إلى نظر الصحبة نظر الدواوين الشريفة، وحينئذ فيحتاج الكاتب أن يأتي في **براعة الاستهلال** بما يقتضي الجمع بينهما، ويورد من الوصايا ما يختص بكل منهما. والكاتب البليغ يتصرف في ذلك على وفق ما يحدث له من المعاني ويسنح له من الألفاظ.." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٤٣/١١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٢٦/١١

"والعفاف، واستحق بذلك أن نجدد له فضل الألفة، ونؤكد له بكرمنا نيلا اعتاده وعرفه.

فليستمر في ذلك استمرارا به أسباب الخير مؤتلفة، ووجوه الفضائل عن صنوف الكتابة غير منصرفة، وليبد من البلاغة بيانها البديع، ويجمل منزل العلياء الرفيع، ويسلك مسلكه في الأمانة، ويتق الله تعالى بملازمة المراقبة والديانة، والله تعالى يعلي مكانه، ويزيد في اقتناء الفضائل إمكانه، والاعتماد على العلامة الشريفة أعلاه، إن شاء الله تعالى.

قلت وربما كتب التوقيع لكاتب الدرج بزيادة معلوم، فيحتاج الكاتب إلى أن يأتي بعبارة تجمع إلى ما تقدم من **براعة الاستهلال** ما يليها من موجب الاستحقاق، وسبب الزيادة وترادف الإحسان.

وهذه نسخة توقيع بشهادة «١» الخزانة، كتب به لابن عبادة، وهي:

أما بعد حمد الله الذي أفاض على الأولياء من خزائن فضله، وأفاء لهم أوفر نصيب من إحسانه المشكور فيه عدل قسمه وقسم عدله، وأهمى علي٥م من سحب مواهبه ما يقصر عنه الغمام في وبله وطله، وأسبغ عليهم من جوده العميم ما يصفو لديهم المرح في وارف ظله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه ورسوله أشرف رسله، وخاتم من جاء من الأنبياء من قبله، والهادي ببعثته الشريفة إلى طرق الحق وسبله، وعلى آله وصحبه الذين تابعوه في قوله وفعله، وبايعوه على المظاهرة في نصرة الدين الحنيف وأهله، وجمعوا هممهم على التئام كلمة الإيمان وجمع شمله، وأرهف كل منهم في نصره ماضي عزمه ونصله- فإن أولى من رعيت له حقوق ذمامه، ومنح أجزل العطاء الذي تقضي الأقدار." (١)

"بتقواه سيرا خبرا «١» وخبرا، ويذر جورا وجبرا، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا

«٢» قلت: وغالب ما يعتنى به في تواقيع أرباب الأقلام المفتتحة ب «رسم» الدعاء المصدر به التواقيع واشتماله على **براعة الاستهلال**.

وهذه جملة أدعية «٣» من ذلك ينسج على منوالها:

أثير الدين- لا زال فلك فضله أثيرا، وطالع سعده منيرا، وهبوب ريح مبراته للخيرات مثيرا.

أمين الدين- لا زال ينبغي للخدم الشريفة خير أمين، ويصطفي للقيام بالمصالح أنهض معين، ويجتبي لأهم المهمات من هو غير متهم في المناصحة وغير ظنين.

بدر الدين- لا زال يولي المناصب الدينية من سلك في النزاهة مسلكا جميلا، ويولي الفضل الجزيل من أضحى إشراق بدره على آثار حظه دليلا.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٤٩/١١

برهان الدين– لا زالت أوامره الشريفة ترفع للعلماء شانا، وتقيم على استحقاقهم دليلا واضحا وبرهانا.

تاج الدين– لا زالت صدقاته الشريفة ترفع تاج الفضائل على الرؤوس وبره الشامل يذكي النفوس ويزكي الغروس، وتوارد إفضاله يوشي المهارق." (١)

"المقصد الثاني (في بيان الولايات التي تصدر عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قد تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالممالك الشامية، أن نواب هذه الممالك يستبدون بتولية ولاة الأعمال، وقد يستبدون أيضا بتولية صغار النواب، كالقلاع والبلدان التي تكون نيابتها إمرة عشرة. وربما استبدوا بتولية بعض النيابات التي تكون نيابتها إمرة طبلخاناه؛ إلا أن تولية العشرات عن النواب أكثر وتولية الطبلخاناه عن السلطان أكثر. أما النيابات التي تكون نيابتها تقدمة ألف، فإنها مختصة بالسلطان.

والنيابات التي يكون متوليها جنديا أو مقدم حلقة فإنها مختصة بالنواب. وأن تولية أكابر أرباب الأقلام: ككاتب السر، والوزير بالشام، حيث جعلت وزارة، وناظر النظار، حيث جعلت نظرا، وأصحاب دواوين المكاتبات، ونظار المال بسائر الممالك، ونظار الجيش، وقضاة القضاة بها– فإن التولية في ذلك تختص بالسلطان دون النواب. وما عدا ذلك يولي فيه السلطان تارة، والنواب أخرى.

وربما حصلت الولاية في بعض ذلك من بعض النواب ثم يكتب من الأبواب السلطانية بالحمل عليها، على ما تقدم بسط القول فيه هناك، فليراجع منه.

المقصد الثالث (في افتتاحات التواقيع والمراسيم بتلك الولايات

تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها **براعة الاستهلال** في الافتتاح وأن الافتتاح فيها ب «الحمد لله» أعلى من الافتتاح ب «أما بعد» ، والافتتاح ب «أما بعد» أعلى من الافتتاح ب «– رسم بالأمر الشريف» ، وأن لفظ «أما بعد» أعلى من لفظ «وبعد» ، وأنه يراعى في الولايات وصف المتولي والولاية، ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح، ثم يقال: «ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة، اقتضى حسن الرأي أن يستقر في كذا ونحو ذلك» . ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولي لها، ثم يؤتى بالاختتام: من المشيئة والتاريخ،." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٥٨/١١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٧٦/١٢

"يسير، وأول الاسم بعد المنتصب السادس عشر من المنتصبات، وآخر النون من حسين البارزة عن ألف شعبان إلى جهة اليسار بعدها أحد عشر منتصبا من جهة اليسار؛ وهي هكذا:

الجملة الخامسة (في ذكر طرف من نسخ المناشير التي تكتب في الإقطاعات في زماننا)

قد تقدم الكلام في الجملة الثالثة على صورة ما يكتب في المناشير وما تفتتح به وذكر ترتيبها، واختلاف حالها باختلاف حال مراتب أصحابها صعودا وهبوطا، فأغنى عن ذكر إعادته هنا.

واعلم أن الأحسن بالمناشير أن تكون مبتكرة الإنشاء، ليراعى فيها حال المكتوب له في **براعة الاستهلال** وغيرها من المناسبات والمطابقات؛ فإن تعذر ذلك فالأحسن أن تكون **براعة الاستهلال** منقولة في الإسم والكنية واللقب ونحوها." (١)

"ليكون ذلك أقرب إلى الغرض المطلوب؛ فإن تعذر ذلك فينبغي أن تكون **براعة الاستهلال** قاصرة على معنى الإقطاع وما ينجر إليه من ذكر كرم السلطان ومنه وإحسانه إلى أخصائه، وما ينخرط في هذا السلك.

ثم نسخ المناشير على ثلاثة أنواع:

النوع الأول (ما يفتتح ب «الحمد لله» ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول (مناشير أولاد الملوك)

وهذه نسخ مناشير من ذلك:

نسخة منشور، كتب به عن الملك المنصور قلاوون لابنه الناصر محمد في سلطنة أبيه المذكور، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر؛ وهي:

الحمد لله الذي زين سماء الملك بأنور كوكب بزغ، وأعز ملك نبغ، وأشرف سلطان بلغ إلى ما بلغ ذوو الاكتهال من اختيار شرف الخلال وما بلغ.

نحمده حمدا تزيد به النعماء وتنمي، وتهمل به الآلاء وتهمي، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من كل ريب، واقصة «١» كل عيب، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بعثه الله تعالى بمكارم الأخلاق، ومعاداة ذوي النفاق، وساوى بين الصغير والكبير من أولي الاستحقاق، في الإرفاد والإرفاق، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما رق نسيم وراق، وما خصفت أوراق.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٧١/١٣

وبعد، فإن الهواتف أبين ما تشدو، إذا حفت الرياض بها من كل جانب، والسماء أحسن ما تبدو، إذا تزينت بالكواكب السيارة والشهب الثواقب، والسعادة." (١)

"الضرب الثاني (مما يلزم الكاتب في كتابة الهدنة- تحرير أوضاعها، وترتيب قوانينها، وإحكام معاقدها)

وذلك باعتماد أمور:

منها- أن يكتب الهدنة فيما يناسب الملك الذي تجري الهدنة بينه وبين ملكه؛ ولم أرمن تعرض في الهدن لمقدار قطع الورق، وإن كثرت كتابتها في الزمن المتقدم بين ملوك الديار المصرية وبين ملوك الفرنج، كما سيأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى. والذي ينبغي أن يراعى في ذلك مقدار قطع الورق الذي يكاتب فيه الملك الذي تقع الهدنة معه: من قطع العادة أو الثلث أو النصف.

ومنها- أن يأتي في ابتدائها **براعة الاستهلال**: إما بذكر تحسين موقع الصلح والندب إليه ويمن عاقبته، أو بذكر السلطان الذي تصدر عنه الهدنة، أو السلطانين المتهادنين، أو الأمر الذي ترتب عليه الصلح، وما يجري هذا المجرى مما يقتضيه الحال ويستوجبه المقام.

ومنها- أن يأتي بعد التصدير بمقدمة يذكر فيها السبب الذي أوجب الهدنة ودعا إلى قبول الموادعة.

فإن كانت الهدنة مع أهل الكفر، احتج للإجابة إليها بالائتمار بأمر القرآن والانقياد إليه، حيث أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالمطاوعة على الصلح والإجابة إلى السلم بقوله: وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله

«١» ، وما وردت به السنة، من مصالحته صلى الله عليه وسلم قريشا عام الحديبية، وذكر ما سنح له من آيات الصلح وأحاديثه، وما جرى عليه الخلفاء الراشدون من بعده، وكفهم عن القتال وقوفا عند ما حد لهم، وأنه لولا ذلك لشرعوا الأسنة." (٢)

"محمد بن إسماعيل البخاري» ، ومنها «البدر المنير، في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير» للإمام أبي القاسم الرافعي، وبه تكمل معرفة الفقيه ويصير محدثا فقيها.

وأجزت له مع ذلك ما جاز لي وعني روايته بشرطه عند أهله، زاده الله وإياي من فضله؛ ومنها الكتب الستة: «البخاري» و «مسلم» و «أبو داود» و «الترمذي» و «النسائي» و «ابن ماجه» ، والمسانيد: «مسند

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٧٢/١٣

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٢/١٤

أحمد» و «مسند الشافعي» وغير ذلك.

وكان ذلك في تاريخ كذا. وكتب عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، غفر الله لهم: حامدا ومصليا ومسلما وأشهد عليه جماعة من أهل العلم بآخره» .

قلت: وتكون ألقاب المجاز على قدر رتبته، مثل أن يكتب له: «الفقير إلى الله تعالى، الشيخ، الإمام، العالم العامل، الأوحد، الفاضل، المفيد، البارع، علم المفيدين، رحلة القاصدين، فلان الدين، أبو فلان فلان بن فلان» (بحسب رتب آبائه) . وإنما أهملت ذكر ال ألقاب في هذه الإجازة، من حيث إنه لا يليق بأحد أن يذكر ألقاب نفسه في مصنف له، لأنه يصير كأنه أثنى على نفسه.

وأما الإجازة بعراضة الكتب، فقد جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتابا في الفقه، أو أصول الفقه، أو النحو، أو غير ذلك من الفنون، يعرضه على مشايخ العصر، فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب، ويفتح منه أبوابا ومواضع، يستقرئه إياها من أي مكان اتفق، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم، استدل بحفظه تلك المواضع على حفظه لجميع الكتاب، وكتب له بذلك كل من عرض عليه، في ورق مربع صغير، يأتي كل منهم بقدر ما عنده من الملكة في الإنشاء، وما يناسب ذلك المقام من **براعة الاستهلال** ونحوها: فمن عال، ومن هابط. وربما خفف بعضهم فكتب:." (١)

"الجناب العالي القاضوي، أو المجلس العالي، أو المجلس السامي الشيخي، أو المجلس السامي الصدري، وما أشبه ذلك. والمعنى في وضع هذه الألقاب في هذا الموضع أن يدل أول لقب يذكر بعد اللقب الأصل وتابعه على الوظيفة كما تدل **براعة الاستهلال** على صورة الحال في المكاتبة أو الولاية أو غيرهما، وربما كان المحل مما يقتضي التلقيب بالمولوي فيقدم لقب المولوي على لقب الوظيفة، مثل أن يقال: المقر الشريف العالي المولوي الأميري، فإن كان اللقب الأصل مضافا لمجلس الأمير أو مجلس القاضي أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر، قام المضاف إليه مقام لقب الوظيفة؛ فيقوم الأمير من مجلس الأمير مقام الأميري، والقاضي من مجلس القاضي مقام القضائي، والشيخ من مجلس الشيخ مقام الشيخي، والصدر من مجلس الصدر مقام الصدري. ثم لا ينعت بعد ذلك في هذه الحالة إلا بالأجل، ويؤتى بعده بما يناسبه من الألقاب.

النمط الثالث (ما يلي رقب الوظيفة «١»)

وهو الكبير أو الكبيري، فيؤتى به تلو اللقب الدال على الوظيفة، مثل أن يقال: المقر العالي الأميري الكبيري،

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٦٩/١٤

أو الجناب العالي القضائي الكبيري، أو المجلس السامي الكبيري إذا كان بالياء، أو الكبير إذا كان بغير الياء.

النمط الرابع (ما يقع قبل لقب التعريف الذي هو الفلاني أو فلان الدين)

وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة، كالكافلي والكفيلي للنواب، والوزيري للوزراء، والحاكمي للقضاة. فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل الفلاني الكافلي أو الكفيلي بحسب ما يقتضيه الحال، وإن كان حاكما." (١)

"المعاصي الوبية «١» » ونحو ذلك من الافتتاحات البهجة، والابتداآت الرائقة، مما ستقف على الكثير منه في خلال هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

الأصل الثاني (أن يأتي في ابتداء المكاتبة **ببراعة الاستهلال** المطلوبة في كل فن من فنون الكلام)

بأن يأتي في صدر المكاتبة بما يدل على عجزها؛ فإن كان الكتاب بفتح، أتى في أوله بما يدل على التهنئة، أو بتعزية أتى في أوله بما يدل على التعزية، أو في غير ذلك من المعاني أتى في أوله بما يدل عليه؛ ليعلم من مبدإ الكتاب ما المراد منه. كما يحكى أن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب إلى الخليفة كتابا يعرفه فيه أن بقرة ولدت عجلا وجهه وجه إنسان، فكتب: «أما بعد حمد الله خالق الأنام، في بطون الأنعام» . وفضلاء الكتاب وأئمتهم يعتنون بذلك كل الاعتناء، ويرون تركه إخلالا بالصنعة، ونقصا في الكتابة، حتى أن الوزير ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر قد عاب أبا إسحاق الصابي على جلالة قدره في الكتابة، واعترافه له بالتقدم في الصناعة، بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك فقال في أوله:

«الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين؛ الوحيد الفريد، العلي المجيد؛ الذي لا يوصف إلا بسلب الصفات، ولا ينعت إلا برفع النعوت؛ الأزلي بلا ابتداء، الأبدي بلا انتهاء، القديم لا منذ أمد محدود، الدائم لا إلى أجل معدود، الفاعل لا من مادة امتدها، الصانع لا بآلة استعملها، الذي لا تدركه الأعين بألحاظها، ولا تحده الألسن بألفاظها، ولا تخلقه العصور بمرورها، ولا تهزمه الدهور بكرورها، ولا تجاريه أقدام النظراء والأشكال، ولا تزاحمه مناكب القرناء والأمثال، بل هو الصمد الذي لا كفء له، والفرد الذي." (٢)

"لا توءم معه، والحي الذي لا تخترمه المنون، والقيوم الذي لا تشغله الشؤون، والقدير الذي لا تؤوده المعضلات، والخبير الذي لا تعييه المشكلات» ثم قال:

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١١٤/٦

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٦٥/٦

إن هذه التحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتحه بها، ولكنها تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب «الشامل» للجويني، أو كتاب «الاقتصاد» للغزالي، وما جرى مجراهما. فأما أن توضع في أول كتاب فتح فلا.

واعلم أن **براعة الاستهلال** في المكاتبات قد تقع مع الابتداء بالتحميد، كما في كتاب عمرو بن مسعدة المتقدم ذكره، وكما كتب أبو إسحاق الصابي عن الطائع إلى بعض ولاة الأطراف، عند زوال الوحشة بينه وبين الأمراء، ووقوع الصلح والاتفاق: «أما بعد، فالحمد لله ناظم الشمل، بعد شتاته، وواصل الحبل، بعد بتاته؛ وجابر الوهن إذا انثلم، وكاشف الخطب إذا أظلم» .

وقد تقع مع الابتداء بالتقبيل كما كتبت «١» إلى بعض الرؤساء بثغر الإسكندرية، ملوحا إلى التعبير عنه بالثغر، وعن الريح التي تهب عليه من جانب البحر بالملثم «٢» ، وعن مستنزه من مستنزهاته بالرمل، وعن المساكن التي به بالقصور «٣» ، مع قربه من البحر، ومناسبة ذكر النسيم بالثغر بما صورته: يقبل أرض ثغر قد رق ملثمه، وراق مبسمه؛ باثا لشكر يعترف الرمل بالقصور عن حده، وتقف أمواج البحر المحيط دون عده» .

وقد تقع مع الابتداء بالدعاء، وتكون **براعة الاستهلال** في الدعاء المعطوف على المبتدإ به، بأن يكون الدعاء مناسبا للحالة المكتوب فيها، كما." (١)

"نبه عليه صاحب «المثل السائر» وغيره، وسيأتي الكلام على أمثلة ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم من المكاتبات ما يعسر معه الإتيان **ببراعة الاستهلال** «١» فيما يلي ذلك من الكلام في مقدمة المكاتبة قبل الخوض في المقصود ولا يهملها جملة. على أن الشيخ شهاب الدين محمودا الحلبي، رحمه الله، قد ذكر في كتابه «حسن التوسل» أنه إن عسر عليه **براعة الاستهلال**، أتى بما يقارب المعنى. وبكل حال فإذا أتى ببراعة استهلال في أول مكاتبته استصحبها إلى الفراغ من الخطبة إن كان الكتاب مفتتحا بخطبة، وإلا استصحبها إلى الفراغ من مقدمة الكتاب الآتي بيانها.

الأصل الثالث (أن يأتي في المكاتبة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة يصدر بها تأسيسا لما يأتي به في مكاتبته)

مثل أن يأتي في صدور كتب الحث على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة، وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه، وخذلان أعدائه، وإعزاز الموحدين، وقمع الملحدين. وفي صدور كتب الفتح بإنجاز وعد الله الذي

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٦/٢٦٦

وعده أهل الطاعة من النصر والظفر، وإظهار دينه على الدين كله. وفي صدور كتب جباية الخراج «٢» ، يصدر بحاجة قيام الملك وأس السلطنة إلى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان في عمارة الثغور، وتحصين الأعمال، وتقوية الرجال، ونحو ذلك مما يجري على هذا النمط مما سيأتي بيانه في مقاصد المكاتبات في الكلام على الابتداآت والجوابات فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فقد قيل: إنه لا يحسن بالكاتب أن يخلي كلامه- وإن كان وجيزا- من مقدمة يفتتحه بها وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة، ليوفي التأليف حقه. قال في." (١)

"الفصل الثاني من الباب الأول من المقالة الخامسة (في بيان ما تجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات على سبيل الإجمال)

قال الشيخ شهاب الدين محمود «١» الحلبي رحمه الله في «حسن التوسل» : يجب على الكاتب أن يراعي في ذلك أمورا.

منها- براعة الاستهلال بذكر الرتبة، أو الحال، أو قدر النعمة، أو لقب صاحب الولاية، أو اسمه، بحيث لا يكون المطلع أجنبيا من هذه الأحوال، ولا بعيدا منها، ولا مباينا لها، ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد من أول الخطبة إلى آخرها.

ومنها- أن يراعي المناسبة وما تقتضيه الحال، فلا يعطي أحدا فوق حقه، ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله، ويراعي أيضا مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنة بها على مقدار ذلك.

ومنها- أن لا يصف المتولي بما [يكون «٢»] فيه تعريض بذم المعزول [وتنقيص له «٣»] ، فإن ذلك مما يوغز الصدور، ويورث الضغائن في القلوب، ويدل على ضعف الآراء في اختيار الأول، مع إمكان وصف الثاني بما يحصل به." (٢)

"يخليها من براعة الاستهلال، المناسبة للحال، والمقصر لها مراع لزيادة الإطناب في الوصف.

قلت: ولا يخفى أن ما ذكراه في التقاليد يجيء مثله في العهود لجريها على موجبها من مول ومولى.

أما إذا كانت الولاية بيعة فإنه يجعل موضع الوصايا ذكر التزام الخليفة البر والإحسان للخلق، ووعد النظر في أمور الرعية، وصلاح أحوالهم، وذكر التحليف للخليفة، أو له وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البيعة له على الوفاء بالعهد والدخول تحت الطاعة. قال في «حسن التوسل» : والأمر الجاري في ذلك

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٦٧/٦

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٦٧/٩

على العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن التصرف على ما يقتضيه الحال، وذكر من ذلك تقليدا أنشأه لمتملك سيس «١» ، وتقليدا كتبه بالفتوة، وسيأتي ذكر ذلك مع ما شاكله في مواضعه إن شاء الله تعالى.

الوجه السابع (قطع الورق)

واعلم أن الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بجملتها ينحصر قطع الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها:

أحدها- قطع البغدادي الكامل

؛ وهو مختص بالبيعات والعهود مطلقا على أي الافتتاحات كان.

الثاني- قطع الثلثين من المنصوري

؛ وهو لأجل الولايات السلطانيات لأرباب السيوف وبعض أرباب الأقلام، ولا يفتتح فيها إلا بالحمد.

الثالث- قطع النصف منه

؛ وهو لما دون ذلك، ولا يفتتح فيه إلا بالحمد أيضا.." [1]

"كما كانوا يسمون غيرها بذلك.

السبب الخامس- أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولي عهده بالخلافة بأن يكون خليفة بعده إمضاء لعهده، كما فعل معاوية رضي الله عنه في أخذه البيعة لولده يزيد.

المقصد الثالث (في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة)

واعلم أنه يجب على الكاتب أن يراعي في كتابة البيعة أمورا:

منها- أن يأتي في **براعة الاستهلال** بما يتهيأ له من اسم الخليفة أو لقبه كفلان الدين، أو لقب الخلافة، كالمتوكل أو المستكفي، أو مقتضى الحال الموجب للبيعة من موت أو خلع ونحوهما، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى.

ومنها- أن ينبه على شرف رتبة الخلافة وعلو قدرها ورفعة شأنها، وأنها الغاية التي لا فوقها، والدرجة التي لا بعدها، وأن كل رتبة دون رتبتها، وكل منصب فرع عن منصبها.

ومنها- أن ينبه على مسيس الحاجة إلى الإمام «١» ، ودعاية الضرورة إليه، وأنه لا يستقيم أمر الوجود وحال الرعية إلا به، ضرورة وجوب نصب الإمام بالإجماع، وإن شذ عنه الأصم فخالف ذلك.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٧٩/٩

ومنها– أن يشير إلى أن صاحب البيعة استوعب شروط «٢» الإمامة واجتمعت فيه، ويصفه منها بما يعز وجوده، ويتمدح بحصوله، كالعلم." (١)

"يجعله خليفة في حياته ثم يخلفه بعده. قال: ولو أوصى بالإمامة فوجهان «١» ؛ لأنه يخرج بالموت عن الولاية فلا يصح منه تولية الغير. واستشكل الرافعي رحمه الله هذا التوجيه بكل وصية، وبأن ما ذكره من جعله خليفة بعده، إن أريد به استنابته فلا يكون ذلك عهدا إليه بالإمامة. وإن أريد جعله إماما في الحال، فهو: إما خلع نفس العاهد، وإما اجتماع إمامين في وقت واحد. وإن أريد جعله خليفة أو إماما بعد موته فهو الوصية من غير فرق.

قلت: وهذا جنوح من الرافعي رحمه الله إلى صحة الخلافة بالوصية أيضا، كما تصح «٢» بالاستخلاف.

الوجه الثالث (فيما يجب على الكاتب مراعاته)

واعلم أنه يجب على الكاتب أن يراعي في كتابة العهد بالخلافة أمورا:

منها: براعة الاستهلال بذكر ما يتفق له، من معنى الخلافة والإمامة واشتقاقهما، وحال الولاية، ولقب العاهد والمعهود إليه، ولقب الخلافة، إلى غير ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات.

ومنها: أن ينبه على شرف رتبة الخلافة، وعلو قدرها، ورفعة شأنها، ومسيس الحاجة إلى الإمام، ودعاية الضرورة إليه، ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا.

ومنها: أن ينبه على اجتماع شروط الإمامة في المعهود إليه من حين." (٢)

"المملكة وإن كان خارجا عن يده فهو داخل في عموم ولايته، حتى لو غلب على شيء منها أو فتحه لم يحتج فيه إلى تولية جديدة من الخليفة. ولا مانع لذلك، فسيأتي في الكلام على المناشير أنه يجوز للإمام أن يقطع أرض الكفر قبل أن تفتح، وإذا جاز ذلك في الإقطاع «١» ففي هذا أولى. وحينئذ فتكون سلطنة الديار المصرية الآن مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء.

الوجه الثالث (فيما يجب على الكاتب مراعاته فيه)

واعلم أنه يجب على الكاتب مراعاة أمور:

منها: براعة الاستهلال بما يتهيأ له من اسم السلطان أو لقبه الخاص، مثل فلان الدين، أو لقبه بالسلطنة، مثل الناصر، والظاهر، ونحوهما، أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم في البيعات

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٩/٢٨٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٩/٣٦٦

وعهود الخلفاء.

ومنها: التنبيه على شرف السلطنة وعلو رتبتها، ووجوب القيام بأمر الرعية، وتحمل ذلك عن الخليفة.

ومنها: الإشارة إلى اجتهاد الخليفة وإعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة، وأنه لم يجد بذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه، فيصفه بالصفات الجميلة، ويثني عليه بما يليق بمقام الملك.

ومنها: الإشارة إلى جريان لفظ تنعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو تفويض، وقبول ذلك، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد.

ومنها: إيراد ما يليق بالمقام من الوصية، بحسب ما يقتضيه الحال، من علو رتبة الخلافة وانخفاضها، مبينا لما يلزمه القيام به، من حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، وتنفيذ الأحكام، وإنصاف المظلوم من الظالم، وحماية البيضة، والذب عن الحرم، وإقامة الحدود." (١)

"وقد نظم الموصلي بديعيته في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ماية وأربعين بيتا استهلها بقوله:

براعة تستهل الدمع في العلم ... عبارة عن نداء المفرد العلم

وإذا ما وصلنا إلى القرن التاسع الهجري، يطالعنا أديبنا البارع ابن حجة، صاحب هذا الكتاب الذي بين أيدينا، والذي نظم ببديعية في مدح الرسول الكريم، وعد فيها من أنواع البديع ماية واثنين وأربعين نوعا، استهلها **ببراعة الاستهلال** قائلا:

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم ... براعة تستهل الدمع في العلم

التعريف بخزانة الأدب وعملنا فيه:

"خزانة الأدب" في الأصل، وكما يذكر صاحبه في مقدمته له، هو شرح لبديعيته الآنفة الذكر، والتي أنشأها كما يذكر هو "برسم من محمد بن البارزي الجهني الشافعي" صاحب ديوان الإنشاء بالممالك الإسلامية، وقد حذا فيها حذو "طرز البردة" بعد أن وقف محمد بن البارزي على بديعية الشيخ عز الدين الموصلي التي التزم فيها تسمية النوع البديعي، وورى فيها من جنس الغزل، ليتميز بذلك على الشيخ صفي الدين الحلي، الذي لم يلتزم ذلك في بديعيته.

وقد سمى ابن حجة بديعيته تلك "تقديم أبي بكر" وحاول فيها أن ينسج على منوال عز الدين الموصلي، في تضمين الأبيات ألفاظا يشير بها إلى الأنواع البديعية التي بلغ بها ماية واثنين وأربعين نوعا، دون تمييز

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٢٥/٩

بين البديع وغيره من علوم البلاغة، محاولا أيضا أن يجاري صفي الدين الحلي في رقة الشعر وجمال النظم والسلاسة.

ثم إنه، أعني ابن حجة، وضع هذا الشرح المطول لبديعيته، وأسماه "خزانة الأدب وغاية الأرب" فكان أكثر أهمية وفائدة من البديعية ذاتها، إذ جاء كما يدل عليه اسمه، خزانة للأدب مليئة بدرر علومه وجواهر معارفه، وغاية ما يحتاجه المتأدب.

و"خزانة الأدب" أشبه بالموسوعات الأدبية التي تجمع فنون الأدب المختلفة: من اللغة والبلاغة والنقد والتاريخ والتراجم، ومنثور الكلام ومنظومه، حتى المواليا١ والأزجال لكثرة ما يورده صاحبه فيه من الشواهد، والأمثلة والاستطرادات، وأحيانا النكت

---

١ المواليا: نوع من النظم العامي من البحر البسيط اشتهر في العصر العباسي.." (١)

"والمساجلات الأدبية. ولا نبالغ إذا قلنا إنه مرجع أدبي خاص، للعصرين: المملوكي والأيوبي، بل هو مرجع أدبي عام.

لذلك رأينا أن نوليه ما يستحقه من الاهتمام، تسهيلا للاستفادة منه، فقمنا بشرحه والتعليق عليه، وتخريج الآيات القرآنية الواردة فيه، وتحريره بضبطه، وتعيين بداية الفقرات ووضع النقاط والفواصل، وترجمنا لصاحبه، ومن ثم أشرفنا على طباعته، وقمنا بتصحيحه، حتى خرج بهذه الحلة، والله ولي التوفيق.

ملاحظات حول الكتاب:

من شروط البديعيات التي كان متعارفا عليها، أن يلتزم ناظموها بأن يكون كل بيت منها شاهدا على نوعه بمجرده، ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده. ومن هذه الزاوية وبناء لهذا الشرط، ولغيره من الشروط البديعية والبيانية، يقارن ابن حجة بين بديعيته وبديعية صفي الدين الحلي، وبديعية عز الدين الموصلي، وبديعية العميان فيقول: "أما براعة بديعيتي ... فإني جمعت فيها بين **براعة الاستهلال** وحسن الابتداء، بالشرط المقرر لكل منهما، وأبرزت تسمية نوعها البديعي في أحسن قوالب التورية، وشنفت١ بأقراط غزلها الأسماع، مع حشمة الألفاظ وعذوبتها، وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة.

وبديعية صفي الدين الحلي، غزلها لا ينكر، غير أنه لم يلتزم فيها بتسمية النوع البديعي ... ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة. وأما الشيخ عز الدين الموصلي، فإنه لما التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا".

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٩/١

وإذا نحن نظرنا إلى الكتاب من هذه الزاوية، فإننا نلاحظ فعلا، شدة مراعاة ابن حجة لهذا الشرط، وعده عدم الأخذ به عيبا وقع فيه البعض ممن نظموا البديعيات غيره.

وأول ما يمكن أن نلاحظه على ابن حجة في "خزانة الأدب" أنه لم يتورع عن ذكر الأشعار التي فيها الكثير من الفحش، الذي يجدر بأرباب الأدب أن يربأوا بأنفسهم عن ذكره أو التلفظ به. خاصة وأنه كان باستطاعة ابن حجة الابتعاد عن مثل هذا الشعر الفاحش، لأنه إنما أورده في مجال التمثيل على الأنواع البديعية، وكان يمكن أن يوجد له عذر في إيراده، لولا أن بعض أمثلته، وهو قصيدة لابن الفارض، بلغ أربعة وستين بيتا، مما لا يعقل معه أن يسمى مثلا؛ أما وقد ظهر تعمده في إيراد فاحش الشعر، فلا عذر له عندنا.

---

١ شنف: حلى وزين.." (١)

"في حسن الابتداء وبراعة الاستهلال:

حسن الابتداء عند المتقدمين:

لي في ابتداء مدحكم يا عرب ذي سلم ... براعة تستهل الدمع في العلم

اعلم أنه اتفق علماء البديع، على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة١ المعاني واضحة في استهلالها، وأن لا يتجافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقة، وأن يكون التشبيب بنسبها مرقصا عند السماع، وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن٢ ومطلعها، مع اجتناب الحشو، ليس له تعلق بما بعده. وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه، بحيث لا يكون شطره الأول أجنبيا من شطره الثاني.

وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال، حسن الابتداء، وفي هذه التسمة تنبيه على تحسين المطالع، وإن أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء، وأورد في هذا الباب قول النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب٣

قال زكي الدين بن أبي الأصبع: لعمري لقد أحسن ابن المعتز الاختيار، فإني أظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس، حيث قال:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل٤

---

١ أهلة المعاني: بداياتها

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١/ ١٠

٢ الحزن: من الأرض الوعر، ومن الكلام الغريب المعقد.

٣ ناصب: متعب.

٤ سقط اللوى الدخول وحومل: أسماء أماكن في الصحراء.." (١)

"لك أن تشوقني الأوطان ... وعلي أن أبكي بدمع قان

والآراء على هذا النوع، تستحسن هنا مطلع ناصر الدين بن النقيب، فإنه أعدل شاهد مقبول، والتشبيب بنفسه الطيب يغني، في هذه الحضرة، عن الموصول، وهو:

قلدت يوم البيت جيد مودعي ... دررا نظمت عقودها من أدمعي

وبالنسبة إلى حسن الابتداءات، مطلع اليخ برهان الدين القيراطي مع حسنه وبهجته، فيه نقص وهو:

قسما بروضة خدها ونباتها ... وبآسها المخضل في جنباتها١

فإنه لم يأت بجوانب القسم، ولا ما يحسن السكوت على مطلعه، ولا تتم الفائدة إلا به. ومشايخ البديع قرروا أن لا يكون المطلع متعلقا بما بعده، في حسن الابتداء.

وقد آن أن أحبس عنان القلم، فإن الشرح قد طال، ولم أطله إلا ليزداد الطالب إيضاحا ويداوي علل فهمه بحكم المتقدمين، ويتنزه في رياض الأدب على النبات الغض من نظم المتأخرين.

براعة الاستهلال في النظم:

انتهى من أوردته في حسن الابتداء وقد فرع المتأخرون منه **براعة الاستهلال**، وفي النظم والنثر، وفيها زيادة على حسن الابتداء، فإنهم شرطوا في **براعة الاستهلال**، أن يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه، مشعرا بغرض الناظم، من غير تصريح بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل بها على قصده، من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة أو مدح أو هجو، وكذلك في النثر، فإذا جمع الناظم بين حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال** كان من فرسان هذا الميدان، وإن لم يحصل له **براعة الاستهلال** فليجتهد في سلوك ما يقوله في حسن الابتداء.

وما سمي هذا النوع **براعة الاستهلال** إلا لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه، عند ابتداء رفع صوته به، ورفع الصوت في اللغة هو الاستهلال، يقال: استهل المولود صارخا، إذا رفع صوته عند الولادة. وأهل الحجيج، إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، وسمي الهلال هلالا، لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته. ومما وقع من براعات ال ا ستهلال التي

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١٩/١

١ الآس: شجر دائم الخضرة، بيضي الوريق أبيض الزهر عطريه – المخضل: الندى.." [(١)]

"تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيدة، براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمني حيث قال:

إذا لم يسالمك الزمان فحارب ... وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب

فإشارات العتب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة، ويفهم منها أن بقية القصيدة تعرب عن ذلك، فإن زكي الدين بن أبي الإصبع قال: **براعة الاستهلال** هي ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله، وهذه القصيدة، في حكمها وتحشمها وتسيير أمثالها، نهاية، والموجب لنظمها على هذا النمط، أنه كان بينه وبين الكامل بين شارر صحبة أكيدة، قبل وزارة أبيه، فلما وزر استحال عليه فكتب إليه هذه القصيدة التي من جملتها:

ولا تحتقر كيدا صغيرا فربما ... تموت الأفاعي من سموم العقارب

ومنها:

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز ... عليه من الإنفاق في غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر علينا جيشه بالعجائب

ومنها:

وما راعني غدر الشباب لأنني ... ألفت لهذا الخلق من كل صاحب

ومنها:

إذا كان هذا الدر معدنه فمي ... فصونوه عن تقبيل راحة واهب١

رأيت رجالا حالهم في مآدب ... لديكم وحالي عندكم في نوادب٢

تأخرت لما قدمتكم علاكم ... علي وتأبى الأسد سبق الثعالب

ترى أين كانوا في مواطني التي ... غدوت لكم فيهن أكرم خاطب٣

ليالي أتلوا ذكركم في مجالس ... حديث الورى فيها بغمز الحواجب٤

ومن ألطف البراعات وأحشمها، براعة مهيار الديلمي، فإنه بلغه أنه وشي به إلى ممدوحه فتنصل من ذلك، بألطف عذر وأبرزه في معرض التغزل والنسيب، فقال:

أما وهواها حلفة وتنصلا ... لقد نقل الواشي إليك فامحلا٥

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١/ ٣٠

وما أحلى ما قال بعده:

سعى جهده لكن تجاوز حده ... وكثر فارتابت ولو شاء قللا

---

١ الراحة: باطن الكف أو جمعه. الواهب: المعطي الهبات.

٢ مآدب: في فرح – نوادب: أي في حزن.

٣ خاطب: طالب القرب.

٤ الورى: الناس. وغمز الحواجب: تحريكها.

٥ التنصل: التخلص والإنكار. الواشي: ناقل الأخبار – أمحلا: أي لم ينقل الحقيقة، كذب.." (١)

"وأما قصيدتي النبوية، الموسومة بأمانة الخائف، فإنها عزيب١ هذا البارق، وحلبة مجرى هذه السوابق، لأنني لم أخرج في تغزلها عن التباري والتشبيب بذكر المنازل المعهودة، وبراعتها:

شدت بكم العشاق لما ترنموا ... فغنوا وقد طاب المقام وزمزم٢

وقلت بعده:

وضاع شذاكم بين سلع وحاجر ... فكان دليل الظاعنين إليكم٣

وجزتم بواد الجزع فاخضر والتوى ... على خده بالنبت صدغ منمم٤

ولما روى أخبار نشر ثغوركم ... أراك الحمى جاء الهوى يتنسم٥

وما أليقه أن يكون صدرا للمدائح النبوية، ومنها:

فيا عرب الوادي المنيع حجابه ... وأعني به قلبي الذي فيه خيموا

رفعتم قبابا نصب عيني ونحوها ... تجر ذيول الشوق والقلب يجزم

ويا من أماتونا اشتياقا وصيروا ... مدامعنا غسلا لنا وتيمموا

منعتم تحيات السلام لموتنا ... غراما وقد متنا فصلوا وسلموا

يقولون لي في الحي أين قبابهم ... ومن هم من السادات قلت هم هم

عريب لهم طرفي خباء مطنب ... بدمعي وقلبي نارهم حين تضرم٦

ومن ألطف الإشارات إلى أن هذا التغزل صدر قصيدة نبوية قولي منها:

أوري بذكر البان والزند والنقا ... وسفح اللوى والجزع والقصد أنتم٧

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٣١/١

ولم أزل في **براعة الاستهلال**، أستهل أهلة هذه المعاني، إلى أن وصلت إلى حسن التخلص فقلت:

---

١ عزيب: بعيد، أي أبعد ما يمكن أن يتوصل إليه في هذا الفن.

٢ المقام: قبر النبي محمد –صلى الله تعالى عليه وسلم– وزمزم: بئر ماء أخرجها الله لهاجر زوجة إبراهيم الخليل في وادي مكة.

٣ ضاع: انتشر من ضاع يضوع – والشذا: الرائحة العطرة.

٤ صدغ متمم: أو منمنم، مجعد الشعر.

٥ الأراك: شجر واحدته أراكة وهي نبتة شجيرة كثيرة الفروع، خوارة العود، متقابلة الأوراق.

٦ مطنب: ذو طنب وهي الحبال التي تشد بها أعمدة الخيام.

٧ أورى: من التورية وهي ذكر مسمى وقصد غيره.." (١)

"وأما براعة بديعتي فإنها، ببركة ممدوحها صلى الله عليه وسلم، نور هذه المطالع وقبلة هذا الكلام الجامع؛ فإني جمعت فيها بين **براعة الاستهلال** وحسن الابتداء، بالشرط المقرر لكل منهما، وأبرزت تسمية نوعها البديعي في أحسن قوالب التورية، وشنفت١ بأقراط غزلها الأسماع، مع حشمة الألفاظ وعذوبتها وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة وبديعية صفي الدين غزلها لا ينكر، غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعي مورى به من جنس الغزل، ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة. وأما الشيخ عز الدين الموصلي، فإنه لما التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا، وقد أشرت إلى ذلك في الخطبة بقولي: وهي البديعية التي هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال، وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال، وسميتها تقديم أبي بكر عالما أنه لا يسمع من الحلي والموصلي في هذا التقديم مقال.

ومن أحسن إشارات براعتي التي تشعر أنها صدر مديح نبوي تشبيبي، بعرب ذي سلم، وخطابي لهم بأن لي في مدائحهم براعة تستهل الدمع، وكأنني وعدتهم بشيء لابد من القيام به، وهذا حسبما أراده ابن أبي الأصبع بقوله: **براعة الاستهلال** هي ابتداء الناظم بمعنى ما يريد تكميله.

براعة الاستهلال في النثر:

انتهى ما أوردته هنا من البراعات البارعة نظما، وأما براعات النثر فإنها مثلها، إن لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ وإلا فليست ببراعة استهلال.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٣٨/١

وقد رأيت غالب البديعيين قد اكتفوا عند استشهادهم على **براعة الاستهلال** في النثر، بقول الصاحب عمرو بن مسعدة، كاتب المأمون، فإنه امتحن أن يكتب للخليفة يخبره أن بقرة ولدت عجلا وجهه كوجه الإنسان، فكتب: الحمد الله الذي خلق الأنام في بطون الأنعام. ورأيت الشيخ صفي الدين الحلي، في شرح بديعيته، قد ألقى عند الاستشهاد بها عصا التسيار، واحتجبت ءنه في هذا الأفق الشموس والأقمار، أين هو من علو مقام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وقد كتب عن السلطان الملك الظاهر، إلى الأمير سنقر الفارقاني، جوابا عن مطالعته بفتح سوس من بلاد السودان، واستهل بقوله: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ ٢ الله

---

١ شنفت: أمتعت.

٢ الإسراء: ١٢/ ١٧.." (١)

"من الذوق: ويبرزه من قراب الشك إلى القطع باليقين، وما ذاك إلا أنه لما انفرد كمال الدين عبد الرزاق الأصفهاني برسالة القوس، واستوفى جميع المحاسن، وجاء الشيخ جمال الدين بن نباتة برسالة السيف والقلم، وأظهر فيها معجزات الأدب، أردت أن أعززهما من اختراع رسالة السكين بثالث، واستهليتها بقولي: يقبل الأرض التي قامت حدود مكارمها، وقطعت عنا مكروه الفاقة بمسنون عزائمها. منها: وينهى وصول السكين التي قطع المملوك بها أوصال الجفا، وأضافها إلى الأدوية، فحصل بها البرء والشفا، وتالله ما غابت إلا وبلغ الأقلام من تقشيرها إلى الحفى١. منها: ما شاهدها موسى إلا سجد في محراب النصاب، وذل بعدما خضعت له الرءوس والرقاب، كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط، وعلى الحقيقة ما رؤي مثلها قط، وكم وجد الصاحب بها في المضايق نفعا، وحكم بحسن صحبتهما قطعا، من أجل أنها تدخل في مضايق ليس للسيف قط فيها مدخل، وكلما تفعله توجزه والرمح في تعقيده مطول، تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس، وبإقامتها الحد حافظت الأقلام على مواظبة الخمس، وكم لها من عجائب تركت السيف في بحر غمده كالغريق، ولو سمع بها من قبل ضربه ما حمل التطريق.

انتهى ما أوردته من **براعة الاستهلال** نثرا ونظما ومن لم ير بهجة ما أبرزته للمتأخرين فهو في هذه أعمى.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٤٠/١

١ الحفى: التعرية.." (١)

"ولا عتب على الدهر فيما اقترف إن كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف. واعتذر بما وهب عما سلب، فعفا الله عما سلف. ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية، قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن أباه وجلس للتعزية:

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا١

لا رزء أصبح في الإسلام نعلمه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا٢

وقال زكي الدين بن أبي الأصبع: أحسن شعر افتن فيه صاحبه، بالجمع بين التعزية والتهنئة، قول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع، يعزيه بالرشيد ويهنيه بالأمين، حيث قال:

تعز أبا العباس عن خير هالك ... بأكرم حي كان أو هو كائن

حوادث أيام تدور صروفها ... لهن مساو مرة ومحاسن

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلا أنت مغبون ولا الموت غابن٣

ولعمري، إن جمال الدين بن نباتة رحمه الله قال، في تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الأفضل بالسلطة بعد أبيه، ما هو أحسن من قول أبي نواس الذي استحسنه ابن أبي الأصبع، وقول من تقدمه. وإن تأخر ابن تباتة فقد تقدم بنباتة، فإنه استطرب في قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية إلى آخرها وأتى بمعان منها سلامة الاختراع، والذي يؤدي إليه اجتهاد ذوقي، إن هذه القصيدة من العجائب في هذا النوع، وأوردت مطلعها في **براعة الاستهلال**، لكن تعين إيراده هنا لندخل منه إلى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع، ليتأيد ما أشرت إليه من غرابة أسلوبها، وهو قوله رحمه الله تعالى:

هناء محا ذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع ... شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

نرد مجاري الدمع والبشر واضح ... كوابل غيث في ضحى الشم قد همى٤

سقى الغيث عنا تربة الملك الذي ... عهدنا سجاياه أعز وأكرما

---

١ حباء: تفضيل في العطاء.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١/٥٣

٢ رزء: مصيبة.

٣ المغبون: الذي لا يعطى حقه.

٤ همى: هطل.." [(١)]

"وبيت الاستعارة قبل بيت التخلص، لم يحصل به فائدة، ولا يصير على مخلصه طلاوة الأدب، ويصير بينه وبين الأذواق السليمة مباينة، وقد تعين أن أورد بيت القسم وبيت الاستعارة هنا ليصيرا لمخلصه الضعيف تكأتين وهما:

لا لقبتني المعالي بابن بجدتها ... يوم الفخار ولا بر التقى قسمي١

إن لم أحث مطايا العزم مثقلة ... من القوافي تؤم المجد عن أمم٢

من كل معربة الألفاظ معجمة ... يزينها مدح خير العرب والعجم٣

وابن الشيخ صفي الدين الحلي من قول كمال الدين بن نبيه وقد تقدم:

يا طالب الرزق إن سدت مذاهبه ... قل يا أبا الفتح يا موسى وقد فتحت

هذا المخلص لحسن تجريده يستغني به عن قصيدة. وقد تقرر أن نظام البديعيات التزموا أن يكون كل بيت منها شاهدا على نوعه بمجرده، ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده. ومخلص العميان مثل مخلص الشيخ صفي الدين الحلي أيضا، فإنه غير صالح للتجريد، وما تتم به الفائدة إن لم يأت ناظمه بما قبله، وعلى مذهب أصحاب البديعيات ما يصلح أن يكون شاهدا، وهو:

يمم بنا البحر إن الركب في ظمإ ... فقلت سيروا فهذا البحر عن أمم

وقد تقدم قولي: إن العميان أتوا في **براعة الاستهلال** بصريح المدح، وهو قولهم فيها:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم ... وانشر له المدح وانثر طيب الكلم

فإذا حصل التصريح بالمدح في المطلع الذي هو **براعة الاستهلال**، لم يبق لحسن التخلص موقع، فإن حسن التخلص من شرطه أن يخلص الشاعر من الغزل، إلى المديح، لا من المديح إلى المديح، وأيضا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن له في المخلص ذكر، ولكنه استغنى بذكر البحر فإنه جعله كناية عن كرم النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومخلص الشيخ عز الدين في بديعيته:

حسن التخلص من ذنبي العظيم غدا ... بمدح أكرم خلق الله كلهم

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١٣٩/١

١ ابن بجدتها: سيدها والعارف بها.

٢ مثقلة: محملة حملا ثقيلا، تؤم: تقصد، أمم: قرب.

3 مِعجمة: منقطة من الإعجام وهو وضع النقاط على الحروف.." (١)

"فهرس الموضوعات:

٥ تمهيد وتقديم

٦ تطور علم البديع حتى عصر ابن حجة

٩ التعريف بخزانة الأدب وعملنا فيه

١٠ ملاحظات حول الكتاب

١٥ التعريف بالكاتب - حياته وعمله

١٦ مؤلفاته

١٧ مقدمة الكاتب

١٩ في حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال**

١٩ حسن الابتداء عند المتقدمين

٢٣ حسن الابتداء عند المحدثين

٣٠ **براعة الاستهلال** في النظم

٤٠ **براعة الاستهلال** في النثر

٥٤ الجناس

٦٧ ذكر الجناس الملفق

٧٠ الجناس المذيل واللاحق

٧٤ الجناس التام والمطرف

٨٥ الجناس المصحف والمحرف

٨٩ الجناس اللفظي والمقلوب

٩٥ ذكر الجناس المعنوي

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١/٣٤٩

١٠٢ ذكر الاستطراد

١٠٩ ذكر الاستعارة

١١٩ ذكر الاستخدام

١٢٦ ذكر الهزل الذي يراد به الجد

١٢٩ ذكر المقابلة

١٣٤ ذكر الالتفات

١٣٨ ذكر الافتتان

١٤٩ ذكر الطي والنشر

١٥٦ ذكر الطباق

١٧٢ ذكر النزاهة

١٧٥ ذكر التخيير

١٧٨ ذكر الإبهام

١٨٦ ذكر إرسال المثل." (١)

"قال المؤلف، رحمه الله تعالى: هذا المصنف المبارك، أعني البديعية وشرحها، وإذا ملكه متأدب شرفت نفسه عن النظر في غيره من تذاكر الآداب، فإني ما تركت نوعا من أنواع البديع إلا أطلقت عنان القلم في ميادين الطروس، مستطردا إلى استيعاب ما وقع من جيده ورديئه، ونصبت فيه البحث بين المقصرين والمجيدين. بيد أني أقول وبالله المستعان: إن العميان اختصروا جانبا كبيرا من البديع، وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه. والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب، لخلاصه من التورية في تسمية النوع، ولكنه قصر في مواضع نبهت عليها في مظانها. والشيخ عز الدين -رحمه الله- قصر في غالب بديعيته، لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية. والبحث مقرر مع كل منهم في إجادته وتقصيره، عند إيراد بيته على ذلك النوع الوارد.

وقد تقدم الإطناب في تقرير حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال**، وفي الفرق بينهما، وأوردت في حسن التخلص ما وقع من غريبه وبديعه، وما تقرر من البحث مع المقصر في نظمه، وما يتفرق به شمل مجاميع الأدب وينسى تذاكره، وقد انتهت الغاية بحمد الله إلى حسن الختام. وأوردت فيه ما لا خفيت محاسنه

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١/٤٧٩

على المتأمل، ولا ضمه صدر كتاب، وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة، وببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. وقد فرغت من تأليف الكتاب في شهر ذي الحجة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم.." (١)

"وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان:

مخلوقة لله تعالى، ومقدرة لهم، كالنسب والصهر، ولهذا افتتحت بقوله: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) .

ثم قال: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام.

فانظر هذه المناسبة العجيبة بالافتتاح **وبراعة الاستهلال**، حيث تضمنت الآية المفتتح بها نظير السورة في أحكامه من نكاح النساء ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، وإن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم بخلق زوجه منه، ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء في غاية الكثرة.

وأما المائدة فقد تضمنت بيان تمام الشرائع، وتكملات الدين، والوفاء بعهود

الرسول، وما أخذ على الأمة، وبهما تم الدين، فهي سورة التكميل، لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السراق و المحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد – صلى الله عليه وسلم –، كالوضوء، والتيمم، والحكم بالقرآن على كل ذي دين، ولهذا أكثر فيها من لفظ الإتمام والإكمال، وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملا، ولهذا ورد فيها أنها آخر ما نزل، لما فيها من إشارات الختم والتمام.

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب.

وقال أبو جعفر بن الزبير: حكى الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على جمع

القرآن، ووضعوا سورة " القدر " عقب " العلق "، استدلوا بذلك على أن المراد بذلك الكناية في قوله: (إنا

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/٥٠٥

أنزلناه في ليلة القدر) الإشارة إلى قوله اقرأ.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا بديع جدا.." (١)

"الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به، وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب، مع تفاوت المقادير في الطول، والقصر، وتشاكل الكلام في النظام.

****

الوجه الخامس من وجوه إعجازه افتتاح السور وخواتمها

وهو من أحسن البلاغة عند البيانيين.

وهو أن يتأتق فى أول الكلام، لأنه

أول ما يقرع السمع، فإن كان محررا قبل السامع قبل الكلام ووعاه، وإلا

أعرض عنه، وإن كان في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقه، وأجزله وأسلسه، وأحسنه نظما وسبكا، وأصحه معنى وأوضحه، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس، أو الذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأكملها، كالتحميدات، وحروف النداء، والهجاء، وغير ذلك.

ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى **براعة الاستهلال**، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتلكم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله، والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن! فإنها مشتملة على جميع مقاصده، لأنه افتتح فيها فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن.

وهذا هو الغاية فى **براعة الاستهلال**، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة، والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة.

وخواتم السور مثل الفواتح فى الحسن، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد، لأنها بين أدعية ووصايا، وفرائض، وتحميد

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ١/٥٤

وتهليل ومواعظ، ووعد ووعيد، إلى غير ذلك، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي السببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة." [١]

"ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة بـ مالك يوم الدين.

وعلم العبادات، وإليه الإشارة بـ إياك نعبد.

وعلم السلوك، وهو حمل النفس على الآداب الشرعية، والانقياد لرب البرية، وإليه الإشارة بإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم.

وعلم القصص، وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في **براعة الاستهلال**

– مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة.

وكذلك أول سورة اقرأ لكونها أول ما نزل من القرآن، فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله، وفيها الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب، وإثبات ذاته وصفاته، من صفات ذات وصفة فعل، وفي هذا الإشارة إلى أصول الدين.

وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: (علم الإنسان ما لم يعلم) .

ولهذا قيل: إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله.

والكلام في هذا الوجه عريض، أفرده بالتأليف ابن أبي الإصبع في كتاب سماه " الخواطر السوانح في أسرار الفواتح "، وهأنا ألخص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره، طالبا ممن نظر فيه دعوة خالصة في وقت استجابة أن ينفعنا بهذا القرآن العظيم بجاه نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:

اعلم أن الله تعالى افتتح القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها:

الأول: الثناء عليه تعالى، والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح، ونفي وتنزيه عن صفات النقص.

فالأول التحميد في خمس سور، و (تبارك) في سورتين.

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ٥٨/١

والثاني: التسبيح في سبع سور.

قال الكرماني في متشابه القرآن: التسبيح كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر." [١]

"التاسع: الدعاء في ثلاث: ويل للمطففين ويل لكل همزة تبت.

العاشر: التعليل في لإيلاف قريش هكذا جمع أبو شامة قال: وما ذكرناه في الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر وكذا الثناء كله خبر إلا "سبح" فإنه في قسم الأمر وسبحان يحتمل الأمر الدعاء والخبر ثم نظم ذلك في بيتين فقال:

أثنى على نفسه سبحانه بثبو

ت الحمد والسلب لما استفتح السورا

والأمر شرط الندا والتعليل والقسم الد

عا حروف التهجي استفهم الخبرا

وقال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظما وسبكا وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب

قالوا: وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك.

ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى **براعة الاستهلال** وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا." [٢]

"أبو القاسم بن حبيب أنبأنا محمد بن صالح بن هانئ أنبأنا الحسين بن الفضل حدثنا عفان بن مسلم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان القرآن ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة.

---

(١) معترك ال أقران في إعجاز القرآن السيوطي ٦١/١

(٢) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٣٦٣/٣

وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة ب ﴿رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ ومعرفة النبوات وإليه الإشارة ب ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ ومعرفة المعاد وإليه الإشارة ب ﴿مالك يوم الدين﴾ وعلم العبادات وإليه الإشارة ب ﴿إياك نعبد﴾ وعلم السلوك وهو عمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الإشارة ب ﴿إياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم﴾ وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في **براعة الاستهلال** مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة

وكذلك أول سورة " اقرأ"، فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من **براعة الاستهلال** لكونها أول ما أنزل من القرآن فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله وفيه الإشارة إلى علم الأحكام وفيها ما يتعلق." (١)

"فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى وأوجب الحج في آل عمران وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء فخوطب به جميع الناس والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا بيا أهل الكتاب يا بني إسرائيل يأيها الذين آمنوا وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس وهي نوعان: مخلوقة لله ومقدورة لهم كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله: ﴿اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ ثم قال: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح **وبراعة الاستهلال** حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر السورة في أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالأرحام وأن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالا ونساء في غاية الكثرة وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الأمة وبها تمام الدين فهي سورة التكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام وتحريم الخمر

---

(١) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٣/٣٦٤

الذي هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل." (١)

"الغرض ويرجع وهو يقول: لاروع، فتقت١ عن أنواع علومه ولقبتها، وأودعت ما أوعيت منها في دواوين وأعيتها، ونقبت٢ عن معادن معانيه وأبرزتها، وأوقدت عليها نار القريحة وميزتها، وألفت في ذلك جامعا ومفردا، ومطنبا ومقصدا٣، ومن خلق لشيء فإلى تيسره، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره.

وإن مما ألفت في تعلقات القرآن كتاب "أسرار التنزيل"٤ الباحث عن أساليبه، المبرز أعاجيبه، المبين لفصاحة ألفاظه وبلاغة تراكيبه، الكاشف عن وجه إعجازه، الداخل إلى حقيقته من مجازه، المطلع على أفانينه، المبدع في تقرير حججه وبراهينه، فإنه اشتمل على بضعة عشر نوعا:

الأول: بيان مناسبات ترتيب سوره، وحكمة وضع كل سورة منها.

الثاني: بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها.

الثالث: وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التي قبلها.

الرابع: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذى سيقت له، وذلك **براعة الاستهلال**.

الخامس: مناسبة أوائل السور لأواخرها.

السادس: مناسبات ترتيب آياته، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها.

السابع: بيان أساليبه في البلاغة، وتنويع خطاباته وسياقاته.

الثامن: بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها،

---

١ فتقت عن كذا: شققت عنه وكشفت عن سره. م. وفي "ظ": "فنقبت".

٢ في "ظ": "وبقرت" وكلاهما سائغ. والبقار: الحفار.

٣ مطنبا من الإطناب؛ وهو التطويل، ومقصدا من القصد؛ وهو الاختصار.

٤ أو قطف الأزهار في كشف الأسرار، وذكره المؤلف في حسن المحاضرة "١/ ٣٣٩"، وتوجد منه نسخة خطية في برلين "٦/ ٧٢٣" دليل مخطوطات السيوطي "٣٠".." (٢)

---

(١) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٣٨٢/٣

(٢) أسرار ترتيب القرآن السيوطي ص/٣٨

"سورة الفاتحة:

افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة؛ لأنها جمعت مقاصد القرآن؛ ولذلك كان من أسمائها: أم القرآن، وأم الكتاب، والأساس١، فصارت كالعنوان **وبراعة الاستهلال**.

قال الحسن البصري٢: إن الله أودع علوم الكتاب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة "أخرجه البيهقي في شعب الإيمان"٣.

وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري٤ باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله، وعلى التعبد، والأمر والنهي، وعلى الوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخلو٥ عن هذه الأمور٦.

[و] قال الإمام فخر الدين٧: المقصود من القرآن كله تقرير أمور

---

١ انظر: البرهان "١/ ١٧، ١٨"، ومعاني القرآن للنحاس "١/ ٤٧" وما بعدها، ونظم الدرر في تناسق الآيات والسور، للبقاعي "١/ ٢١"، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي "٢/ ٦٧"، والكشاف "١/ ٤" بولاق، ومن أسمائها: السبع المثاني، والقرآن العظيم، والوافية، والكنز. الإتقان "١/ ١٨٩-١٩١".

٢ هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أحد سادات التابعين وكبرائهم، توفي سنة ١١٠هـ، وفيات الأعيان، لابن خلكان "١/ ١٢٨"، وآداب الشيخ الحسن، لابن الجوزي ص٢١ وما بعدها.

٣ الشعب: ٢ ورقة "٨٧" أ. دار الكتب المصرية.

٤ هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، وتفسيره الكشاف، من أشهر الكتب صاحب قدم في الأدب واللغة والنحو والتفسير، إمام المعتزلة، توفي سنة ٥٣٨هـ. إنباه الرواة "٣/ ٢٦٥".

٥ في المطبوعة: "تخرج"، والمثبت من "ظ".

٦ انظر: الكشاف "١/ ٤" وفيه: "التعبد بالأمر والنهي".

٧ هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي صاحب التفسير المسمى: مفاتيح الغيب، توفي سنة ٦٠٦هـ، وفيات الأعيان "١/ ٤٧٤". "ويلاحظ أنه سوف يأتي ذكره كثيرا، وأفاد منه السيوطي في مواضع شتى".. (١)

---

(١) أسرار ترتيب القرآن السيوطي ص/٤٩

"الكتاب، يا بني إسرائيل، يأيها الذين آمنوا.

وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدورة لهم، كالنسب والصهر؛ ولهذا افتتحت بقوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ ١ [ثم] ٢ قال: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ ٣.

فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة، والافتتاح، **وبراعة الاستهلال**؛ حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما في أكثر السورة من أحكام؛ من نكاح النساء ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، وأن ابتداء هذا الأمر بخلق آدم، ثم خلق زوجته منه، ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء في غاية الكثرة.

[و] ٤ أما المائدة فسورة العقود، [و] ٤ تضمنت بيان تمام الشرائع، ومكملات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة، وبها تم٥ الدين، فهي سورة التكميل؛ لأن فيها تحريم الصيد على المحرم، الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين، الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات، الذي هو من تمام عبادة الله؛ ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- كالوضوء] ٦ والتيمم، والحكم بالقرآن على كل ذي دين.

---

١ سورة النساء، الآية: ١.

٢ ما بين المعقوفين إضافة من البرهان للزركشي، وكذا في "ظ".

٣ سورة النساء: ١، وانظر: البرهان في علوم القرآن "١/ ٢٦٠، ٢٦١" والنص له.

٤ ما بين المعقوفين إضافة من "ظ".

٥ في المطبوعة: "ونهاية" تحريف، والمثبت من "ظ"، ويؤيده ما في المصادر. انظر: البرهان في علوم القرآن "١/ ٢٦٢".

٦ ما بين المعقوفين إضافة من "ظ". انظر: البرهان "١/ ٢٦٢".." (١)

"مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر بدائع مصنوعاته على أحسن نظام، وخص من بينها من شاء بمزيد الطول والإنعام،

---

(١) أسرار ترتيب القرآن السيوطي ص/٥٤

ووفقه وهداه إلى دين الإسلام، وأرشده إلى طريق معرفة الاستنباط لقواعد الأحكام، لمباشرة الحلال وتجنب الحرام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المفضل على جميع الأنام، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الغر الكرام.

وبعد، فهذا شرح لمختصري المسمى بـ (لب الأصول) الذي اختصرت فيه جمع الجوامع يبين حقائقه، ويوضح دقائقه، ويذلل من اللفظ صعابه، ويكشف عن وجه المعاني نقابه، سالكا فيه غالبا عبارة شيخنا العلامة، المحقق الفهامة الجلال المحلي لسلاستها وحسن تأليفها، وروما لحصول بركة مؤلفها، وسميته «غاية الوصول إلى شرح لب الأصول» . والله أسأل أن ينفع به وهو حسبي ونعم الوكيل.

(بسم الله الرحمن الرحيم) أي أؤلف أو أبتدىء تأليفي، والباء للمصاحبة ليكون ابتداء التأليف مصاحبا لاسم الله تعالى المتبرك بذكره، وقيل للاستعانة نحو كتبت بالقلم، والاسم من السمو وهو العلو. وقيل من الوسم وهو العلامة، والله علم للذات الواجب الوجود المستحق لجميع الصفات الجميلة، والرحمن الرحيم صفتان بنيتا للمبالغة من رحم، والرحمن أبلغ من الرحيم، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع.

(الحمد لله الذي وفقنا) أي خلق فينا قدرة. (للوصول إلى معرفة الأصول) فيه **براعة الاستهلال**، والحمد لغة الثناء باللسان على الجميل." [١]

"وحسن السيرة في الحكم، ثم رغب عنها ورجع إلى القاهرة فأقام بها مشتغلا بكليته في العلم إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، كذا نقله شارح هذا الكتاب عن المصنف، وهو ممن قرأ عليه، " وقوله مولدا ومنتسبا " تمييز عن نسبة الصفة إلى ضمير الموصوف يعني منسوبا إلى الإسكندرية من حيث الولادة وإلى السيواس من حيث الانتساب والمولد، والمنتسب بفتح السين مصدر ميمي وانتسابه إلى السيواس إما باعتبار نسبة آبائه إليه، أو باعتبار أن الناس كانوا ينسبونه إليه (الحمد لله) إخبار صيغة إنشاء معنى كصيغ العقود، ولا محذور في عدم محموديته في الأزل بما أنشأه العباد من المحامد، وإنما المحذور عدم اتصافه بما يحمدونه به من الكمالات، وهو غير لازم، والله اسم للذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، والصحيح أنه عربي كما ذهب إليه الجمهور، لا عبراني أو سرياني كما ذهب إليه أبو زيد، وقيل أنه صفة، والجمهور على أنه علم مرتجل من غير اعتبار أصل أخذ منه: منهم أبو حنيفة ومحمد بن الحسن والشافعي رحمة الله تعالى عليهم والخليل والزجاج وابن كيسان والحليمي والغزالي والخطابي وإمام الحرمين، وروى

---

(١) غاية الوصول في شرح لب الأصول الأنصاري، زكريا ص/٢

هشام عن محمد عن أبي حنيفة أنه اسم الله الأعظم، وبه قال الطحاوي وكثير (الذي أنشأ) أي أوجد ابتداء (هذا العالم) اسم لكل ما سوى الله، إما مشتق من العلم فإطلاقه على غير الثقلين والملائكة تغليب، وإما من العلامة فإن فاعلا يستعمل في الآلة كثيرا كالطابع والخاتم، فإنه كالآلة في الدلالة على صانعه، وفي كلمة هذا إشارة إلى قرب ما يستدل به على وجود الصانع من ذوي الأبصار فلا تغفل عنه (البديع) أي المخترع، فقوله (بلا مثال سابق) تصريح بما علم ضمنا، أو الغاية في الكمال فهو تأسيس، وقيل الإنشاء والإبداع إيجاد الشيء بلا سبق مادة وزمان ولا واسطة آلة، فيقابل التكوين لمسبوقيته بالمادة، والأحداث لكونه مسبوقا بالزمان، ورد بقوله تعالى – ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ – و – ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ –، وفيه نظر لجواز التجريد عند القرينة (وأنار) أي أظهر وأوضح (لأبصار العقلاء) جمع بصر، وهو حاسة النظر وفي بعض النسخ لبصائر، وهو جمع بصيرة، وهي للنفس كالبصر للبدن (طرق دلالته) ولا يخفى ما فيه من **براعة الاستهلال**، لأن الأصول يبحث عن طرق دلالة الأدلة الشرعية (على وجوده وتمام قدرته) أشار به إلى أن من لم يتضح له الطرق ليس من العقلاء فإن قلت وجوه الاستدلال ليست مما يدرك بالأبصار، فما معنى إنارته لها؟ قلت الإنارة للعقول حقيقة لكنها لما كانت بواسطة استعمال البصر غالبا نسبها إليها (فهو إلى العلم) أي الله تعالى أو العالم (بذلك) الإنشاء والتنوير (سائق) جعل خلق العالم مع إيضاح طرق دلالته بمنزلة السوق تنبيها على أن الإنسان كالمضطر في الاهتداء إلى ذلك كالحيوان المسوق إلى جهة أريد." [١]

"بن حسن السبط وروي أن الشيخ كان يفتخر بهذه النسبة النبوية ويقول ما أحب أن لي بها كذا وكذا وكان هذا الشيخ من آيات الله في الدرس والإملاء فكان إذا تكلم فيه تكلم بما يحير العقول ويذهل الأفكار بحيث لا يرتاب سامعه في أن ما يتكلم به ليس من جنس ما ينال بالكسب وربما كان يتكلم فيه بكلام لا يفهمه أحد من أهل مجلسه مع كون كثير منهم أو أكثرهم على الغاية من التمكن في سائر العلوم الإسلامية والإحاطة بفنونها فيذكر له ذلك بعد القيام من المجلس فيقول ليس ذلك بأعجب من حال المتكلم به فإنني فيه مثله وكان إليه النهاية في اعلم حتى كان بعض أئمة العلوم والمعارف هناك ممن أفنى عمره في كسب العلوم الدينية والمعارف الربانية يقول والله لا ندري من أين هذا الكلام الذي نسمعه من هذا الأستاذ ولا نعلم له أصلا يؤخذ منه ولولا العلم بسد باب النبوة لاستدلينا بما نسمعه منه على نبوته

وأما مجالسه في الرتفسير يوما يقرره فيها من المعاني الدقيقة والأبحاث الغاضة مع استيعاب أقوال آئمة

---

(١) تيسير التحرير أمير باد شاه ١/٤

التفسير من السلف والخلف وبيان أولاها بالاعتماد عنده وذكر المناسبات بين السور والآيات وبين أسمآء الذات المقدسة والصفات ومواضعها وما قاله آئمكة الطريق في كل آية من علوم الإشارة فإن القرآن نزل بها أيضا فذاك مما يحير العقول ويدهش الخواطر مع كون ما يلقيه من ذلك كله من ألفاظ مخترعة بالغة في الفصاحة والبلاغة والجزالة والإيضاح إلى الغاية التي ليس وراءها غاية مع كون أكثرها أو جميعها مسجعا مقفى معربا موضوعا في محله الذي لا أولى منه به لم يحفظ له أحدا هفوة في لفظ من ألفاظه من جهة اعراب أو تصريف أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك من هفوات الألسنة في تقرير العلوم وما من درس من دروسه إلا وهو مفتتح بخطبة بديهية أو غير بديهية مشتملة على الإشارة إلى كا ما اشتمل عليه ذلك الدرس على طريق **براعة الاستهلال**

و ه كذا كانت مجالسه في الحديث والفقه وكل علم يتصدر لتقريره لا يظن سامعه المتمكن في ذلك العلم الحافظ لأصوله وفرعه أنه ترك في." (١)

"للغني بالله: يا مولانا إن سيدي يوسف وكلني على طلب إعذاره من مولانا نصره الله على ما يليق بك وبه، فقال له الغني بالله: حسبي الله، وسكت سكتة لطيفة تشعر بفصل الكلام بعضه من بعض، ثم قال: ونعم الوكيل! فعدها الأكياس من مدارك نبله، ومحاسن قوله وفعله؛ انتهى.

قلت: هذا من السلطان في حق لسان الدين غاية التبجيل، أعني قوله " ونعم الوكيل " فأين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد، حتى آل أمره إلى النحس بعد ذلك السعد وسقاه دهره بعد الحلاوة ما مر، ولم يكن قتله إلا بتسبب السلطان المذكور كما مر:

ثلاثة ليس لها أمان ... البحر والسلطان والزمان [٥ - رسالة ابن خاتمة إلى لسان الدين]

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى (١) : ولما قضى الله عز وجل بالإدالة، ورجعنا إلى أوطاننا من العدوة واشتهر عني ما اشتهر من انقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والدولة، والتكبر على أعلى رتب الخدمة، وتطارحت عرى السلطان في استنجاز وعد الرحلة، ورغبت في تبرئة الذمة، ونفرت عن الأندلس بالجملة، خاطبني يعني أبا جعفرابن خاتمة بعد صدر بلغ من حسن الإشارة **وبراعة الاستهلال** الغاية بقوله: وإلى هذا يا سيدي ومحل تعظيمي وإجلالي، أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم، وضاعف في العز درجات ارتقائكم، فإنه من الأمر الذي لم يغب عن رأي العقول، ولا اختلف فيه أرباب المعقول، أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، وتاج مفرقها، وواسطة سلكها، وطراز ملكها وقلادة نحرها، وفريدة دهرها، وعقد جيدها

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العيدروس ص/٣٧٠

المنصوص، وتمام

---

(١) انظر الإحاطة ١: ١٢٤ وأزهار الرياض ١: ٢٦٥.." [١]

"ونبلغ فيك الذي نبتغي ... وذاك على الله سهل المنال

لما فترت أنفس من أسى ... ولا برحت أدمع في انهمال

تلقتك حيث احتللت العود ... وكان لك الله في كل حال

وتوفي أبو مالك المخاطب بهذا ببلد الجريد سنة خمس وسبع مائة.

وأبدع ما وقع لابن الخطيب لاميته التي أولها: الحق يعلو والأباطل تسفل قال أبن حجة في شرح بديعته الذي سماه بتقديم أبي بكر ما نصه: " ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الأعداء **براعة الاستهلال** للعلامة أمام المغرب ذي الوزارتين لسان الدين أبن الخطيب وهي:

الحق يعلو والأباطل تسفل ... والله على أحكامه لا يسأل

فانه قال: نظمت للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالأندلس قصيدة كان صنع الله براعة استهلالها ووجهت بها إليه إلى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت أنشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذري وسميتها: " المنح الغريب في فتح القريب " منها قوله رحمه الله:

وإذا استحالت حالة وتبدلت ... فالله عز وجل لا يتبدل

واليسر بعد العسر موعود به ... والصبر القريب موكل

والمستعد لما يؤمل ظافر ... وكفاك شاهدا قيدوا وتوكلوا." [٢]

"ومنها بعد قوله: " والبيض قد كسرت " البيت قوله:

لله قومك عند مشتجر القنا ... إذ ثوب الداعي المهيب وأقبلوا

قوم إذا لفح الهجير وجوههم ... حجبوا برايات الجهاد وظللوا

ومن مقطوعات أبن الخطيب قوله لما أشرف على مراكش:

ماذا أحدث عن بحر سبحت به ... من البحار فلا إثم ولا حرج

دحاه مبتدع الأشياء مستويا ... ما إن به درك كلا ولا درج

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانى ٢٨/٦

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢٦٢/١

حتى ما للمنار الفرد لاح لنا ... صحت بشرى يا مطايا جاءك الفرج

قربت من عامر دارا ومنزلة ... والشاهد العدل هذا الطبيب والأرج

وقال رحمه الله:

كأنا بتامسنا نجوس خلالها ... وممدودها في سيرنا ليس يقصر

مراكب في البحر المحيط تخبطت ... ولا جهة تدري والبر يبصر

قال أبن الخطيب: ولما قضى الله عز وجل بالإدالة ورجعنا إلى أوطاننا من العدوة واشتهر عني ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والدالة والتكبر على أعلى رتب الخدمة وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة ورغبت في تبرءة الذمة ونفرت عن الأندلس بالجملة خاطبني يعني أبا جعفر بن خاتمة بعد صدر بلغ من حسن الإشارة **وبراعة الاستهلال** الغاية بقوله:." (١)

"عشنا والسلام حتى رأينا عيان ... أنفاس السلاطين في جلود الكلاب

كبار النفوس جدا ضعاف الأسوس ... هم في ناحيا المجد في ناحيا

يروا أنهم ... والناس يروهم تيوس وجوه البلد والعمد الراسيا

ثم ذكر أبن خلددون كلاما آخر لابن شجاع. ثم قال: وكان منهم على بن الؤذن بتلمستان. وكان لهذه العصور القريبة من فحولهم بزرهون من نواحي مكانسة رجل يعرف بالكفيف أبدع في مذاهب هذا الفن ومن أحسن ما علق له بمحفوظي قوله رحلة السلطان أبي الحسن بني مرين إلى أفريقية يصف هزيمتهم بالقيروان ويعزيهم عنها ويؤنسهم بما وقع لغيرهم بعد أن عيبهم على غزاتهم إلى أفريقية في ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول في مفتتحها وهو من أبدع مذاهب البلاغة في الإشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى **براعة الاستهلال:**

سبحان مالك خواطر الأمرا ... بنواصيها في كل حين وزمان

إن طعناه أعظم لنا نصره ... وإن عصيناه عاقب بكل هوان

إلى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص:

كن مرعى قل ولا تكن راعي ... فالراعي عن رعيته مسئول." (٢)

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢٦٥/١

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢٢٢/٢

"(أقول وقد تدرعت اصطبارا ... نؤرخه أحل بخير دار)

عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد أبو الوجاهة العمري المعروف بالمرشدي الحنفي مفتي الحرم المكي وعالم قطر الحجاز وأوحد أهله في الفضل والمعرفة والأدب وهو من بيت العلم والفضل والديانة ذكر السخاوي في الضوء اللامع والتقي التميمي في طبقات الحنفية جماعة من آل بيته وكان هو من كبار العلماء الأجلاء انعقدت عليه صدارة الحجاز نشأ بمكة وحفظ القرآن وصلى به التراويح إماما في المسجد الحرام وحفظ الألفية والأربعين للنووي وكنز الدقائق إلا القليل منه والجزرية وغيرها وشرع في الاشتغال من سنة تسع وثمانين وتسعمائة فلازم الشيخ عبد الرحيم بن حسان وأخذ عن الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة والمنلا عبد الله الكردي والسيد غضنفر والشيخ عبد السلام وزير السلار والشيخ محمد بن علي الركروك الجزائري وروى الحديث عن الشمس الرملي وعن الشيخ المعمر المنلا حميد السندي والشيخ أحمد الشربيني والشمس النحراوي وأخذ القرآت عن الملا علي القاري الهروي وولي تدريس مدرسة المرحوم محمد باشا في حدود سنة تسع وتسعين وتسعمائة فدرس بها صحيح البخاري وأملى عليه شرحا بلغ فيه إلى باب رفع العلم وظهور الجهل فعزل عنها ووليها مدرسها الأول ونظم منظومة في علم التصريف عدتها خمسمائة بيت من بحر الرجز سماها ترصيف التصريف وشرحها شرحا نفيسا سماه فتح اللطيف وشرح كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي سماه الوافي في شرح الكافي وألف رسالة بديعة سماها براعة الاستهلال فيما يتعلق بالشهر والهلال ونظم رسالة متعلقة بمنازل القمر موسومة بمناهل السمر وشرحها شرحا لطيفا وألف رسالة تتعلق بتفسير آية الكرسي معنونة بالفتح القدسي وكتب قطعة على الخزرجية في علم العروض وولي التدريس بالمسجد الحرام في سنة خمس وألف وشرع في كتابة شرح الكنز في سنة ثمان وسئل عن عبارة وقعت في تفسير آخر سورة المائدة من تفسير الجلالين فكتب عليها رسالة موسومة بتعميم الفائدة بتتميم سورة المائدة وتعاطى الفتوى على مذهب أبي حنيفة عام وفاة شيخه القاضي علي بن جار الله وهو سنة اثنتي عشرة وألف وباشر ذلك وشيخه في قيد الحياة استفتى في مسئلة في الوقف فأفتى فيها بما هو المختار للفتوى فيه وهو قول أبي يوسف من أن الوقف يتم بمجرد التلفظ به كغيره من العقود من." (١)

"مقدمة المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله بديع السموات والأرض. والصلاة على نبيه وآله الهادين إلى السنة والفرض.

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢/٣٦٩

يا من أنشأ بديع الوجود بحسن ابتدائه، فلباه كل **براعة الاستهلال** عند سماع ندائه. ويا من خلق الإنسان علمه البيان فنطق بتوحيده اللسان بأفصح تبيان.

إن أزهى ما تدبجت به ديباجة الأرقام والطروس، وأبهى ما تبرجت به خطب الكلام تبرج الغادة العروس: حمدك الذي نرجو بتوشيعه حسن التخلص من شبهات الإبهام وشكرك الذي نؤمل بتوشيحه تقييد النعم الجسام وحسن الختام.

والصلاة والسلام على نبيك الذي ارتضيت رسالته وبلاغه وأيدته منك بدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وعلى آله السراة الأئمة الذين قلدت بتشريع طاعتهم رقاب الأمة صلاة وسلاما يفوح نشرهما فيفوق المسك الأذفر ويلوح بشرهما فيفوت الصبح إذا أسفر.

وبعد: فإن العبد الفقير إلى ربه الغني عليا صدر الدين المدني ابن أحمد نظام الدين الحسيني أنالهما الله من فضله السني يقول: ما الدرر في أسلاكها تتحلى بها الترائب والنحور ولا الدراري في أفلاكها تتجلى بها غياهب الديجور بأزهى من فرائد الفضائل تتزين بها صدور الصدور وأبهى من زواهر العلوم تسفر في أفق سمائها أسفار البدور إلا وأن علم العربية واقع منها موقع البدر من الكواكب وظاهر من بينها ظهور الملك بين المواكب كيف لا وافتقار ما سواه إليه غير محتاج إلى إقامة البرهان عليه.

هذا وأني منذ استروحت روح التوفيق لخدمة العلم الشريف وتظللت من حر هواجر الجهل بمديد ظله الوريف لم أزل راتعا في رياض فنونه البهية الورود كارعا من حياض عيونه الشهية الورود أتفكه بثمارها تارة وألتهي بأزهارها طورا وأقبس من مطالعها نورا واجتني من خمائلها نورا لاسيما فن البديع الذي طابق اسمه مسماه فلله قدرة الرفيع ما أعلى رتبته وأسماه فطالما استمطرت من نظمه ونثره وأغزر ديمة وكانا لي على مر الزمان كندماني – جذيمة. فبينا أنا يوم أسرح طرف الطرف في شرح بديعية ابن حجة وأروح مروح الفكر في مهيع تلك المحجة إذ بعذبة اللسان تنوس بمطلع قصيدة بديعية وغلبة الجنان تجوس بأبدع فكرة لوذعية فاستبشرت بهذه الإشارة واستطرت فرحا لهذه البشارة علما بأنها إشارة ممن رصعت البديعيات بمديحه وهبت عليها نسمات القبول من مهاب ريحه صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وعظم وكرم فنظمت هذه البديعية التي فاقت بديعية ابن حجة فلو أدركها لما قامت له معها على تزكية نفسه حجة وقد التزمت فيها ما التزمه هو والعز الموصلي قبله من التورية باسم النوع في كل بيت فصار كل بيت منها لأهل الأدب قبلة. ثم عن لي أن اشرحها شرحا حافلا يكون بإبراز مخدرات معانيها كافلا وأورد فيها جملة من البديعيات ليتأمل الناظر في هذا المضمار مجرى السوابق ويميز بثاقب نظره بين اللاحق منها والسابق وليكن على ذكر

مما قاله أبو العباس المبرد في الكامل وهو القائل المحق: ليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثاته يهتضم المصيب بل يعطى كل ما يستحق وسميته:
أنوار الربيع في أنواع البديع والله أسأل أن يوفق لإتمامه ويشفع حسن ابتدائه بحسن ختامه مقدمة: البديع لغة فعيل من البدع بالكسر وهو الذي يكون أولا من كل شيء وهو يرد بمنى مفعل: اسم مفعول ومن الأول اسمه تعالى البديع أي الذي فطر الخلق مبتدعا لأعلى مثال سبق.
واختلف في نقل اسم العلم اسم هذا العلم إلى الاصطلاح من أي المعنيين هو.
فقيل من بديع بمعنى مفعل اسم فاعل لا بداعه في التراكيب غرابة وإعجاب وفي النفوس طربا وارتياحا وقيل من بديع بمعنى مفعل اسم مفعول وأصله في الحبال وذلك أن يبتدي فتل الحبل جديدا ليس من قوى حبل نكث ثم غزل ثم أعيد فتله فأطلق في الكلام على الألفاظ المستطرفة التي لم تجر العادة بمثلها ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل بديع وأن كثر وتكرر.." (١)

"وأما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والروي، الذي نظم عليه الشيخ صفي الدين، فلا أتحقق أيضا أن الشيخ صفي الدين، هو أول من نظم عليه، فإنه كان معاصرا للشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي الهواري، المعروف بشمس الدين بن جابر الأندلسي الأعمى، صاحب البديعة المعروفة ببديعية العميان، ولا أعلم من السابق منهما إلى نظم بديعته على هذا الأسلوب. وإن كان الشيخ صفي الدين قد حاز قصبات السبق في مضمار براعة هذا المطلوب. فإن ابن جابر، لم يستوف الأنواع التي نظمها الشيخ صفي الدين بل أخل بنحو سبعين نوعا من الأنواع. وكلاهما لم يلتزما التورية باسم النوع البديعي.
وأول من التزم ذلك: الشيخ عز الدين الموصلي. ثم تلاه الشيخ تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي، المعروف بابن حجة. والتزم ما التزمه الشيخ عز الدين، وزاد عليه في أكثر الأبيات بحسن النظم والانسجام. إلا أن لذلك فضل المتقدم على المتأخر، والمبتدع على المتبع، وقل من التزم بعدهما هذا الالتزام، وما ذلك إلا لصعوبة هذا المرام.
وقد علمت أن عدة أبيات بديعية الصفي: مائة وخمسة وأربعون بيتا. وأما بديعية ابن حجة فعدتها: مائة وواحد وأربعون بيتا وبديعيتي هذه عدتها: مائة وسبعة وأربعون بيتا، بزيادة نوعين من البديع لم يذكرهما الصفي.
وقد يسر الله سبحانه نظمها في مدة يسيرة، وهي اثنتا عشرة ليلة وذلك من ذي القعدة الحرام، أحد شهور

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١

سنة سبع وسبعين وألف. والحمد لله سبحانه على فضله الجليل، وإحسانه الجزيل. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، ما لمع مورد بمائه، وبلقع بآله. وهذا حين أنص عروس البديعية في أريكة شرحها، وأسكنها من مشيدات المباني في علية صرحها، ليجتني ناظر الناظر، من ثمرات روضها الناضر، فما هي إلا روضة تفجرت من خلالها الأنهار، وخميلة تفتقت في مروجها الأزهار. وقد احتوى هذا الشرح، من فرائد الفوائد، وصلات العوائد، على ما يروق السمع والبصر، ويفوق كل مطول ومختصر. فمن نظر إليه بعين العدل والإنصاف وتنكب طريق التعصب والاعتساف، علم أن معدن الجوهر ليس كمعدن الزجاج. (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج)

فإن يك أصناف القلائد جمة ... فما يتساوى درها وعقيقها

على أني لا أبريء نفسي، ولا أدعي العصمة لفهمي وحدسي فإن الجواد قد يكبو، والصارم قد ينبو، والإنسان محل النسيان.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء فخرا أن تعد معائبه

والله سبحانه أسأل أن يلبسه حلل الثناء الفاخرة، ويثيبني به جميل الذكر في الأولى وجزيل الأجر في الآخرة.

حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال**

حسن ابتدائي بذكري جيرة الحرم ... له براعة شوق يستهل دمي

قال أهل البيان، من البلاغة حسن الابتداء، ويسمى براعة المطلع. وهو أن يتألق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها، نظما وسبكا، وأصحتها مبني، وأوضحها معنى وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت فواتح السور من القرآن المجيد على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات، وحروف الهجاء، والنداء وغير ذلك. ويعتبر في مطلع القصيدة زيادة على ما ذكر أن لا يكون متعلقا بما بعده من الأبيات، وأن يناسب بين قسميه أتم المناسبة، بحيث لا يكون أحد الشطرين أجنبيا عن الآخر لفظا ومعنى. فإذا اجتمعت هذه الشروط في مطلع القصيدة، كان غاية في بابه. وقد نبه مشايخ هذا الفن، على أن ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيما يورده من كلامه في أربعة مواضع، أولها: المطلع، لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن، فإن كان حسنا جامعا للشروط التي ذكروها في حسن الابتداء، أقبل السامع على الكلام فوعي جميعه، وإن كانت حالة عن الضد من ذلك، مجه السمع، وزجه القلب ونبت عنه النفس، وإن كان الباقي

في غاية الحسن. والموضع الثاني: المخلص. والثالث: حسن الطلب. والرابع: الختام وسيأتي الكلام عليها في مواضعها، إذا أفضت النوبة إليها، إنشاء الله تعالى.

وكثيرا ما يستشهد أرباب هذا الفن في هذا الباب بقول امرئ القيس:

قفا نبك على ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل." (١)

"وقول الشيخ عفيف الدين التلمساني:

لا تلم صبوتي فمن حب يصبو ... إنما يرحم المحب المحب

وقوله:

لولا الحمى وظباء بالحمى عرب ... ما كان في البارق النجدي لي أرب

وقول الحاجري:

لا غرو أن لعبت بي الأشواق ... هي رامة ونسيمها الخفاق

وكان شيخنا محمد بن علي الشامي يطرب لهذا المطلع غاية الطرب، ويقول: هكذا فلتكن المطالع: وقوله أيضا:

لك أن تشوقني إلى أوطاني ... وعلي أن أبكي بدمع قان

وقول سيدي الوالد:

سلا هل سلا قلبي عن البان والرند ... وعن أثلاث جانب العلم

وقوله: نسيم نجد شذا صبحا فآصالا=بنشر ما أرج الجرعاء فالضالا وقوله: هبت نسائم آصال وأسحار=تروي أحاديث أخداني وسماري وقوله:

ذلك البان والحمى والمصلى ... فقف الركب ساعة تنملى

وقول القاضي أحمد بن عيسى المرشدي:

فيروزج أم وشام الغادة الرود ... يبدو على سمط در منه منضود

وملخص هذه القصيدة غاية في بابه أيضا، وسيأتي إنشاده هنالك إنشاء الله تعالى.

وقوله شيخنا العلامة محمد بن علي الشامي:

رفت شمائلة فقلت نسيم ... وزكت خلائقه فقلت شميم

وما ألطف قوله بعده:

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٣

قصر الكلام على الملام وإنما ... للحظ في وجناته تكليم
شرقت معاطفه بأمواه الصبي ... وجرى عليه بضاضة ونعيم
قدكاد تشربه العيون لطافة ... لكن سيف لحاظه مسموم
وقوله:
أرقت وصحبي بالفلاة هجود ... وقد مد للظلام وجيد
وأبعدت في المرمى فقال لي الهوى ... رويدك يا شامي أين تريد
أهذا ولما يبعد العهد بيننا ... إلا كل شيء لا ينال بعيد
وقوله القاضي الفاضل في زمانه، القاضي تاج الدين المالكي أمام المالكية بالمسجد الحرام المتوفى سنة (...) .
وقول الشيخ الفاضل الأديب الشيخ حسين بن شهاب الدين الطبيب:
أشمس الضحى لا بل محياك أجمل ... وغصن النقا لا بل قوامك أعدل
وقول الأديب الأريب حسين بن الجزري الشامي من أهل العصر:
هلما نحييها ربى وربوعا ... وحثا نسقيها دما ودموعا
وعوجا على وادي الطلول وعرجا ... معي واندباني والطلول جميعا
ومن مطالعي التي تنظم في هذا السلك قولي:
سريرة شوق في الهوى من أذاعها ... ومهجة صب بالنوى من أضاعها
وقولي:
رويدك حادي العيس أين تريد ... أما هذه حزوي وتلك زرود
وقولي:
هاتا أعيدا لي حديثي القديم ... أيام وسمي بالتصابي وسيم
وعللاني بنسيم الصبا ... إن كان يستشفي عليلا سقيم
وقولي وهو مطلع قصيدة علوية:
سفرت أميمة ليلة النفر ... كالبدر أو أبهى من البدر
وقلت بعده:
نزلت مني ترمي الجمار وقد ... رمت القلوب هناك بالجمر

وتنسكب تبغي الثواب وهل ... في قتل ضيف الله من أجر

إن حاولت أجرا فقد كسبت ... بالحج أضعافا من الوزر

نحرت لواحظها الحجيج كما ... نحر الحجيج بهيمة النحر

فهذه جملة مقنعة من محاسن المطالع للمتقدمين والمتأخرين وأهل العصر. وقد جمعت الشروط المتقدمة في براعة المطلع. وليتأمل الناظر في مناسبة الشطرين فيها، وملائمة ألفاظهما ومعانيها، وليحذ حذوها. فإن الغرض من ذلك، إرشاد المبتدي وتنبيه المنتهي إلى الطريق التي ينبغي له سلوكها، واقتفاء آثار فحول الشعراء فيها. واعلم، أن المتأخرين فرعوا على حسن الابتداء: **براعة الاستهلال.**

وهو أن يكون أول الكلام دالا على ما يناسب حال المتكلم، متضمنا لما سيق الكلام لأجله من غير تصريح بل بألطف إشارة يدركها الذوق السليم. وقد أشار إلى هذا المعنى ابن المقفع، على ما نقل عنه أبو عثمان الجاحظ، في كتاب البيان والتبيين، في كلام له في تفسير البلاغة حيث قال: ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك. كما أن خير أبيات الشعر: البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته.." (١)

"قال الجاحظ: كان يقول: فرق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه، فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك، ويشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت. قالوا: والعلم الأسنى في ذلك، سورة الفتح، التي هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده.

كما قال البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا أبو القاسم بن حبيب، ثنا محمد بن صالح صبيح، عن الحسن قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم المفصل الأربعة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة.

وقد وجه ذلك، بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن، وقامت بها الأديان أربعة: الأصول، ومداره على معرفة الله وصفاته. وإليه الإشارة برب العالمين الرحمن الرحيم، ومعرفة النبوات، وإليه الإشارة، بالذين أنعمت عليهم، ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة، بمالك يوم الدين، وعلم العبادات، وإليه الإشارة، بإياك نعبد، وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية، والانقياد لرب البرب، وإليه الإشارة، بإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم، وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ليعلم المطلع

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٥

على ذلك، سعادة الله وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في **براعة الاستهلال**، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة، والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة، وكذلك أول سورة اقرأ، فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من **براعة الاستهلال**، لكونها أول ما أنزل من القرآن، فإن فيها الأمر بالقراءة والبدء فيها باسم الله، وفيه الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته، من صفة ذات، وصفة فعل، وفي هذا الإشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: علم الإنسان ما لم يعلم، ولهذا قيل: إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله.

وقال الزنجاني في الفوائد الغيثية: وأحسن **براعة الاستهلال** موقعا، وأبلغها معنى، فواتح صور كلام الله، سيما حروف التهجي، فإنها توقظ السامعين للإصغاء إلى ما يرد بعدها، لأنهم إذا سمعوها من النبي الأمي علموا أنها والمتلو بعدها من جهة الوحي. وفيها تنبيه على أن المتلو عليهم من جنس ما ينظمون منه كلامهم، مع عجزهم عن أن يأتوا بمثله.

تذنيب في تفسير الجويني: ابتدأت الفاتحة بقوله: الحمد لله رب العالمين، فوصف بأنه مالك جميع المخلوقات. وفي الأنعام والكهف وسبأ وفاطر، لم يوصف بذلك، بل بفرد من أفراد صفاته وهو خلق السماوات والأرض، والظلمات والنور في الأنعام، وأنزل الكتاب في الكهف، وملك ما في السماوات والأرض في سبأ، وخلقهما في فاطر. لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها.

وفي تذكرة الشيخ تاج الدين السبكي: سئل الإمام ما الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد؟ فأجاب: بأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد، نحو: فسبح بحمد ربك، سبحان الله والحمد لله. وأجاب ابن الزملكاني: بأن سورة سبحان، لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي) صلى الله عليه وآله وسلم (، وتكذيبه تكذيب لله تعالى، أتى بسبحان، لتنزيه الله عما نسب إليه من الكذب. وسورة الكهف، لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف، وتأخر الوحي، نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة.

إذا علمت ذلك، فاعلم: أن **براعة الاستهلال** في مطلع القصيدة هو كونه دالا على ما بنيت عليه من مدح،

أو هجاء، أو تهنئة، أو عتب؛ أو غير ذلك. فإذا جمع المطلع بين حسن الابتداء، **وبراعة الاستهلال**، كان هو الغاية التي لا يدركها إلا مصلي هذه الحلبة، والحالب من أشطر البلاغة أو فر حلبه.

والبراعة: مصدر، قولهم برع الرجل براعة، أي فاق أصحابه في العلم وغيره.." (١)

"والاستهلال، يطلق على معان كل منها مشتمل على نوع افتتاح.

فاستهل: رأى الهلال. واستهل المولود. صاح في أول زمان الولادة.

واستهلت السماء: جادت بالهلل بفتحتين وهو أول المطر. وكل من هذه المعاني مناسب للنقل منه إلى المعنى الاصطلاحي، وإن خصه بعضهم بالنقل من المعنى الثاني، قال: وإنما سمي هذا النوع الاستهلال، لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به.

فمن براتة الاستهلال التي يفهم من إشاراتها إنها تهنية بالفتح والظفر على العدو قول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية، وكان المنجمون زعموا أنها لا تفتح في هذا الوقت:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لأسود الصفاح في ... متونهن جلاء الشك والريب

وقول أبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الخازن يهنئ الصاحب بن عباد بسبطه الشريف أبي الحسن عباد بن علي الحسني. وهو مما يشعر بقرينه الذوق أنه يريد التهنئة بمولود:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وكان الصاحب بن عباد لما أتته البشارة بسبطه المذكور أنشأ يقول:

الحمد لله حمدا دائما أبدا ... إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

فقال أبو محمد الخازن قصيدته التي ذكرنا مطلعها، وما أحسن قوله فيها:

وكادت الغادة الهيفاء من طرب ... تعطي مبشرها الأرهاف والغيدا

ومن معانيه الغريبة فيها قوله:

لم يتخذ ولدا إلا مبالغة ... في صدق توحيد من لم يتخذ ولدا

ومن البراعات التي تشعر بأنها تهنئة بالنصر على الأعداء، قول خالي القاضي زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بالظفر على أهل عمد:

العز تحت ظلال السمر والقضب ... يوم الوغى ومسامي البيض لم تخب

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٦

ومما يشعر بالتهنئة بالقدوم قول سيدي ومولاي الوالد مهنئا سلطان مكة المذكورة بقدومه الطائف الميمون وحلول به:

قد أقبل السعد بالأفراح يبتدر ... والدهر يرتاح مختالا ويفتخر

ومن أحسن البراعات وألطفها براعة مهيار بن مرزويه الكاتب فإنها مما يضرب بها المثل في **براعة الاستهلال**.

وكان من أمره، أنه اتفق أن بعض الوشاة وشى به في أمر محال اتصل بحضرة الملك ركن الدين أبي طاهر، فاقتضى أن استدعى إلى داره، واعتقل ليلة على كشف الصورة اعتقالا جميلا، ثم انكشفت له البراءة من أبطال الساعي، وأفرج عنه إفراجا مبينا. فقال يمدح الملك المذكور، ويعرض بالساعي، وأنشدها بحضرته يوم عيد الفطر سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

أما وهواها عذرة وتنصلا ... لقد نقل الواشي إليها فأمحلا

وما ألطف ما قال بعده:

سعى جهده لكن تجاوز حده ... وكثر فارتابت ولو شاء قللا

فقال ولم تقبل ولكن أسبه ... على أنه ما قال إلا لتقبلا

وطارحها أني سلوت فهل يرى ...

له الويل

مثلي عن هوى مثلها سلا

أأنقض طوعا حبها عن جوانحي ... وإن كان حبا للجوانح مثقلا

أبى الله والقلب الوفي بعهده ... وإلف إذا عد الهوى كان أولا

فأبرز التنصيل مما رمي به في معرض التغزل والنسيب. وهذه القصيدة كلها غرر، ودرر. ولولا خوف الإطالة لأثبتها برمتها؛ فإنها قليلة الوجود ولكن لا بد من ذكر شيء منها: فمنها في الغزل:

أيا صاحبي نجواي يوم (سويقة) ... أناة وإن لم تسعدا فتجملا

سلا ظبية الوادي وما الظبي مثلها ... وإن كان مصوقل الترائب أكحلا

أأنت أمرت البدر أن يصدع الدجى ... وعلمت غضن البان أن يتميلا

وحرمت يوم البين وقفة ساعة ... على عاشق ظن الوداع محللا

جمعت عليه حرقة الدمع والجوى ... وما اجتمع الداءان إلا ليقتلا

هبي لي عيني واحتملي كلفة الأسى ... على القلب أن القلب اصبر للبلا

أراك بوجه الشمس والبعد بيننا ... فاقنع تشبيها بها وتمثلا

وأذكر عذبا من رضابك مسكرا ... فما أشرب الصهباء إلا تعللا

هنيئا لحب المالكية أنه ... رخيص له ما عز مني وما غلا

تعلقتها غرا وليدا وناشئا ... وشبت وناشي حبها ما تكهلا

ووحدها في الحب قلبي فما له ... وإن وجد الإبدال، أن يتبدلا." (١)

"رعى الله قلبي ما أبر بمن جفا ... واصبره في النائبات وأحملا

وكرم عهدي للصديق فإنه ... قليل على الحالات أن يتحولا

رحم الله مهيارا ما ألطف عبارته وأدق إشارته، وطريقته الغرامية لا يسلكها أحد إلا تشبها، فإنها شيء قد تفرد به، ولم يشق فيها غباره سابق ولا لاحق. ووقعت هذه القصيدة من ممدوحه موقعا عظيما، حتى إنه لسروره بها، تقدم إلى السمار والمحدثين بحفظها.

ومما وقع لي أنا من البراعات التي يفهم منها أن المقصود الاستعطاف وطلب القرب والوصل، بعد البعد والصد قولي وهو مطلع قصيدة امتدحت بها الوالد مستعطفا له في سنة خمس وسبعين وألف، وهو:

لقد آن أن تثني أبي زمامها ... وتسعف مشتاقا برد سلامها

ولم أخرج عن **براعة الاستهلال**، وإبراز الغرض في معرض الغزل والتشبيب، على طريقة مهيار إلى أن تخلصت إلى المدح. وبعد المطلع:

سلام عليها كيف شطت ركابها ... وأنى دنت في سيرها ومقامها

حملت تمادي صدها حين كان لي ... قوي جلد لم أخش بث التئامها

وكنت أرى أن الصدود مودة ... ستدلي بقربي الود بعد انصرامها فأما فأما وقد أورى الهوى بجوانحي جوى غلة لم يأن بل أوامها

فلست لعمري بالجيد على النوى ... وهل بعدها للنفس غير حسامها

إذا قلت هذا آن تنعم بالرضا ... يقول العدى هذا أوان انتقامها

أطارحها الواشون أني سلوتها ... وها أنا قد حكمتها قد احتكامها

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٧

أبى القلب إلا أوبة لعهودها ... وحفظا لها في إلها وذمامها

منها:

أحب لريا نشرها كل نفخة ... تمر بنجد أو خزام خزامها

سقى أرض نجد كل وطفاء ديمة ... وما أرضها لولا محط خيامها

أجل وسقى تلك الربوع لأجلها ... واغدق مرعى رندها وبشامها

هوى أنشأته المالكية لم يزل ... وثيقا على حل العرى وانفصامها

فهل علمت أن الهوى ذلك الهوى ... وأن فؤادي فيه طوع زمامها

ولم يبق مني الوجد غير حشاشة ... تراد على توزيعها واقتسامها

كفاك فحسبي من زماني خطوبه ... فإن فؤادي عرضة لسهامها

ومن البراعات التي تشعر أن الغرض الرثاء، قول أبي الطيب المتنبي يرثي محمد بن إسحاق التنوخي:

أبي لا علم واللبيب خبير ... أن الحياة وإن حرصت غرور

وقول متنبي الغرب محمد بن هاني الأندلسي يرثي والدة جعفر بن علي ممدوحه:

صه كل آت قريب المدى ... وكل حياة إلى منتهى

وقوله أيضا يرثيها وقد دام الحزن عليها:

صدق الفناء وكذب العمر ... وجلا الغطاء وبالغ النذر

وقول أبي الحسن علي بن محمد التهامي يرثي ولده أبا الفضل:

حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا قرار

وقال أبي الفرج الساوي في فخر الدولة:

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي

ولا يغرركم مني ابتسام ... فقولي مضحك والفعل مبكي

ومما يدل على أن المقصود التهنئة والتعزية، قول الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة في تهنئة السلطان الملك الأفضل بسلطنة حماة، وتعزيته بوفادة والده الملك المؤيد، وهو:

هناء محا ذاك العزا المتقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع ... شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

ترذ مجاري الدمع والبشر واضح ... كوابل غيث في ضحى الشمس قد همى

وبالغ ابن حجة على جاري عادته فيما يعجب به في إطراء هذه الأبيات حتى قال: سبحان المانح، والله من لا يتعلم الأدب من هنا فهو من المحجوبين عن إدراكه.

وأنا أقول: لو كان أبو نواس لما وقع الشيخ جمال الدين قول هذا الحمى، فضلا عن أن يدخله، فإن أبا نواس هو السابق إلى هذا المعنى بعينه، حيث قال معزيا لفضل بن الربيع بالرشيد ومهنيا له بخلافة الأمين:

تعز أبا العباس عن خير هالك ... بإكرام حي كان أو هو كائن

حوادث أيام تدور صروفها ... لهن مساو مرة ومحاسن

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

ومن براعاتي في الرثاء قولي في مرثية الحسين بن علي عليهما السلام:

كل نجم سيعتريه أفول ... وقصارى سفر البقاء القفول." (١)

"لا حق إثر سابق والليالي ... بالمقادير راحلات نزول

ومن ذلك قول أبي تمام يرثي محمد بن حميد الطوسي:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... وليس لعين بم يفض ماؤها عذر

وهذه القصيدة هي التي قال أبو دلف العجلي فيها لأبي تمام: وددت والله أنها لك في، فقال: بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي، وأكون المقدم قبله. فقال: إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر.

ومن البراعات التي يفهم منها الرثاء، وأن المرثي هاشمي أيضا زيادة على ذلك، قول مهيار الديلمي يرثي أستاذه الشريف الرضي:

من جب غارب هاشم وسنامها ... ولوى لويا واستنزل مقامها

وغزا قريشا بالبطاح فلفها ... بيد وقوض عزها وخيامها

وأناخ في مضر بكلكل خسفه ... يستام فاحتملت له ما سامها

من حل مكة فاستباح حريمها ... والبيت يشهد واستحل حرامها

ومضى بيثرب مزعجا ما شاء من ... تلك القبور الطاهرات عظامها

يبكي النبي ويستهيج لفاطم ... بالطف في أبنائها أيامها

الدين ممنوع الحمى من راعه ... والدار عالية البنا من رامها

أتناكرت أيدي الرجال سيوفها ... فاستسلمت أم أنكرت إسلامها

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٨

أم غلل ذا الحسبين حامي ذودها ... قدر أراح على العدو سهامها

وما أحسن قوله منها:

بكر النعي من الرضي بمالك ... غاياتها متعود أقدامها

كلح الصباح بموته عن ليلة ... نفضت على وجه الصباح ظلامها

صدع الحمام صفاة آل محمد ... صدع الرداء به وحل نظامها

بالفارس العلوي شق غبارها ... والناطق العربي شق كلامها

سلب العشيرة يومه مصباحها ... مصلاحها عما لها علامها

برهان حجتها التي بهرت به ... أعداءها وتقدمت أعمامها

وشقت هذه المرثية على جماعة ممن كان يحسد الرضي رضي الله عنه على الفضل في حياته، أن يرثي بمثلها بعد وفاته، فرثاه بقصيدة أخرى ومطلعها في **براعة الاستهلال** كالأولى، وهو:

أقريش لا لفم أراك ولا يد ... فتواكلي غاض الندى وخلا الندي

وما زلت معجبا بقوله منها:

بكر النعي فقال أودى خيرها ... إن كان يصدق فالرضي هو الردي

وبراعات الاستهلال في المراثي، أكثر منها في غيرها، يشهد بذلك الاستقراء. ولنكتف في النظم منها بهذا المقدار. وأما ما وقع منها في النثر فكثير جدا، خصوصا في خطب المتأخرين. وفي ديباجة هذا الشرح ما يقنع الطالب، فلا حاجة بنا إلى التطويل، بإثبات شيء من النثر.

وإذا قد ذكرنا جملة مقنعة من محاسن المطالع، فلنذكر جملة من مستهجناتها، ليحترز الناظر عن الوقوع في مثلها: قيل ما سمع أشد مباينة من قسمي بيت جميل في قوله:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا ... نسائكم هل يقتل الرجل الحب

حكى صاحب الأغاني عن الهيثم بن عدي قال: قال لي صالح بن حسان يوما: ما نصف بيت كأنه أعرابي في شملة، والآخر كأنه مخنث يتفكك؟ قلت: لا أدري، قال: أجلتك حولا، قلت: لو أجلتني عشرة ما عرفت، قال أف لك، قد كنت أحسبك أجود ذهنا من هذا، قلت: فما هو؟ قال: قول جميل:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا ... هذا كلام أعرابي، ثم قال

نسائكم هل يقتل الرجل الحب ... كأنه والله من مخنثي العقيق.

قال شيخ الأدب صلاح الدين الصفدي بعد نقله ذلك قلت: علم الله لولا إيراد النادرة، لاستحييت أن

أكتب النصف الثاني، لأنه محلول إلى الغاية. والناس به قول الآخر:

مات الخليفة أيها الثقلان ... فكأنما أفطرت في رمضان

ويقولون في الأول عزى الثقلين، ثم إنه حل في الثاني. وأقول: إنه ليس بينهما نسبة في الانحلال. وقول جميل: إنما يحسن من مثل فريدة جارية الواثق، فإنها صنعت فيه لحنا وغنت به، وكانت بارعة الجمال. فإذا سمع منها كان مناسبا. وإلى بيت جميل أشار ابن نفاذة في قوله:

أهجر وصد وافتراق وغربة ... وبين فيا لله كم يحمل الصبا

فقل لمحب نبه الركب سائلا ... ونام نعم قد يقتل الرجل الحب

انتهى كلام الصفدي.." (١)

"ألا عم صباحا أيها الطلل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وهل يعمن إلا سعيد مخلد ... قليل هموم ما يبيت بأوجال

قيل وهذا البيت الأخير يحسن أن يكون من أوصاف الجنة. لأن السعادة والخلود وقلة الهموم والأوجال لا توجد إلا في الجنة. انتهى.

ومما يعيب على أبي الطيب استفتاحه قصيدة في مدح ملك، يريد أن يلقاه بها أول لقية بقوله:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ... وحسن المنايا أن يكون أمانيا

قال الثعالبي: وفي الابتداء بذكر الموت والمنايا، ما فيه من الطيرة التي ينفر منها السوق فضلا عن الملوك. حكى الصاحب قال: ذكر الأستاذ الرئيس يوما الشعر فقال: إن أول ما يحتاج فيه إلى التأنق حسن المطلع. فإن ابن أبي الثياب أنشدني في يوم نيروز قصيدة ابتداؤها: (أقبرونيا طلت ثراك يد الطل) . فتطيرت من افتتاحه بالقبر وتنغصت باليوم والشعر. انتهى كلامه.

قلت: والناس يستحسنون قول أبي الطيب في مفتتح قصيدته اللامية التي مدح بها كافور وهو:

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

ويعدونه من **براعة الاستهلال**، لما كان بناؤه على الاعتذار عن حمل تقدمه. والذي أراه أن هذه المواجهة، مما يستثقلها السامع، فعدها في هذا السلك أولى من ذكرها في **براعة الاستهلال**.

وروى أبو علي حسن بن سعد الكاتب قال: أنشدني أبو المناقب الشاعر عيدية في الملك الأفضل أولها: (نهنيك كلا بل نهني بك الدهرا) . فقلت له: الابتداء هكذا مما يتطير به. وذكر له خبر ابن مقاتل فوافقني

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٩

على ما قلته، وغير الابتداء فقال–
(نهنيك والأولى نهني بك الدهرا) .
وحكى أن شاعرا أنشد الشريف فخر الدولة ابن أبي الحسن نقيب الطالبين قصيدة يهنيه فيها بشهر رمضان. وكان الشريف يتأذى بالصوم لمرض يجده وكان أولها (أيا منابك كلها رمضان) . فقال الشريف: طوال والله مشومة علي مكروهة مبغضة إلي. وحرمه ولم يعطه شيئا.
ولما أنشد جرير، عبد الملك بن مروان قوله: (أتصحو أم فؤادك غير صاح) . قال له عبد الملك: بل فؤادك يا بن الفاعلة.
وكذلك لما أنشده ذو الرمة: (ما بال عينيك فيها الماء ينسكب) . وكان بعين عبد الملك مرض لا تزال عينه تدمع منه. فقال له: ما سؤالك عن هذا يا جاهل. وأمر بإخراجه. وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم لما أنشده:
صفراء قد كادت ولما تفعل ... كأنها في الأفق عين الأحول.
وكان هشام إنما يعرف بالأحوال، فظن أن عرضه به فأمر بإخراجه وطرده.
ولما قدم الشيخ الأديب الشيخ حسين بن شهاب الدين الطبيب وافدا على الوالد بالديار الهندية في سنة ثلاث وسبعين وألف، كان أول قصيدة امتدحه بها، قصيدة مفتتحها قوله:
لك الخير لا زيد يدوم ولا عمر ... ولا ماء يبقى في الدنان ولا خمر
فلم يبق في المجلس من يتعلق بأطراف الأدب إلا وأنكر هذا المطلع وقال: هذا بافتتاح مرثية أولى منه بافتتاح مدحة. ولم يكن من عادة الوالد أن يتطير بشيء من الطيرة؛ فلم يعبأ بذلك.
إذا عرفت هذا؛ فمن الواجب على الشاعر والكاتب وغيرهما أن يفتتح كلامه بما يتفاءل به السامع؛ ويطيب به وقته.
ومن غريب ما يحكى في أمر التفاؤل هنا؛ ما حكاه أبو الحسن الباخرزي في كتابه دمية القصر؛ قال: من أعجب ما اتفق لي مع عميد الملك أبي نصر منصور بن محمد الكندري: إني داعتبه في بعض الأوقات قبل وزارته بأبيات مفتتحها:
أقبل من كندر مسيخرة ... للنحس في وجهه علامات
قال: فضرب الدهر ضربانه، حتى صار العيوق مكانه. وألقيت إليه مقاليد الممالك، واستتبت به مراتب الدولة في تلك المسالك. وتصرفت بي أحوال إدانتي إلى ديوان الرسائل بالعراق، فدخل الديوان يوما وأنا

قريب العهد بالانتظام فيه. فلما وقع بصره علي، أثبت صورتي، وأقراه تذكر العهد القديم سورتي. فاقبل علي وقال: أنت صاحب أقبل؟ يشير إلى الأبيات التي مازحته بها، فقلت: نعم أيد اﺭله سيدنا، فقال: قد تفاءلت بأبياتك إذ كانت مفتتحة بلفظ الإقبال، مؤذنة بفراغ البال. وأومض لي في وجهه من مخائل الاستبشار ما حملني على التوسل إليه بهجوه في بعض ما مدحته به من الأشعار، وقلت فيه من قصيدة:
أتيح إقباله إذ قلت أقبل من ... واها لا قبالة الوافي بما ضمنا." (١)

"(الثانية) – قال ابن حجة: يتعين على الناظم أن يحتشم في الغزل الذي يصدر به المديح النبوي، ويتأدب ويتضاءل، ويشبب مطربا بذكر سلع ورامة، وسفح العقيق، والعذيب والغوير؛ ولعلع؛ وأكتاف حاجر ويطرح ذكر محاسن الرد؛ والتغزل في ثقل الردف؛ ورقة الخصر. وبياض الساق وحمرة الخد، وخضرة العذار؛ وما أشبه ذلك. وقل من سلك هذا الطريق من أهل الأدب.
وبراعة الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله تعالى في هذا الباب من أحسن البراعات وأحشمها وهو قوله:
إذن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم ... واقر السلام على عرب بذي سلم
فالتشبيب بذكر سلع والسؤال عن جيرة العلم، والسلام على عرب بذي سلم، لا يشكل على من عنده أدنى ذوق؛ إن هذه البراعة صدرت لمديح نبوي.
ومطلع البردة أيضا في هذا الباب من أحسن البراعات وهو:
أمن: تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
فمزج دمعه بدمه عندما تذكر جيران بذي سلم، من ألطف اﺭإشارات إلى أن القصيدة نبوية. انتهى كلامه.
ومطلع بديعية ابن جابر الأندلسي قوله:
بطيبة انزل ويمم سيد الأمم ... وانثر له المدح وانشر طيب الكلم
وتعقبه ابن حجة: بأن هذه براعة ليس فيها إشارة تشعر بغرض الناظم وقصده، بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلم. والبديعية لا بد لها من براعة وحسن مخلص وحسن ختام. فإذا كان مطلع القصيدة مبنيا على تصريح المدح، لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع. انتهى.
ومطلع بديعية عز الدين الموصلي قوله:
براعة تستهل الدمع في العلم ... عبارة عن نداء المفرد العلم
ومطلع بديعية ابن حجة قوله:

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٢

لي في ابتداء مدحكم يا عرب ذي سلم ... براعة تستهل الدمع في العلم

قلت: فيه قصر (الابتدا) وحقه المد، لأنه مصدر ابتدأ يبتدئ، وهو ضرورة. وارتكاب الضرورة في الابتداء خصوصا مطلع البديعية، لا يخفى ما فيه. وهو كما قال الثعالبي في يتيمة الدهر: جرى أمره على ما تقول العامة: أول الدن دردي.

ومطلع بديعية الشيخ عبد القادر الطبري قوله – وقد التزم التورية باسم النوع:

حسن ابتداء مديحي حي ذي سلم ... أبدى **براعة الاستهلال** في العلم

أقول: قد علمت أن الاستهلال يطلق على معان، ولم يعين المراد منه. والظاهر أنه أراد **ببراعة الاستهلال**، والمعنى الاصطلاحي، بقرينة حسن الابتداء، وحينئذ فلا تورية في ذلك، وإن أراد بها غير ذلك، كان عليه البيان.

ومطلع بديعيتي قد تقدم ذكره، لكن سرد المطالع جملة أوجب أعادته هنا، وهو:

حسن ابتدائي بذكري جيرة الحرم ... له براعة شوق يستهل دمي

براعة الاستهلال في هذا المطلع أظهر من أن ينبه عليها. وسهولة ألفاظه وصحة سبكه وتناسب قسميه أوضح من أن يشار إليها. وتزكية النفس كما فعل ابن حجة، أمر نهى عنه النقل، ومنع منه العقل ولله در القائل:

وما أعجبتني قسط دعوى عرضة ... وإن قام في تصديقها ألف شاهد

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى ... قليل الدعاوى وهو جم الفوائد

ومطلع بديعية إسماعيل المقرئ قوله ولم يلتزم التورية باسم النوع:

شارفت ذرعا فذرعن مائها الشبم ... وجزت نملى فنم لا خوف في الحرم

تعدية (ذر) ب (عن) لا يصح إلا على تضمينه معنى، تنح. وقد قال الله سبحانه: ثم ذرهم في خوضهم – يلعبون ولم يسمع ذر عنه. والتضمني لا ينقاس كما نص عليه العلامة أبو حيان، وارتكاب مثل هذا في المطلع خصوصا مطلع بديعية مناف للشروط التي قرروها فيه، وقد نظم جماعة من المتأخرين بديعيات يعرفها من وقف عليها، ويحق أن ينشد فيها:

لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى استامها كل مفلس

ولعل الواقف على هذا الكلام يرميني بسوء ظنه، وينسبني إلى التحامل على المتأخرين من أهل الأدب، ودعوى التفرد بفنه، فعل المعجب بفهمه وحدسه، القادح لغيره، المادح لنفسه. وأنا أعوذ بالله من التزيد في

المقال؛ فإنها عثرة لا تقال.

فمن تلك البديعيات بديعية الكفعمي رحمه الله ومطلعها:

إن جئت سلمى فسل من في خيامهم ... ومن سكن منسكا عن دميتي ودمي.." [١]

"ففي صرفه (سلمى) وتسكينه آخر الفعل الماضي ما يغني عن الكلام على بقية ما فيه. ومن كان هذا مبلغه من النحو فالسكوت أولى به ولا نطول بذكر جميع هذه البديعية. فالمطلع يدل على ما بعده. وما كان الغرض من إثباته إلا إقامة البينة على ما ذكره، وليس المقصود بهذا كله تتبع العثرات والعياذ بالله، بل تنبيه الطالب على اجتناب الوقوع في مثل ذلك. ومن لم يستطع شيئا فليدعه كما قيل:

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

ولنقتصر على هذا المجال من الكلام على حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال**.

الجناس المركب والمطلق

دعي وعجبي وعج بي بالرسوم ودع ... مركب الجهل واعقل مطلق الرسم

الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس: كلها ألفاظ مشتقة من الجنس. فالجناس مصدر جانس، والتجنيس تفعيل من الجنس، والمجانسة مفاعلة منه. لأن إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية، والتجانس مصدر تجانس الشيئان: إذا دخلا تحت جنس واحد.

وحكي عن الخليل: بهذا يجانس هذا أي يشاكله، ونص عليه في التهذيب أيضا. قال الجوهري في الصحاح: زعم ابن دريد: إن الأصمعي كان يدفع قول العامة: هذا مجانس لهذا، ويقول: إنه مولد، وكذا في ذيل الفصيح للموفق البغدادي. قال الأصمعي: قول الناس: المجانسة والتجنيس، مولد وليس من كلام العرب، ورده صاحب القاموس: بأن الأصمعي واضع كتاب الأجناس في اللغة، وهو أول من جاء بهذا اللقب.

وحد الجناس في الاصطلاح: تشابه الكلمتين في اللفظ، أي في التلفظ. قال في سر الصناعة: ولم أر من ذكر فائدته، وخطر لي أنها الميل إلى الإصغاء إليه. فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها. ولأن اللفظ المذكور إذا حمل على معنى، ثم جاء والمراد به معنى آخر، كان للنفس تشوق إليه. انتهى. والعبارة الثانية قاصرة عن بعض أنواع الجناس قاله في عروس الأفراح.

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٥

وهو أنواع، وجملة ما ذكره الشيخ صفي الدين في بديعيته منها اثنا عشر نوعا. ومنهم من زاد، ومنهم من نقص؛ ونحن ذكرنا ما ذكره الصفي؛ ورتتناه حسبما رتبه.

فمن أنواعه الجناس المركب والجناس المطلق: أما الجناس المركب - فهو ما تماثل ركناه وكان أحدهما كلمة مفردة والآخر مركبا من كلمتين فصاعدا، وهو على ثلاثة أنواع، أحدهما: الجناس المقرون. ويسمى المتشابه، وهو ما اتفق ركناه لفظا وخطا، كقول أبي الفتح البستي:

إذا ملك لم يكن ذاهبه ... فدعه فدولته ذا هبه

وقول أبي جعفر الاسكافي:

فرشت لشيبي أجل البساط ... فلم يستطب مجلسا غير رأسي

فقلت لنفسي لا تنكريه=فكم للمشيب كراسي كراسي وقول أبي حفص عمر الحاكم المطوعي:

يا خادما يملك مني خادما ... قد صير الدنيا علي خاتما

كم من دما صب صببت ظالما ... أخادما أصبحت أم أخادما

وقوله أيضا:

ألا يا سيدا خلقت يداه ... لثروة معدم أو يسرعان

مضى العسر الذي قاسيت فاعدل=إلى يسرين نحوك يسرعان

عسى ما عسى من عود شملي يكتسي ... بعودهم بعد التسلب أوراقا

فلم يصف لي من بعد قط مورد ... ولا لذلي عيش وإن طاب أوراقا

ومنه قول الحصري:

رب سهل على فتاتي فتاتي ... لترى هل سلافتاها فتاها

علمته جفونها آي سحر ... ما تلاها في حبها مذ تلاها

وقول شمسويه البصيري:

ناظراه بما جنى ناظراه ... أو دعاني أمت بما أو دعاني

وقولي في مطلع قصيدة مناجاة:

قف طالبا فضل الإله وسائلا ... واجعل فواضله إليه وسائلا

وقولي أيضا في مطلع أخرى:

تراءت سليمى وهي كالبدر أو أسنى ... فضاء فضاء الربع من ضوئها وهنا

وقول الآخر:

بعدت وقد أضرمت ما بين أضلعي ... ببعدك نارا حشو قلبي وقودها

وكلفت نفسي قطع بيداء لوعة ... تكل بها هوج المطي وقودها

وقول الآخر:

صلوا مغرما من أجلكم واصل الضنا ... وفي حبكم طيب الرقاد فقد فقد

أثار الهوى نارا تشب بقلبه ... ومن لي بإطفاء الغرام وقد وقد

وقول الآخر:

قلت لبدر التم لما غدا ... معتجبا من حسن أوصافه

إن شئت أن تسرق من حسنه ... فلذ به يا بدر أوصافه

وقول الآخر:." (١)

"وقول إبراهيم الغزي:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامل.

وقول ابن أبي الحديد في ختام أخر قصيدة من قصائده العلويات:

سمعا أمير المؤمنين قصائد ... يعنو لها بشر ويخضع جرول.

الدر من ألفاظها لكنه ... در له ابن أبي الحديد مفصل.

هي دون مدح الله فبك وفوق ما ... مدح الورى وعلاك منها أكمل.

وقولي في ختام قصيدة نبوية طنانة مع حسن التضمين:

عليك صلاة الله ثم سلامه ... مدى الدهر لا يفنى ولا يتصرم.

وآلك والصب الكرام أولي النهي ... بهم يبدأ الذكر الجميل ويختم.

وقولي في ختام أخرى مدحت بها الوالد، وقد تقدم شيء منها في **براعة الاستهلال:**

إليك نظام الدين وابن نظامه ... محبرة تزهى بحسن نظامها.

ظننت بها عن كل سمع وإنما ... مديحك كان لليوم فض ختامها.

وبيت بديعية الصفي قوله:

فإن سعدت فمدحي فيك موجبه ... وإن شقيت فذنبي موجب النقم.

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٦

وبيت بديعية ابن جابر قوله:

لكن وإن طال مدحي لأفي أبدا ... فاجعل العذر والإقرار مختتمي.

وبيت بديعية الموصلي قوله:

فاجعل له مخلصا من قبح زلته ... في حسن مفتتح منه ومختتم.

وبيت بديعية ابن حجة قوله:

حسن ابتدائي أرجو التخلص من ... حر الجحيم وهذا حسن مختتمي.

وبيت بديعية المقري قوله:

لكن ذلك مجهودي أتيت به ... ومن يقصر وراء الجهد لم يلم.

وبيت بديعية السيوطي قوله:

واكتب مدى العمر في الدنيا لنا حسنا ... حتى أرى عند موتي حسن مختتمي.

وبيت بديعية الطبري قوله:

فإن ظفرت به فالفضل معتمدي ... أولا فإن رجائي حسن مختتم.

وبيت بديعية العلوي قوله:

صلى عليه بعد الرمل متسقا ... وعد نبت الثرى والوابل السجم.

وبيت بديعيتي قولي:

أحق بحسن ابتدائي ما أنال به ... حسن التخلص يتلو حسن مختتمي.

كلمة الختام للمؤلف. قال المؤلف عفا الله تعالى عنه بمنه: هذا أخر أنواع البديع التي قصدت نظمها في سلك هذا العقد البديع وبانتهائه انتهى بناء الكلام على تقييد هذا الشرح المفيد، وتشييد قواعد هذا الصرح المشيد. وقد جاء بحمد الله سبحانه وافيا بالغرض، حاويا من هذا الفن للجوهر لا العرض، جامعا لما يشنف السمع بحسن الجمع، ويونق الخاطر بنشره العاطر. ولم اقتصر فيه على النقل دون النقد، ولم آل في تحريره وتقريره الجهد، حتى اشتمل على ما لم يشتمل عليه شرح من شروح البديعيات واحتوى على ما لم تنكر حسنه ثواقب الفطن الألمعيات. وقد ادعى ابن حجة في شرح بديعيته: أنه ما ترك نوعا من أنواع البديع إلا وأطلق عنان القلم في ميادين الطروس مستطردا إلى استيعاب ما وقع من جيده ورديه، وهذه دعوة منه لم تقم البينة على إثباتها، ولا أراها إلا من تبجحا ته التي لا يزال يتيه بسكراتها، ومن رام الامتحان فليقابل بين هذا الشرح وشرحه، وليحقق النظر في تعديل الشاهد وجرحه. على أنني لا أدعي العصمة في

قول ولا عمل، ولا أزعم أنني أحرزت أدوات الكمال عن كمل.

بل لا آمن من تعقب يتعقب، وحاسد يرصد الزلة ويترقب، وقديما ما قيل: من صنف فقد استهدف. وأنا أسأل ممن حسنت شيمته، وغلت في سوق الأدب قيمته، إن يصطلح الخلل، ويستر الزلل، مما طغى به القلم؛ وزلت به القدم، مغتفرا ذلك في جنب ما نظمت له من الفرائد، ورددت عليه من الشرائد، وأهديت إليه من در المنظوم وزهر المنثور، ورويت له من مسلسل حديث الأدب المأثور، ولست أبالي بطعن معاند أو حاسد، ومن يغالي في المتاع الكاسد.

ومن أحسن الاتفاق أن جاء تاريخ عام التمام، موافقا لحساب طيب الختام، وهو عام ثلاث وتسعين وألف، فنظمته على وزن البديعية ورويها أيضا فقلت:

تاريخ ختمي لأنوار الربيع أتى ... (طيب الختام) فيا طوبى لمختتم.

ونظمت ذلك فقلت:

بعون الله تم الشرح نظما ... ونثرا مخجلا در النظام.

ومسك ختامه مذ طاب نشرا ... أتى تاريخه طيب الختام.." [١]

"وألف رسالة مسماة **براعة الاستهلال**. فيما يتعلق بالشهر والهلال. ونظم رسالة متعلقة بمنازل القمر. موسومة بمناهل السمر. وشرحها وكتب على آية الكرسي رسالة وكتب قطعة على الخزرجية وولى التدريس سنة خمس بعد الألف فدرس به في أوائل شهر ربيع الثاني من السنة المذكورة وشرع في كتابة شرح على كنز الدقائق مجردا عن نقل خلاف غير المذهب فشرح كتاب النكاح والرضاع وكتاب الحج منه بديباجة مستقلة فصار كتابا مفيدا في المناسك وذلك في سنة ثمان بعد الألف وأفتى بعد موت شيخه القاضي علي بن جار الله على مذهب أبي حنيفة وانتهت إليه الفتوى بالديار المكية انتهى. وقرأت في إجازته للشيخ العلامة شهاب الدين أحمد المقري الأندلسي ما نصه. كان مولدي بمكة المشرفة ليلة الجمعة الخامس من جمادي الأولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فلقبت بشرف المدرسين وهو تاريخ عام ولادتي المذكورة على ما جرت به عادات المشارقة من ضبط تواريخ المواليد والوقائع بلفظ يكون عدد حروفه بحساب الجمل مطابقا لعدد ذلك العام ثم شرعت في الاشتغال على علمآء الحرم. ومن يفد إليه من عرب وعجم بعد أن حفظت القرآن العظيم وصليت به التراويح اماما بالمسجد الحرام سنين عديدة وحفظت متونا عديده. في فنون مفيده. أجزت بها عند عرضها على المشايخ ثم قلدت تدريس مدرسة الوزير محمد باشا التي

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٥١٣

بمكة المكرمة في عام تسع وتسعين وتسعمائة فدرست بها الجامع الصحيح للبخاري وأمليت عليه شرحا إلى كتاب العلم وصنفت في عام ألف منظومتي التي في الصرف التي قلت في آخرها شعر

فهاك نظما شافيا في الصرف ... ألف في مكة عام ألف

ثم اشتغلت بالتأليف والتدريس والاشتغال إلى أن قلدت الأمر الخطير. والشأن الذي لولا الرجا لعفو الله لكنت منه على وجل كبير. وهو القيام بأعبآء الفتوى في سنة إحدى عشرة بعد الألف وهي سنة وفاة شيخنا الامام. شيخ مشايخ الاسلام. الشيخ علي ابن جار الله بن ظهيرة القرشي الحنفي مفتي مكة وابن مفتيها فباشرته حسبة إلى سنة عشرين بعد الألف فقلدت الافتاء السلطاني وخدمة الامامة والخطابة بالمسجد الحرام ثم قلدت في سنة سبع وعشرين بعد الألف تدريس المدرسة السليمانية فأقرأت فيها تفسير البيضاوي مع حاشية جدي الشيخ مرشد العمري وكنت في أيام الشباب. وخلو الزرع من الأوصاب. ربما تعلقت بأهداب الشعر فلي فيه قصائد ومقاطيع وأسئلة منظومة وأجوبة كذلك حسبما يرد من ذلك النوع واخوانيات ومداعبات. والغازات ومعمايات ومعارضات. وقد امتدحت شريف مكة وحامي حماها الحسن بن أبي نمي بن بركات بقصيدة عارضت بها قصيدة ابن هانيء المغربي التي مطلعها

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر ... وأمدكم فلق الصباح المسفر

وامتدحت ابنه المسعود بقصيدة ذات تواريخ ستة مشجرة في أبياتها على اسلوب عنوان الشرف لابن المقري فلما تقلدت القيام بأمر الفتوى أشغلني ذلك. عن سلوك ہذه المسالك.

وأنشدت قول المعري

بعين الشعر أبصرني أناس ... فلما ساءني أخرجت عينه

خروجا بعد راء فهو راء ... فسار الشعر مني الشرع عينه

اللهم إلا ما يستدعيه الحال من أجوبة ما برد إلي من رسائل الاخوان مشتملة على نظم قلائد العقيان. فتقتضي لمشاكله. والموافقة في المراسله. فلي أجوبة عما ورد إلي من علماء الآفاق. مما يستدعيه الوفا. وقد اجتمع عندي من ذلك شيء كثير. ضمن سفر كبير. ولي ديوان خطب لاني منذ تقلدت الخطابة لم أزل أنشي في كل نوبة خطبة تناسب الوقت فاجتمع عندي من ذلك في نحو عشر سنين ما يناهز الستين انتهى ما أردت نقله من كلامه في اجازته المذكورة وعد من مصنفاته فيها الفتح القدسي. تفسير آية الكرسي. وتعميم الفائده. بتفسير المآئده. وهي رسالة وقع الكلام فيها على معنى قول الجلال السيوطي عند تفسير

قوله تعالى لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير. ومنه إثابة الطائع وتعذيب العاصي وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر.." (١)

"ومنها شرح صحيح البخاري المقدم ذكره وشرح مناسك الكنز. المسمى بفتح مسالك الرمز. ومنها رسالة تتعلق بالوقف مسماة بوقوف الهمام المنصف. عند كلام الامام أبي يوسف. ألفها لما وقع الخلاف بينه وبين بعض المفتين في مسئلة تتعلق بالأوقاف ومنها المنظومة في علم التصريف. المسماة بترصيف التصريف. وشرحها الموسوم بالشرح اللطيف. ومنها الوافي. لشرح الكافي. في العروض والقوافي. ومنها شرح عقود الجمان. في المعاني والبيان. للجلال السيوطي شرحها مزجا بشرح مطول. يكاد يزيد على المطول. ومنها رسالة منظومة في منازل القمر. وشرح عليها موسوم بمناهل السمر. ومنها كتاب يتعلق بالشهور والأيام. وما يناسب ذلك من مباحث وكلام. له بكل علم تعلق والمام. مسمى **ببراعة الاستهلال**. فيما يتعلق بالشهر والهلال ومما لم يذكره شرح ألفية الجلال السيوطي والأشعار. بما لقائله من الانشا والأشعار. والله أعلم ولم يزل ممتطيا صهوة العز المتين. وراقيا ذروة طود الجاه الركين. لا يقاس به قرين. ولا تطأ آساد الشرى له عرين.

إلى أن تولى الشريف أحمد بن عبد المطلب مكة المشرفه. ورفل في حلل ولايتها المفوفه. وكان في نفسه من الشيخ المشار إليه ضغن. حل بصميم مهجته وما ظعن. فأمر أولا بنهب داره. وخفض محله ومقداره. ثم قبض عليه قبض المعتمد على ابن عمار. وجزاه الدهر على يديه جزاء سنمار. إلا أن المعتمد أغص ابن عمار بالحسام الأبيض. وهذا طوقه هلال فتر من أنامل عبد أسود. فجرعه طعم كاس الموت الأحمر. وكان قد أبقاه في مجلسه إلى ليلة عرفه. ثم خشى أن يسعى في خلاصه من أكابر الروم من عرفه. فوجه إليه بزنجي أشوه خلق الله خلقا. وتقدم إليه لقتله في تلك الليله خنقا. فامتثل أمره فيه. وجلله من برد الهلاك بضافيه. فأقفرت لموته المدارس. وأصبحت ربوع الفضل وهي دوارس. وذلك في عام سبع وثلاثين وألف ومن الاتفاق إن الشريف المذكور قتل هذه القتلة بعينها. حتى تقاضت منه الليالي ما أسلفته من دينها. وفي الأثر كما تدين تدان. وهذا حال الدهر مع كل قاص ودان.

فصل وهذا حين أثبت من نثره الباهر. ونظمه المزرى بعقود الجواهر. ما تستلذه المسامع. ويطرب له الناظر والسامع. فمن نثره البديع ما كتبه إلى شيخ الاسلام محمد بن سعد الدين المفتي بقسطنطينية يقبل الأرض التي تمنى الشمس إن لو حظيت منها بالقبل. وبدلتها ببرج درجة شرفها الحمل.

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣٧

أرضا تقاعست عنها الأفلاك. أرضا ترافعت على الفرقدين والسماك. أرضا تحيط بها الأعاظم. إحاطة الهالة بالقمر. أرضا تنيط بها الأفاخم. ما يختص به كل من نهى وأمر. أرضا أعد التضمخ بثراها طيبي. وأرى التخلق ببراها أعز سهم من نصيبي. أرضا تنافس حصباؤها الدراري. أرضا تنافح شذا المسك الداري. أرضا تمشت فيها إقدام تستقل الثريا موطئا ومرقي. وتجل عن أن ترى بينها وبين السها في العلياء فرقا. أرضا مقبلة بشفاه الأعاظم. مبجلة بشفاه الأفاخم. بها تشديد بنيان المعالي. بها تأيد إيوان الأعالي. بها اكتحلت ألحاظ الموالي. بها افتخر الثرى على الأثير العالي. ولا بدع إذ هي ممشى لسيد كرع من معين الفضل سلسبيله. وأوضح لمفترع هضاب الفرع دليله. وأصبح كماله موقي من العين والعيب فلا مجال لعين الرضى عن كل عيب كليله. أعلم من قضى وأفتى. أفضل من باشر التدريس والأفتا. أكثر العلماء علما. أغزر مشايخ الاسلام فهما. أجمع أرباب العلوم رواية. أوسع أصحاب الفهوم دراية.." [1]

"هذا هو مقول القول والحمد هو الثناء بالجميل الاختياري وحمدا مصدر تأكيدي وبوصفه عاد نوعيا والشامل من شمله الشيء إذا عمه أي شاملا لأنواع الحمد وأنواع المحمود عليه والشامل اسم كتاب في الأصول للإمام يحيى وفي ذكر الأصول والفروع والكافل **براعة الاستهلال** مع التورية ... وأستزيد المنتهى من عنده ... والمجتبى من فضله لعبده ...

استزاد طلب الزيادة لما حمد مولاه طلب الزيادة من نعمائه ومنتهى الشيء غايته وفضل الله لا غاية له ولا انتهاء وهو أيضا اسم لكتاب الآمدي في الأصول ففيه تورية والمجتبى بالجيم واجتباه إذا اختاره ومن فضله يتنازع فيه المنتهى والمجتبى وهو اسم كتاب في الأصول أيضا والحديث للنسائي ففيه ما في الذي قبله من التورية ... ثم صلاة الله تغشى المصطفى ... وآله سفن النجاة الحنفا ...." [2]

". . . . .

قصبات السبق في مضمار الإحسان. وأبرزوا ضمير القصة والشأن بسنان اللسان ولسان السنان. فهذا شرح لطيف بديع على ألفية ابن مالك. مهذب المقاصد واضح المسالك.

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣٨

(٢) إجابة السائل شرح بغية الآمل الصنعاني ص/١٨

فائدة لأنه يلزم من كونه عليه الصلاة والسلام منتخبا من لباب عدنان كونه منتخبا من خلاصة معد ولا عكس. قوله: "أحرزوا" أي حازوا وقوله قصبات السبق الخ كان من عادة العرب أن تغرز قصبة في آخر ميدان تسابق الفرسان فمن أعدى فرسه إليها وأخذها عد سابقا ففي الكلام استعارة تمثيلية إن شبه حال الصحابة في غلبتهم لمن قاواهم في الإحسان بحال السابقين على الخيل في الميدان في سبقهم إلى قصبة السبق بجامع مطلق حوز ما به الشرف، أو استعارة مكنية إن شبه في النفس الإحسان بساحة ذات ميدان وجعل إثبات المضمار أي الميدان تخييلا وإحراز قصبات السبق ترشيحا، أو استعارة مصرحة إن شبهت مراتب العلو بقصبات السبق وجعل المضمار ترشيحا والإحسان تجريدا والمراد بالإحسان إما معناه الشرعي المبين في حديث جبريل بقوله عليه الصلاة والسلام: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" أو مطلق الطاعة وهذا أقرب.

قوله: "وأبرزوا" أي أظهروا. وقوله ضمير القصة والشأن يحتمل أن المراد المضمر المستور الذي كان له قصة وشأن عظيمان وهو دين الإسلام فيكون تسميته مضمرا باعتبار ما كان. ويحتمل أن المراد ضمير القصة والشأن الاصطلاحي الواقع في قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩] ففي الكلام حذف مضاف أي مفسر ضمير الخ لأن الذي أظهروه مفسره وهو لا إله إلا الله، أو مجاز مرسل علاقته المجاورة حيث سمي المفسر بكسر السين باسم المفسر بفتحها. قوله: "بسنان اللسان ولسان السنان" السنان نصل الرمح، والتركيبان إما من إضافة المشبه به إلى المشبه أي اللسان الذي كالسنان في التأثير والسنان الذي كاللسان في كثرة استعماله، أو من الاستعارة بأن يكون شبه في التركيب الأول كلام اللسان بالسنان في التأثير وشبه في النفس السنان في التركيب الثاني بالإنسان في صدور الفعل العظيم عن كل وأثبت له اللسان تخييلا، أو شبه طرف السنان الذي به الجرح باللسان في كثرة استعماله، وجعل شيخنا إطلاق لسان السنان على طرفه الجارح لا تجوز فيه ممنوع لأنه ليس من معاني اللسان الحقيقية كما يؤخذ من القاموس وغيره. وفي قوله بسنان الخ من أنواع البديع العكس وهو تقديم المؤخر وتأخير المقدم كقولهم عادات السادات سادات العادات. وقد اشتملت خطبته على أنواع أخر **كبراعة الاستهلال** والتورية في الفتح والرفع والماضي ونحوها. والطباق في الرفع والخفض والإيمان والبهتان والإفراط والتفريط. والجناس اللاحق في الأسد والجسد والتحقيق والتدقيق والمخل والممل، وكذا بين الأدراج والأبراج كما قاله شيخنا والبعض وإن جعل شيخنا السيد الجناس بينهما مضارعا لما سيأتي والجناس المضارع في خلا وعلا. والفرق بين الجناسين أن الاختلاف إن كان بحرف بعيد المخرج فاللاحق أو قريبه فالمضارع. ومعنى بعد المخرج أن يختلف الحرفان

في جنس المخرج ومعنى قربه أن يتحدا في جنسه ويختلفا في شخصه.
قوله: "فهذا" اسم الإشارة راجع إلى الألفاظ الذهنية المخصوصة الدالة على المعاني المخصوصة على أرجح الأوجه فهو مستعار مما وضع له، وهو المبصر الحاضر للمعقول لشبهه به." [١]

"وقوله: تطلب للرقة إلى آخره، معناه لما اتصلت بالجسم صارت أسيرة في وثاقه فهي تطلب تحريرها وفكها من قيود استرقاقه، وقوله: فإن خلت إلى آخره الضمير للنفس على جعلها كالكلمات المنقشة على صفحات الأوراق وهو اصطلاح متعارف بين أول الأذواق.

قال السيد الشريف في تعريفاته: إنها سميت الأعيان كلمات تشبيها بالكلمات اللفظية الواقعة على النفس الإنساني بحسب الخارج، وأيضا كما تدل الكلمات على المعاني العقلية، كذلك تدل أعيان الموجودات على موجدها وأسمائه وصفاته وجميع كمالاته الثابتة له بحسب ذاته ومراتبه، وأيا كل منها موجود بكلمة كن، فإطلاق الكلمة عليها إطلاق إسم السبب على المسبب انتهى.

وقد يعبر عن الحقائق البسيطة بالحروف أيضا عند مشايخ الصوفية، وجعلها بعض متكلميهم ثمانية أنواع، فقال: اعلم أن الحروف على ثمانية أطوار، حروف حقيقية وهي أعيان الأسماء والصفات، قلت وهي التي ذكرها صاحب التعريفات وحروف عاليات وهي ذوات معلومات العلم الإلهي المعبر عنها بالأعيان الثابتات بالعلم الإلهي، قلت وهي التي أشار إليها بعضهم بقوله:

كنا حروف عاليات لم نقل ... متعلقات في ذرا أعلا القلل

وحروف روحية وهي الأرواح النورية التي أخبر الله بها هذا الوجود كما أظهر الكلمات بالحروف الملفوظة، وحروف صورية، وهي جوانح هذا العلم العلوي وجوارح الإنسان بالحكم الجزئي، وحروف معنوية وهي حركات الأشياء وسكناتها، ينشا منها حروف تتركب من تلك الحروف كلمات مناسبة لحال ذلك المتحرك كالإنسان في حال قيامه، يتركب منه صورة ألف وفي حال منامه صورة الباء، إلى غير ذلك حتى أنه يتصرف صاحب هذا العلم بحركات جسمية كما يتصرف بالحروف إن كان عارفا بكيفية التصرف بها، وحروف حسية، وهي ما شوهد رقما وكتابة، وحروف لفظية وهي تتشكل في الهوى من قرع الريح الخارجة من الحلق على مخارج الحروف

فللنسيم معها اتصال ... ليس لها عن روضها انفصال

قد عرفت مما ذكر آنفا إشارة الناظم قدس سره في صدر السؤال إلى المقصود منه في ظن **براعة الاستهلال**،

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك الصبان ١/٦

وإن كان ظاهر السياق في تعديد أوصاف الهدية إلى قوله: ما إسم سمي إلى آخره ونحن نمشي على طريقة توضيح المعنى المقصود من النظم فنقول: الفاء في قوله فللنسيم، للتفريع على السابق من قوله: فقد سرت إلى آخره، يعني لما شابهت النسيم في سرعة مسراها كان لها بها اتصال ومناسبة حال تعلقها بالبدن، كما يقود إليه المعنى، وذلك أن النفس التي يعبر عنها بالروح الحيواني من لازمه التنفس وهو استنشاق الهواء إلى الجوف بواسطة الرئة الممدة للقلب بالترويح، ومنه الحديث (لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن) يريد أنها تفرج الكرب وتنشيء السحاب، وتنشر الغيث، وتذهب الجدب، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن) قال في النهاية: عنى به الأنصار لأن الله نفس بهم الكرب عن المؤمنين وهم ثمانون لأنهم من الأزد وهو مستعار من نفس الهوى الذي يرده التنفس إلى الجوف فيبرده من حرارته أو يعدله أو من نفس الريح الذي نتنسمه فيتروح إليه أو من الروضة وهو طيب روائحها فينقرج به عنه انتهى.

وأيضا فالروح والروح مرجعهما في (الاشتقاق) إلى مادة قال في القاموس: الروح بالضم ما به حياة الأنفس وبالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح جمعه أرواح وأرياح ورياح.

وهاهنا أمر ينبغي معرفته وهو أنه سبق لك مرارا أن المراد من الأبيات النفس الناطقة، ولكن الناظم قدس سره نزل الوصف تارة على الروح الإنسانية وأخرى على الروح الحيوانية كما في هذا البيت ولا حرج في ذلك بعد فهم المراد إذ مرجعهما جملة الإنسان:

كم مرة قد استمدت عرفها ... وخلفت زهر الرياض خلفها

يعني أن النسيم لما بينها وبين النفس من المناسبة والاتصال حتى صار سببا لبقائها في البدن باستنشاقها لم تزل تحمل إلى أهل الذوق والمحبة من أسرارها أطايب التحف، ونفائس الطرف، فهي تستمد من عرفها العبق مجاوزة زهر الرياض، وإن كان ذا منظر أنق. وقد أكثر الشعراء من وصف الريح بترويح المشوق وتنفيسها عل كل قلب بالجوا مطروق كقوله:

أيا جبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها." (١)

"صفات للاسم الجليل كالعزيز العليم، وذكر غافر الذنب وقابل التوب وذي الطول للترغيب وذكر شديد العقاب للترهيب والمجموع للحث على المقصود من تنزيل الكتاب وهو المذكور بعد من التوحيد والإيمان بالبعث المستلزم للإيمان بما سواهما والإقبال على الله تعالى، والأولان منها وإن كانا اسمي فاعل

---

(١) تحفة المشتاق إلى شرح أبيات المولى إسحق السياغي ص/١٣

إلا أنهما لم يرد بهما التجدد ولا التقييد بزمان بل أريد بهما الثبوت والاستمرار فإضافتهما للمعرفة بعدهما محضة اكسبتهما تعريفا فصح أن يوصف بهما أعرف المعارف، والأمر في ذي الطول ظاهر جدا. نعم الأمر في شديد العقاب مشكل فإن شديدا صفة مشبهة وقد نص سيبويه على أن كل ما أضافته غير محضة إذا أضيف إلى معرفة جاز أن ينوي بإضافته التمحض فيتعرف وينعت به المعرفة إلا ما كان من باب الصفة المشبهة فإنه لا يتعرف ومن هنا ذهب الزجاج إلى أن شديد العقاب بدل، ويرد عليه أن في توسيط البدل بين الصفات تنافرا بينا لأن الوصف يؤذن بأن الموصوف مقصود والبدل بخلافه فيكون بمنزلة استئناف القصد بعد ما جعل غير مقصود، والجواب أنه إنما يشكل ظاهرا على مذهب سيبويه وسائر البصريين القائلين بأن الصفة المشبهة لا تتعرف أصلا بالإضافة إلى المعرفة، وأما على مذهب الكوفيين القائلين بأنها كغيرها من الصفات قد تتعرف بالإضافة ويجوز وصف المعرفة بها نحو مررت بزيد حسن الوجه فلا، ويقال فيما ذكر على المذهب الأول: إن «شديدا» مؤول بمشدد اسم فاعل من أشده جعله شديدا كأذين بمعنى مؤذن فيعطي حكمه، أو يقال: إنه معرف بأل والأصل الشديد عقابه لكن حذفت لأمن اللبس بغير الصفة لوقوعه بين الصفات واحتمال كونه بدلا وحده لا يلتفت على ما سمعت إليه ورعاية لمشاكلة ما معه من الأوصاف المجردة منها والمقدر في حكم الموجود، وقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لأجل المشاكلة حتى قالوا: ما يعرف سحادليه من عنادليه أرادوا ما يعرف ذكره من أنثييه فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع، وجوز كون جميع التوابع المذكورات أبدالا وتعمد تنكير شديد العقاب وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار. وفي الكشف جعل كلها إبدالا فيه تنافر عظيم لا سيما في إبدال العزيز من الله الاسم الجامع لسائر الصفات العلم النص وأين هذا من **براعة الاستهلال؟** وذهب مكي إلى جواز كون غافر الذنب وقابل التوب دون ما قبلهما بدلين وأنهما حينئذ نكرتان، وقد علمت ما فيه مما تقدم، وقال أبو حيان: إن بدل البداء عند من أثبته قد يتكرر وأما بدل كل من كل وبدل بعض من كل وبدل اشتمال فلا نص عن أحد من النحويين أعرفه في جواز التكرار فيها أو منعه إلا أن في كلام بعض أصحابنا ما يدل على أن البدل من البدل جائز دون تعدد البدل واتحاد المبدل منه، وظاهر كلام الخفاجي أن النحاة صرحوا بجواز تعدده حيث قال: لا يرد على القول بالإبدال قدرة البدل في المشتقات، ولا أن النكرة لا تبدل من المعرفة ما لم توصف، ولا أن تعدد البدل لم يذكره النحاة كما قيل لأن النحاة صرحوا بخلافه في الجميع، وللدماميني فيه كلام طويل الذيل في أول شرح الخزرجية لا يسعه هذا المقام فإن أردته فانظر فيه انتهى.

وعندي أن الإبدال هنا ليس بشيء كلا أو بعضا، والتوب يحتمل أن يكون مصدرا كالأوب بمعنى الرجوع ويحتمل أن يكون اسم جمع لتوبة كتمر وتمرة، والطول الفضل بالثواب والإنعام أو بذلك وبترك العقاب المستحق كما قيل وهو أولى من تخصيصه بترك العقاب وإن وقع بعد شديد العقاب وكون الثواب موعودا فصار كالواجب فلا يكون فضلا ليس بشيء فإن الوعد به ليس بواجب، وفسره ابن عباس بالسعة والغنى، وقتادة بالنعم، وابن زيد بالقدرة، وتوسيط الواو بين غافر الذنب وقابل التوب لإفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل سبحانه توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنب كأنه لم يذنب كأنه قيل: جامع المغفرة والقبول." (١)

"أسلم، وثالثها العهود التي كانت تؤخذ في الجاهلية على النصرة والمؤازرة على من ظلم، وروي ذلك عن مجاهد، والربيع وقتادة وغيرهم ورابعها العهود التي أخذها الله تعالى على أهل الكتاب بالعمل بما في التوراة والإنجيل مما يقتضيه التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وروي ذلك عن ابن جريج وأبي صالح، وعليه فالمراد من الذين آمنوا مؤمنو أهل الكتاب وهو خلاف الظاهر، واختار بعض المفسرين أن المراد بها ما يعم جميع ما ألزمه الله تعالى عباده وعقد عليهم من التكاليف والأحكام الدينية، وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوهما مما يجب الوفاء به، أو يحسن دينا، ويحمل الأمر على مطلق الطلب ندبا أو وجوبا، ويدخل في ذلك اجتناب المحرمات والمكروهات لأنه أوفق بعموم اللفظ إذ هو جمع محلى باللام وأوفى بعموم الفائدة.

واستظهر الزمخشري كون المراد بها عقود الله تعالى عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه لما فيه- كما في الكشف- من **براعة الاستهلال** والتفصيل بعد الإجمال، لكن ذكر فيه أن مختار البعض أولى لحصول الغرضين وزيادة التعميم، وأن السور الكريمة مشتملة على أمهات التكاليف الدينية في الأصول والفروع. ولو لم يكن إلا تعاونوا على البر والتقوى واعدلوا هو أقرب للتقوى [المائدة: ٨] لكفى، وتعقب بما لا يخلو عن نظر.

وزعم بعضهم أن فيه نزع الخف قبل الوصول إلى الماء، وما استظهره الزمخشري خال عن ذلك. والأمر فيه هين، وفي القول بالعموم رغب الراغب- كما هو الظاهر- فقد قال: العقود باعتبار المعقود، والعاقد ثلاثة أضرب، عقد بين الله تعالى وبين العبد، وعقد بين العبد ونفسه، وعقد بينه وبين غيره من البشر، وكل واحد باعتبار الموجب له ضربان: ضرب أوجبه العقل وهو ما ركز الله تعالى معرفته في الإنسان فتوصل إليه إما

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٢/٢٩٦

ببديهة العقل، وإما بأدنى نظر دل عليه قوله تعالى: وإذ أخذ ربك من بني آدم [الأعراف: ١٧٢] الآية، وضرب أوجبه الشرع وهو ما دلنا عليه كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فذلك ستة أضرب، وكل واحد من ذلك إما أن يلزم ابتداء أو يلزم بالتزام الإنسان إياه، والثاني أربعة أضرب: فالأول واجب الوفاء كالنذور المتعلقة بالقرب نحو أن يقول: علي أن أصوم إن عافاني الله تعالى، والثاني مستحب الوفاء به ويجوز تركه كمن حلف على ترك فعل مباح فإن له أن يكفر عن يمينه ويفعل ذلك، والثالث يستحب ترك الوفاء به، وهو ما

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا حلف أحدكم على شيء فرأى غيره خيرا منه فليأت الذي هو خير منه وليكفر عن يمينه» ،

والرابع واجب ترك الوفاء به نحو أن يقول: علي أن أقتل فلانا المسلم، فيحصل من ضرب ستة في أربعة أربعة وعشرون ضربا وظاهر الآية يقتضي كل عقد سوى ما كان تركه قربة أو واجبا فافهم ولا تغفل أحلت لكم بهيمة الأنعام شروع في تفصيل الأحكام التي أمر بإيفائها، وبدأ سبحانه بذلك لأنه مما يتعلق بضروريات المعاش، والبهيمة- من ذوات الأرواح ما لا عقل له مطلقا، وإلى ذلك ذهب الزجاج، وسمي «بهيمة» لعدم تمييزه وإبهام الأمر عليه.

ونقل الإمام الشعراني عن شيخه علي الخواص قدس سره أن سبب تسمية البهائم بهائم ليس إلا لكون أمر كلامها وأحوالها أبهم على غالب الخلق لا أن الأمر أبهم عليها، وذكر ما يدل على عقلها وعلمها، وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى.

وقال غير واحد: البهيمة اسم لكل ذي أربع من دواب البر والبحر، وإضافته إلى الأنعام للبيان كثوب خز أي أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام، وهي الأزواج الثمانية المذكورة في سورتها، واعترض بأن البهيمة اسم جنس، والأنعام نوع منه، فإضافتها إليه كإضافة حيوان إنسان وهي مستقبحة، وأجيب بأن إضافة العام إلى الخاص إذا صدرت من بليغ وقصد بذكره فائدة فحسنة- كمدينة بغداد- فإن لفظ بغداد لما كان غير عربي لم يعهد معناه أضيف إليه مدينة لبيان." (١)

"وقرأ الأشهب العقيلي «إمة» بكسر الهمزة وتشديد الميم أي نعمة عليه بعد نعمة، والمراد بذلك خلاصه من القتل والسجن وإنعام ملكه عليه، وعلى هذا جاء قوله (١) :

ألا لا أرى إمة أصبحت به ... فتتركه الأيام وهي كما هي

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٢٢٣/٣

وقال ابن عطية: المراد به نعمة أنعم الله تعالى بها على يوسف عليه السلام وهي تقريب إطلاقه ولا يخفى بعده، وقرأ ابن عباس وزيد بن علي رضي الله تعالى عنهم- وأمة (٢) - وأمه بفتح الهمزة والميم المخففة وهاء منونة من أمه يأمه أمها إذا نسي، وجاء في المصدر- أمه- بسكون الميم أيضا فقد روي عن مجاهد وعكرمة وشبيل بن عزرة الضبعي أنهم قرؤوا بذلك ولا عبرة بمن أنكر، والجملة اعتراض بين القول والمقول، وجوز أن تكون حالا من الموصول أو من ضميره في الصلة، ويحتاج ذلك إلى تقدير قد على المشهور، وقيل: معطوفة على نجا وليس بشيء- كما قال بعض المحققين- لأن حق كل من الصلة والصفة أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصول والموصوف عند المخاطب كما عند المتكلم، ومن هنا قيل: الأوصاف قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها أوصاف، وأنت تعلم أن تذكره بعد أمة إنما علم بهذه الجملة فلا معنى لنظمه مع نجاته المعلومة من قبل في سلك الصلة أنا أنبئكم بتأويله أي أخبركم بتأويل ذلك الذي خفي أمره بالتلقي ممن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل أفتيكم في ذلك، وعقبه بقوله:
فأرسلون إلى من عنده علمه، وأراد به يوسف عليه السلام وإنما لم يصرح به حرصا على أن يكون هو المرسل إليه فإنه لو ذكره فلربما أرسلوا غيره وضمير الجمع إما لأنه أراد الملك وحده لكن خاطبه بذلك على سبيل التعظيم كما هو المعروف في خطاب الملوك، ويؤيده ما روي أنه لما سمع مقالة القوم جثى بين يدي الملك وقال: إن في السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا فابعثوني إليه فبعثوه وكان السجن- على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما- في غير مدينة الملك، وقيل: كان فيها، قال أبو حيان ويرسم الناس اليوم سجن يوسف عليه السلام في موضع على النيل بينه وبين الفسطاط ثمانية أميال، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال. وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن أنه كان يقرأ- أنا آتيكم- مضارع أتى من الإتيان فقيل له: إنما هو أنا أنبئكم فقال: أهو كان ينبئهم؟! (٣) ، وأخرج ابن المنذر وغيره عن أبي أنه قرأ أيضا كذلك. وفي البحر أنه كذا في الأمام أيضا يوسف أيها الصديق في الكلام حذف أي فأرسلوه فأتاه فقال: يا يوسف، ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما علمه وجرب أحواله في مدة إقامته معه في السجن لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره، فهو من باب **براعة الاستهلال**، وفيه إشارة إلا أنه ينبغي للمستفتي أن يعظم المفتي، واستدل بذلك على أنهما لم يكذبا على يوسف في منامهما وأنهما كذبا في قولهما: كذبنا إن ثبت. أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أي في رؤيا ذلك، وإنما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث إن مثله لا يقع في عالم الشهادة، والمعنى بين لنا مآل ذلك وحكمه، وعبر عن ذلك بالإفتاء، ولم يقل كما قال هو وصاحبه

أولا نبئنا بتأويله- تفخيما لشأنه عليه السلام حيث عاين رتبته في الفضل- ولم يقل: أفتني مع أنه المستفتي وحده إشعارا بأن الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بأمور العامة وأنه في ذلك

---

(١) وقوله ثم بعد الفلاح والملك والأمة ووارتهم هناك قبور اه منه.

(٢) أي جماعة من التابعين اه منه.

(٣) لعله لم يرد إلا مجرد ترجيح قراءته اه منه.." [١]

"تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا أي تعالى حل شأنه في ذاته وصفاته وأفعاله على أتم وجه وأبلغه كما يشعر به إسناد صيغة التفاعل إليه وهذا الفعل لا يسند في الأغلب إلى غيره تعالى ومثله- تعالى- ولا يتصرف فلا يجيء منه مضارع ولا أمر ولا ولا في الأغلب أيضا وإلا فقد قرأ أبي كما سيأتي إن شاء الله تعالى تباركت الأرض ومن حولها، وجاء كما في الكشف تباركت النخلة أي تعالت، وحكى الأصمعي أن أعرابيا صعد رابية فقال لأصحابه: تباركت عليكم، وقال الشاعر:

إلى الجذع جذع النخلة المتبارك وقال الخليل: معنى تبارك تمجد، وقال الضحاك: تعظم وهو قريب من قريب، وعن الحسن والنخعي أن المعنى تزايد خيره وعطاؤه وتكاثر وهي إحدى روايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثانيتهما أن المعنى لم يزل، ولا يزال وتحقيق ذلك أن تبارك من البركة وهي في الأصل مأخوذة من برك البعير وهو صدره ومنه برك البعير إذا ألقى بركه على الأرض واعتبر فيه معنى اللزوم فقيل براكاء الحرب وبركاؤها للمكان الذي يلزمه الابطال وسمي محبس الماء بركة كسدرة ثم أطلقت على ثبوت الخير الإلهي في الشيء ثبوت الماء في البركة، وقيل: لما فيه ذلك الخير مبارك ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهده فيه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة فمن اعتبر معنى اللزوم كابن عباس بناء على الرواية الثانية عنه قال: المعنى لم يزل ولا يزال أو نحو ذلك، ومن اعتبر معنى التزايد انقسم إلى طائفتين فطائفة جعلوه باعتبار كمال الذات في نفسها ونقصان ما سواها ففسروا ذلك بالتعالي ونحوه وطائفة جعلوه باعتبار كمال الفعل ففسروه بتزايد الخير وتكاثره ولا اعتبار للتغير المبني على اعتبار معنى اللزوم لقلة فائدة الكلام عليه وعدم مناسبة ذلك المعنى لما بعد، ومن هنا ردد الجمهور المعنى بين ما ذكرناه أولا وما روي عن الحسن ومن معه وترتيب وصفه تعالى بقوله سبحانه: تبارك بالمعنى الأول على إنزاله جل شأنه الفرقان لما أنه ناطق بعلو شأنه سبحانه وسمو صفاته وابتناء أفعاله

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٦/٤٤٣

على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وترتيب ذلك بالمعنى الثاني عليه لما فيه من الخير الكثير لأنه هداية ورحمة للعالمين، وفيه ما ينتظم به أمر المعاش والمعاد وكلا المعنيين مناسب للمقام ورجح الأول بأنه أنسب به لمكان قوله تعالى: ليكون للعالمين نذيرا فقد قال الطيبي في اختصاص النذير دون البشير سلوك طريقة **براعة الاستهلال**." [١]

"الكاتب: محمد توفيق صدقي

الدين في نظر العقل الصحيح

لصاحب التوقيع محمد توفيق صدقي

تتمة المقالة الثالثة

الرقيق وإصلاح حاله وتحريره

قضي على البشر أن يستعبد بعضهم بعضا من قديم الأزمان، فلم تخل أمة من الاسترقاق واختطاف الناس للتجارة فيها، عومل الرقيق بضروب من القسوة في سائر الشعوب بما يجعل وجه الإنسانية يحمر خجلا وقلب المؤمن ينفطر من الله وجلا، ولكن هكذا كان وهكذا حصل.

أتى الإسلام فرق لحالهم كما كان شأنه لجميع الضعفاء، منع الاسترقاق بتاتا إلا أن يكون في حرب شرعية مع قوم لم يؤمن أذاهم من غير المسلمين، وبهذه القاعدة سد أكثر ينابيعه وغلق أبواب الظلم والعدوان، أمر بالإحسان إلى الأرقاء ومعاملتهم بالرفق واللين، فقال: ﴿وبالوالدين إحسانا وبذي القربى﴾ (النساء: ٣٦) إلى أن قال: ﴿وما ملكت أيمانكم﴾ (النساء: ٣٦) ونهى عن لطم المملوك وضربه وجعل كفارة ذلك العتق، فقال عليه الصلاة والسلام (من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه) وليس هذا فقط، بل قال: (إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) وقال: (لا يقل أحدكم عبدي أمتي، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي) وحث على تهذيبهم وتعليمهم في مثل قوله: (من كانت له

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ٩/٤٢١

جارية فعلمها وأحسن إليها وتزوجها كان له أجران) هذا، وقد أمر الله تعالى
بتزويجهم، فقال في القرآن الشريف: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من
عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله﴾ (النور: ٣٢) .
وإذا افترش السيد أمته فولدت له كان الأولاد أحرارا ويرثون في أبيهم إلى
غير ذلك من القواعد العادلة التي لم تأت بها شريعة قط، وليس هذا كل ما فعله
الإسلام بأولئك الضعفاء، بل جعل تحرير الرقاب كفارة لكثير مما يقع من الإنسان
مخالفا للدين، حتى في أبسط المسائل كالحنث في الأيمان، فقال: ﴿لا يؤاخذكم
الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته﴾ (المائدة: ٨٩)
إلى أن قال: ﴿تحرير رقبة﴾ (المائدة: ٨٩) وليس هذا فقط، بل أمر بجمع
الأموال (الزكاة) من الأغنياء وصرف جزء منها في تحرير الرقاب ﴿إنما الصدقات
للفقراء﴾ (التوبة: ٦٠) إلى قوله: ﴿وفي الرقاب﴾ (التوبة: ٦٠) الآية،
وكرر حث ذوي اليسار على ذلك المرة بعد المرة: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله﴾ (البقرة: ١٧٧) إلى أن قال:
﴿وآتى المال على حبه ذوي القربى﴾ (البقرة: ١٧٧) إلى قوله: ﴿وفي الرقاب﴾ (البقرة: ١٧٧) وقال أيضا:
﴿فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة﴾ (البلد: ١١-١٣) إلى غير ذلك مما يطول شرحه،
أليس ما أتى به القرآن
منذ قرون هو ما تفتخر به المدنية الحديثة وتتيه إعجابا به؟
يزعم دعاة المسيحية أن ما قام به الأوربيون في الزمن الأخير هو من آثار
دينهم فيهم، ولكن الحقيقة أن ذلك نتيجة الرقي العقلي والعلمي الذي وصلوا إليه عن
قريب ولا دخل للدين فيه، وإلا فلماذا قضوا القرون العديدة في استعباد الناس على
أشنع الأحوال! !
وهل ورد في المسيحية كلمة واحدة عن تحرير الرقيق؟ الذي ورد فيها هو
أمر الأرقاء أن يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعون المسيح – عليه
السلام – وأن يبالغوا في حسن القيام بخدمتهم تمجيدا لتعاليمه عليه السلام، كما يقول
بولس في رسائله، وقد وافق على ذلك بطرس الحواري في رسالته الأولى حيث

أوصى العبيد بأن يخضعوا لساداتهم ويخشوهم فأين هذا من ذاك؟ وأين الثرى من الثريا. ولم لم يهتم المسيح بشأن العبيد! ويرق لحالتهم كما رق الإسلام وينه عن الاسترقاق متبعيه، أو يأمر باستعمال الرفق بهم واللين ولو بجملة واحدة؟ يقولون: إنه لم يأت ليسن شرائع أو ينسخ ما كان موجودا منها، ونقول ردا عليهم: لم حرم الطلاق والتزوج بالمطلقة والتعدد في الزوجات، أما كان يمكنه أن ينهى الناس عن استعمال القسوة على الأقل مع أولئك الضعفاء؟ وإذا قدر على الأول فكيف لم يقدر على الثاني مع أن الأول أشق على النفوس من الثاني [١] .

هذا والحق يقال: إن ما أتى به الإسلام لم يأت بمثله دين على وجه البسيطة ولو كان المسلمون في درجة الأوربيين مدنية وعلما لكانوا أولى الناس بذلك العمل العظيم وهو تحرير الأرقاء الذي لم يعرفه غير دينهم، ولكن قضى الله أن يكون المسلمون حجة على دينهم كما كان يقول حكيمنا الأستاذ الإمام قدس الله روحه.

***

أصناف آخرون رعاهم الإسلام بعين رعايته

(الفقراء والمساكين)

قضت الحكمة الإلهية أن يكون الناس مختلفين في الدرجات ما بين غني وفقير أو صعلوك وأمير إلى غير ذلك من أنواع الاختلافات التي قامت بسببها الأعمال في الأرض ودارت حركة الاشتغال وكثرت المنافسات في الحصول على العيش والارتقاء، جاء الإسلام فقرر هذه القاعدة العمرانية ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ (الزخرف: ٣٢) وخالف بذلك من أراد أن يجعل المعيشة اشتراكية لأن ذلك هدم للنظام ومدعاة للكسل وترك الأعمال وإيقاع للبشر في مهواة الفقر والفاقة والتقهقر، ولذلك لم ينجح ولن ينجح من حاول تبديل خلق الله ولكن من الاختلاف نشأ مرض التباغض في جسم الهيئة الاجتماعية فحقد الفقير على الغني وأراد به السوء، فأفهم الإسلام هؤلاء البائسين حكمة الله في ذلك وأمرهم بالتزام الصبر والرضا بقضائه ووعدهم خيرا في الآخرة، ثم عطف على الأغنياء وألزمهم أن يعطوهم شيئا من أموالهم مساعدة لهم في معاشهم، وكرر ذلك

المرة بعد المرة، حتى إنك قلما ترى سورة من القرآن خالية من ذلك (وآتوا الزكاة) فاستل بذلك ضغائن أهل الفاقة، ومحص صدورهم من الغل، فأي دواء أنجع من هذا؟ وأي دين أوجب ذلك كما أوجب القرآن وميز بين الصدقة والزكاة؟

(الأيتام)

لم يهمل الإسلام شأنهم، بل حافظ على حقوقهم وحرم اغتيال شيء من مالهم:

﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ (النساء: ١٠) ونهى عن إغضابهم وإذلالهم فقال: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ (الضحى: ٩) وحث على إطعامهم في نحو قوله: ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة *

يتيما ذا مقربة﴾ (البلد: ١٤-١٥) .

(ابن السبيل)

عندي أن اللقيط أجدر بهذا اللقب من المسافر وغيره، فإن لم يكن هو المراد بهذه التسمية وحده فليكن مما يدخل في عمومها، وإن كان اللقطاء في بلاد الإسلام قليلين وعليه يكون القرآن قد أمر بصرف جزء من الزكاة في تربيتهم وإعدادهم لأن يكونوا نافعين للمجتمع الإنساني، فأي شيء يفتخر به الغربيون لم يوجد في ديننا؟ وأي دين وجد فيه ما يمكن أن يفهم منه هذا المعنى بصراحة مثل ذلك؟ [*] .

***

الخمر والميسر ولحم الخنزير

نهى القرآن نهيا صريحا عن هذه الأشياء الثلاثة بما لا يقبل تأويلا، ولم يرد عن نبيه أنه حول الماء خمرا معجزة له ليشربه الناس، ولم يأت في عبادات الإسلام ما يشرب فيه الخمر على أنه دم الإله تعالى وحكمة تحريم الخمر والميسر لا تخفى على أحد، وأما لحم الخنزير فقد سبق أننا كتبنا في المنار في إحدى السنين الماضية ما فيه من المضرات التي هي علة تحريمه ونجاسته.

***

مصالح الدنيا

أباح القرآن بعد ذلك الطيبات أكلا وشربا وزينة ولباسا - اقرأ أوائل سورة

الأعراف – وأمر بالسعي والعمل وتصريف الأعضاء فيما خلقت لأجله ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ (الملك: ١٥) ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ (الجمعة: ١٠) فلم يحث على زهد أو رهبانية أو إخصاء أو نحو ذلك مما هو عقبة في سبيل الرقي والتقدم (انظر مثلا إنجيل متى إصحاح ١٩: عدد ١٠-١٢) .

وجملة القول: إن الإسلام لم يدع أصلا من أصول الإصلاح إلا أتى به، ولكن العمل بما قال به الفقهاء المقلدون لا بما دل عليه اللفظ والأسلوب في الكتاب ولا فضيلة إلا قررها فهو وحدة الدين الكامل بلا شك ولا مراء، ولا يراد بالدين والأنبياء إلا أن يكونوا كالطب والأطباء لأمراض الاجتماع، ولا يعرف قدر الدين إلا بقدر شفائه للأدواء، فهل هناك دواء شاف لمن تعاطاه غير الإسلام، لهذا أخذت الأمم تقرب منه يوما بعد يوم إلى أن يتحقق نبأ الغيب ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة: ٣٣) .

***

المقالة الرابعة وهي الخاتمة

(في رد بعض شبهات)

إذا قامت في نفس الإنسان شبهة ولم يمكنه أو لم يرغب إزالتها أعمته عن قوة البراهين، ولو كانت تلمس باليد وصارت عقبة في سبيل فهمه لها، وكلما ناداه منادي العقل والإنصاف أن أذعن، صاح به شيطان الشبهة أن لا تغتر، وإلى غير اعتقادك لا تركن، ولذلك تجده يقرأ من البراهين، ما هو آيات للمستيقنين، ولا يزداد إلا جمودا وللحق جحودا، فلهذا رأيت أن أختم مقالاتي السابقة برد ما أعلم أنه العقبة الكبرى أمام اقتناع الكثيرين ممن يقرأونها وهم غالبا صنفان، إما أن يكونوا ممن أثرت في عقولهم نظريات الماديين، وإما أن يكونوا من المسيحيين.

شبهتان للماديين في القرآن

أما الأولون فأعظم ما يشتبه عليهم ذكر قصة آدم في القرآن، وخلق العالم في ستة أيام؛ لأن ما عندهم من نظريات (داروين) وغيرها يحول دون التسليم بما

ورد في الكتاب، ولي كلمتان أقولهما لهذا الصنف من الناس (الأولى) أني أقر
وأعتقد أن مذهب (داروين) هو أسمى ما وصل إليه الفكر البشري لحل معميات هذه
المسائل (الآثار الجيولوجية) الأعضاء الأثرية، التشابه العظيم بين الحيوانات
وخصوصا بين أجنتها وغير ذلك من المسائل العلمية في عالمي الحيوانات والنباتات
التي لا يمكن تعليلها الآن بأحسن من هذا المذهب؛ ولكن لا ينتج من ذلك أنه هو
الحق الذي لا يصل البشر إلى تعليل آخر غيره، فكم من نظريات عمل بها العالم
أجيالا وقرونا في تفسير كثير من المسائل وقد اعتقدنا الآن خلافها، أما كنا في
الزمن الأول نعتقد أن العناصر أربعة فقط (الهواء، والنار، والماء، والتراب)
أما كنا نعتقد أن الأرض هي مركز العالم وأن الشمس والسيارات تدور حولها؟ أما كنا
نعتقد صحة خبطهم وخلطهم في أمزجة الإنسان وأسباب الأمراض ومعالجتها؟ أما
كنا نعتقد بكل هذه المسائل وغيرها ونظن أنها الحق الذي ما بعده إلا الباطل؟ فما هو
اعتقادنا اليوم؟ أترك القارئ ليتفكر في هذه المسألة وليستحضر في ذهنه تلك الدهور
الغابرة.
(الكلمة الثانية) لم يرد في القرآن الشريف نص قطعي على أن آدم أول بشر
خلق على وجه الأرض ولا على أنه أبو جميع الناس ولا على أنه خلق مباشرة من
التراب بل وجد فيه ما يشير إلى خلاف هذه المسائل ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إني
جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ (البقرة:
٣٠) فإن لم يكن قبله أحد فمن يخلف حتى سماه خليفة؟ ولو لم تشاهد الملائكة
إفساد الناس في الأرض وسفكهم دماء أنفسهم فمن أين علموا ذلك؟ ومثل قوله تعالى:
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (النساء: ١) اعلم أن القرآن كثيرا ما يخاطب العرب
دون غيرهم من الأمم كما في قوله ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف: ٢) فلا يتحتم أن يكون
المراد بكل خطاب للناس فيه جميع من على
وجه الأرض، وإنما هؤلاء قد يكونون مطالبين بالتبع للعرب المخاطبين ابتداء
على حد قول القائل: (إياك أعني واسمعي يا جارة) ومثل قول الخطيب لسامعيه:

يا أيها الناس لا تشربوا الخمر، مثلا فهو وإن كان يخاطب الحاضرين إلا أنه لا يقصد نهيهم وحدهم عن الشرب بل هم وجميع من على شاكلتهم، فكذا يجوز أن يكون الخطاب في هذه الآية التي نحن بصددها للعرب وإن كان غيرهم مطالبا بالتقوى مثلهم، وقد ورد في القرآن لفظ الناس لو لم يرد به إلا طائفة قليلة وذلك نحو ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ (البقرة: ١٣).

فالمراد بالناس هنا طائفة المؤمنين، وإذا تصفحنا القرآن وجدنا أن التكلم في أكثره مع العرب؛ إذا علمت هذا أقول (يا أيها الناس) أي العرب، و (من نفس واحدة) أي نفس أمهم لأن الأم هي الأصل المعول عليه ولها الحظ الأوفر في تكوين الإنسان، كما يتضح للناظر في العلوم الطبيعية؛ وإذا لا حظت أن هذه الآية هي أول سورة النساء أدركت ما فيها من حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال** ﴿وخلق منها زوجها﴾ (النساء: ١) أي من جنسها، كما في قوله تعالى: ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ (الروم: ٢١) أو باعتبار أن المرأة هي أصل الرجل، ولو كان المراد في مثل هذه الآية، أن آدم وحواء هما أصل جميع الأمم لما قال في آخرها ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (النساء: ١) بل كان يقول: (وبث منهما جميع الرجال والنساء) أو ما يفيد هذا المعنى من التعبير كما هو مقتضى السياق، ولكن عبارة القرآن الشريف صريحة في أن المبثوث منهما بعض الرجال وبعض النساء لا كلهم، هذا ولا مانع من أن يكون آدم وحواء هما أبوا العرب وبعض الأمم الشرقية، وأما غيرهم فلهم آباء آخرون، ولا يوجد في القرآن ما ينافي ذلك، وقد علمت أن هذه الآية على هذا التفسير فيها دليل لنا لا علينا إن قلنا بذلك المذهب مذهب دارون ولذا أوردناها في هذا المقام، واعلم أن القرآن قد يخاطب النبي فقط ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ (الطلاق: ١) وقد يخاطب العرب وقد يخاطب أولاد آدم ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم﴾ (الأعراف: ٣١) وقد يخاطب المؤمنين في زمن النبي ومع ذلك قد يريد بالخطاب من هم على شاكلة المخاطبين لا المخاطبين فقط ففي هذه الآية التي نحن بصددها وإن كان الخطاب لبني آدم على اعتقادنا إلا

أن المطالب بالتقوى جميع الناس، هذا وفي قوله تعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ (الأعراف: ١١) إشارة إلى أن الله تعالى خلق الناس أولا، ثم صورهم ثانيا، أي أحسن خلقتهم ثم أسجد الملائكة لبعض أفرادهم الذي اختاره أن يعمر بعض الجهات ويكون خليفة لقوم بادوا فيها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم * وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون﴾ (الحجر: ٢٦-٢٨) فكأنه يشير إلى أنه خلق الإنسان من الطين (وليس فيها دليل على أن ذلك مباشرة) ثم أمر الملائكة بالسجود لأحد أفراد الإنسان الذي خلقه مثلهم أولا من الطين الذي يترفع الملائكة عنه ويحتقرونه فكأنه يقول: أنا آمركم أن تسجدوا لهذا الفرد المخلوق من الطين كغيره من الناس الذين تحتقرونهم ولذلك كرر قوله: ﴿من صلصال من حمأ مسنون﴾ (الحجر: ٢٦)

وقد يتمسك البعض بقوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران: ٥٩) قائلا: إن كان آدم كسائر أفراد البشر مخلوقا من ذكر وأنثى على مذهب (داروين) فلم خص بالذكر دون أي فرد آخر، قلت: لأن الخطاب مع النصارى الذين يعتقدون بخلقة آدم من تراب مباشرة فأتاهم بما هو أعجب على حسب اعتقادهم كأنه يقول: إن كان آدم في اعتقادكم مخلوقا من أب ولا أم فكيف تعجبون ممن خلق بلا أب فقط.

فإن قيل: لم قال (عند الله) ولم يقل (عندكم) قلت: ليشعر بأن هذا التمثيل إن لم يكن مقبولا عندهم فهو عند الله مقبول، وكذا عند جميع المنصفين من الناس؛ لأن ما قبله تعالى فهو حق مقبول عندهم، كأنه قال: إن مثل عيسى كمثل آدم خلقه كما خلقه وإن لم تقبلوا هذا التمثيل فهو عند الله مقبول، ثم إن الضمير في قوله (خلقه) عائد على ما أرى إلى المسيح عليه السلام؛ لأنه هو موضوع الكلام أي أنه خلقه من تراب كما خلق آدم، ومن المعلوم أن المسيح لم يخلق مباشرة من التراب فيكون آدم مثله وعليه تكون هذه الآية أيضا لنا لا علينا إن قلنا بمذهب (داروين) ومعناها هكذا: إني آتيكم بمثل مقبول عند الله وإن لم تقبلوه وهو أن المسيح مخلوق

من تراب كأي فرد من أفراد البشر وأخص آدم بالذكر؛ لأنكم إذ اعتقدتم فيه هذا الأمر العجيب - وهو خلقه بلا أب ولا أم - كان الواجب أن لا تندهشوا من مسألة المسيح التي هي أقل غرابة من ذلك.

إذا علمت ذلك تحققت أن القرآن قد أشار إلى أن آدم أب لجميع البشر الموجودين الآن وليس هو أول من خلق، ولم يخلق مباشرة من تراب، وعليه يكون جميع ما ورد في القرآن بشأنه سهل التفسير بما ينطبق على مذهب (داروين) تماما.

وأما خلق العالم في ستة أيام فقد ورد في القرآن أن اليوم عند الله آلاف من السنين ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ (الحج: ٤٧) وقال أيضا: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (المعارج: ٤) فيجوز أن يكون المراد بهذه الأيام الستة آلافا من السنين [**] .

***

شبهات النصارى في القرآن

وأما الصنف الثاني وهم المسيحيون، فلهم شبهات:

الأولى: أن القرآن قد أخذ ما أتى به من الأمم الأخرى ويستشهدون على ذلك بما يوجد فيه مشابها أو مماثلا ما عند غيرنا من القصص أو العبادات أو العقائد أو غير ذلك، ولكني أذكرهم بثلاث مسائل:

١- أن القرآن أتى ليصلح ما كان فاسدا عند الأمم لا لأن يزيله كله ويأتي بشيء جديد من الأول إلى الآخر. كلا بل إذا وجد حسنا أبقاه وإذا وجد قبيحا محاه.

٢- أن القرآن نص على أن الله بعث لكل أمة رسولا في عدة مواضع منه منهم من نعرف ومنهم من لا نعرف، وإذا وجد عند هؤلاء الأمم شيء من القصص الصحيحة والعقائد الحقيقية والعبادات، فإن وافق عليه القرآن فما ذلك إلا لأنها وحي من عند الله لهؤلاء الناس، وإن خالف شيئا منها فما ذلك إلا لوقوع الغلط فيها على ممر الأزمان، وإن رد عليها فما ذلك إلا لأنها مما افترته الناس على الله.

٣- إذا صح ذاك التعليل فيما أتى به القرآن مماثلا ما عند الناس فماذا يقولون فيما يوجد فيه مما لم يأت به دين آخر ولم يعرفه أحد إلا في الأيام الأخيرة وقد فصلنا ذلك

في المقالات السابقة.

(الشبهة الثانية) ورد بعض غلطات في القرآن على زعمهم، ولا حجة لهم على ذلك إلا مقارنة القرآن بكتبهم، فإن وجدوه موافقا في شيء قالوا: أخذه منها وإن خالف قالوا أخطأ، وإن أتى بما لم يعرفوه قالوا اخترع، فتعسا لحجتهم المضحكة.

نحن لا نريد أن نطيل الكلام معهم في هذا الباب ولكنا نطالبهم بأن يجيبونا عن هذه المسائل الثلاث بما يقتنعون به هم أنفسهم اقتناعا حقيقيا بدون رياء أو مكابرة:

١- أن يثبتوا بالبرهان القاطع صحة نسبة هذه الكتب إلى من نسبت إليهم.

٢- وأن كاتبيها موحى إليهم من الله وأنهم لم يخطئوا في شيء كتبوه.

٣- وأنها وصلت إلينا كما كتبها هؤلاء بدون تحريف لا بالزيادة ولا بالنقص ولا بالتبديل.

نحن نعلم وكل الناس يعلمون إلا الجاهلين أن في هذه الكتب عبارات تدل على أن كاتبيها ليسوا من نسبت إليهم ولنضرب مثلا واحدا (إصحاح ٣٤: ٥ و ٦) من سفر التثنية يدل على أن الكاتب لم يكن موسى، وإن قيل أن أحدا أضافها فمن هو حتى نثق بأقواله؟ وكيف يضيف إلى كتاب الله ما لم يكن منه؟ وإذا أمكن مثل هذه الإضافة فلم لم يمكن إضافة غيرها مما لم ينزله الله؟ ثم نسألهم كيف ألف الناس كتبا كثيرة ونسبوها إلى الموحى إليهم كذبا؟ كيف ميزتم الكتب الصادقة من الكاذبة وما هي حججكم؟ لم رفضت بعض الطوائف ما سلمته الأخرى؟ بماذا اعتقدتم أن كاتبيها ملهمون من الله، هل للخوارق التي يتناقلها جميع الأمم عن مؤسسي دينهم بل وعن غيرهم كالصالحين والأولياء والقديسين أم لماذا؟ أولم يقعوا في الغلط؟ مع أننا نجد أنهم كانوا يفسرون الأشياء على غير حقيقتها كتفسير كثير من الأمراض بتأثير الشياطين، وكظنونهم في قوس قزح الذي برهن العلم أنه موجود منذ وجد السحاب والنور وأنه نتيجة انكسار النور في مثل الماء أو البلور.

نحن نعلم وأهل العلم يعلمون أن هذه الكتب مملوءة بما يسمونه غلط الكاتب، وفيها من الفقرات الزائدة والناقصة ما يدهش ذوي الألباب وفيها من التناقض ما يحير العقول، ولنضرب مثلا لكل، أما مثل غلط الكاتب فما ورد في السفر الثاني

للأيام إصحاح (١٦- ١) إذا قورن بالسفر الأول للملوك (١٥-٣٣) ومثل الزيادة ما ورد في رسالة يوحنا الأولى (٥-٧) التي فيها إشارة صريحة لعقيدة التثليث ومثل التناقض ما في الإصحاح ٩ عدد ٧ من كتاب الأعمال والإصحاح ٢٢ عدد ٩ من نفس الكتاب إذ يقول في الأول أن الذين معه سمعوا الصوت وفي الثاني أنهم لم يسمعوا الصوت، فإذا جاز أن يكون الكاتب أخطأ في النسخ وانتشر خطأه في جميع النسخ فكيف لا يجوز أن يكون حرف شيئا وانتشر كذلك؟ ! وإذا جازت الزيادة في الفقرات والنقص فيها، فكيف نأمن أنه لم يزد أو ينقص ما يخل بالمعنى؟ وإذا وجد التناقض فيكف نرجح الصحيح على الباطل؟ هذا هو حال الكتاب الذي يتخذونه ميزانا لكتاب الله تعالى وشتان ما بين هذا وذاك.

وإننا نؤيد قولنا بإيراد أربعين شاهدا من هذه الكتب على وجه الاختصار الذي لو راجعته لوجدته إما خطأ وإما تناقضا، وإما زيادة، وإما دليلا على أن المؤلف ليس من نسب إليه الكتاب إلى غير ذلك من الدلائل على فساد هذه الكتب وإذا لم تفهم بعض ما أشير إليه من عباراتها فطالع أحد التفاسير لتفهم غرضي لأني لا أريد ذكرها بالتفصيل والتكلم عليها خوفا من التطويل الممل فلذا أكتفي بالإشارة إلى أماكنها وأترك الباحث وراء الحق يبحث كما شاء وهي هذه:

أربعون شاهدا من (الكتاب المقدس) عندهم على تناقضه واختلاله:

١- رسالة يوحنا الأولى ٥: ٧

٢- تيموثاوس الأولى ٣: ١٦

٣- أكو ٥: ١٥ ومر ١٦: ١٤

٤- أعمال ٧: ٩ و ٢٢: ٩

٥-أعمال ٢٢: ١٠ و ٢٦: ١٦

٦- يوحنا ٣: ١٣

٧- يوحنا ٢: ١٩ ومتى ٣٦: ٦٠ و ٦١

٨- يوحنا ٥-٣١و ٨-١٤

٩ - مرقس ١٦-١٦و ٢ويوحنا٢٠: ١

١٠- مرقس ٢-٢٦

١١- مرقس ١٠-٤٦ ولوقا ١٨-٣٥

١٢- مرقس ٦-٨ ولوقا ٩-٣

١٣- متى ٢٧-٩

١٤- متى ١٢-٤

١٥- متى ٦-١٣

١٦- متى ١٩-٢٨

١٧- متى ٥-٢و ١٧و١٨

١٨- متى ٥-١٧و ٣١ و ٣٢ و ٣٨ و ٣٩

١٩- متى ١٦-٢٧ وأيو ٢: ١٨ وأتسا ٤-١٥و ١٧و١٨ وأكو ١٠-١١
ومتى ٢٤: ٣٤

٢٠- متى ١-١٢

٢١- متى ١-١١و١٧

٢٢- متى ٩: ١٨ومرقس ٥-٢٣

٢٣- دانيال ٩-٢٤

٢٤- حزقيال ٤٥-و٤٦ وسفر العدد ٢٨و٢٩

٢٥- حزقيال ١٨-٢٠ وخروج ٢٠-٥

٢٦- أرميا ٥٢-١-٣٤

٢٧- نحميا ١٢-١-٢٦

٢٨- ٢ ايام ١٥-١٩ وا ملو ١٥-٣٣

٢٩ - ٢ أيام ٢٢-١وملو ٨-٢٦

٣٠ -٢ أيام ٢٢-٢و ٢ ملو ٨-٢٦

٣١- ١ أيام ١٩-١٨و٢صمو ١٠-١٨

٣٢- ١أيام ١٨-٤و ٢ صمو ٨-٤

٣٣- يشوع ١٠: ١٣ وتكوين ١٤: ١٤ (انظر ٢ صمو ١: ١٧ وقضا ١٨: ٢٩)

٣٤- يشوع ١٥: ٦٣ (انظر صموئيل الثاني ٥: ٦ - ٨)

٣٥- يشوع ٢٤: ٢٩- ٣١

٣٦- تثنية ٢٣: ٢و٣

٣٧- تثنية ٣٤: ٥ - ١٠

٣٨- خروج ١٢- ٤٠

٣٩- تكوين ٤٦: ١٥

٤٠ - تكوين ٣٦: ٣١- ٣٩

ناهيك بما في هذه الكتب من الغلط والخطأ في المسائل العلمية والأخلاقية والاعتقادية، وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

... ... (محمد توفيق صدقي)

(المنار)

إن ما ذكره في كون آدم ليس أول البشر على الإطلاق موافق لمذهب الصوفية الذي يؤيدونه بالكشف كما يعلم من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي.

وللمقالة بقية.

((يتبع بمقال تال))

---

(١) المنار: كان سكوت المسيح عن مثل هذا لأن الأمة لم تستعد له مع علمه بأن الدين الأخير سيبينه في وقته وقد عبر عن رسول هذا الدين بقوله: روح الحق الذي يبين لكم كل شيء.

(*) المنار: جاء في آية مصارف الزكاة ذكر ثمانية أصناف منها أربعة ذكرت بلام الملك [إنما الصدقات للفقراء والمساكين] (التوبة: ٦٠) إلخ والباقيات ذكرت هكذا [وفي سبيل الله وابن السبيل] (التوبة: ٦٠) والحكمة في ذلك أن الأصناف الأولى يملك أفرادهم نصيبهم من الزكاة، وأما الأربعة الباقية فهي من المصالح العامة التي يصرف المال فيها ولا يملكه أفراد الآخذين وقد فسروا (في سبيل الله) بالجهاد وزاد بعضهم الحج والأستاذ الإمام يقول: (إنه يشمل غير ذلك من المصالح العامة كبناء المدارس والمستشفيات) وهو على كل حال ليس مما يملكه أفراد معينون بل يشتري به السلاح وتقام به الحصون وتنشأ به الأساطيل إلى غير ذلك مما يتوقف عليه الجهاد، فلذلك عبر عنه بقوله: (وفي سبيل الله) ولما عطف عليه (ابن السبيل)

كان من مقتضى الأسلوب أن يكون هذا من المصالح فلو كان ابن السبيل خاصا بالمسافر الذي ينقطع في سفر كما يقول الفقهاء لعطفه على الفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والغارمين، فعلم من هذا أن ابن السبيل في قوله تعالى: ﴿وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ (التوبة: ٦٠) يجب أن يكون من المصالح التي ينفق فيها المسلمون ولفظ ابن السبيل وحده يدل على من لم يعرف له أصل ينسب إليه فنسب إلى الطريق الذي وجد فيه، وهو أظهر في اللقيط منه في المنقطع في سفره الحلال كما قال الكاتب.

(**) المنار: اليوم في اللغة هو الزمن فالستة الأيام هي ستة أزمنة انتقلت بها السموات والأرض من طور إلى طور حتى تم خلقهما على هذه الصفة المشاهدة كما أوضحنا ذلك في المجلد السادس ... ... (ص٣٣١) .." [١]

"الكاتب: حسين وصفي رضا

تقريظ المطبوعات الجديدة

(تقرير السر ألدن غورست سنة ١٩٠٩)

أصدرت إدارة جريدة المقطم هذا التقرير منذ أكثر من شهر مترجما بالعربية حسب عادتها وقد أهدت إلينا نسخة منه ضاق المنار الخامس عن الكتابة عنها، وهذا التقرير حافل بالتفصيلات عن إدارة القطر المصري وروح الأعمال فيه، وقد سرنا من هذا التقرير الفصل المعقود عن حال المعارف في القطر المصري ونماء حركة التعليم ووفرة عدد الطلاب وكثرة الكتاتيب والعناية بتعليم العلوم باللغة العربية بالتدريج مما يدل على أن هذا القطر السعيد ستكون بحار العلم فيه زاخرة وثماره يانعة إن شاء الله تعالى.

تقدم العلم في هذه البلاد نام سريع، ولا نريد بتقدم العلم توفيق قومنا للاختراعات المفيدة والاكتشافات الجيدة، وإنما نريد كثرة سواد طلاب العلم والراغبين فيه، فإننا لسوء الحظ لا نزال بعداء عن الوصول إلى هذه الغاية على أننا سائرون في الطريق وعلى الله قصد السبيل، وإنه ليحزننا أن تكون

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٧٢١/٨

التربية في ارتكاس وانتكاس وتدل وانحطاط، وليس العلم بملبغ إيانا أملا إذا لم نترب تربية صحيح تغرس في نفوسنا عشق الفضيلة وحب الخير لكل البشر وغير ذلك من الشيم التي تنطوي تحت هاتين الكلمتين الكبيرتين، وإنه ليؤلمنا أن تكون مدارس الحكومة والمدارس الأهلية شرعا في إهمال أمر التربية وعدم العناية بشأنها اللهم إلا مدارس الأجانب التي تخلق تلاميذها بأخلاق يخرجون بها من قوميتهم ونحلهم فيكون الخسار بذلك عليهم وعلينا. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فتن قومنا بالسياسة فصرفتهم أكاذيبها عن العمل النافع لهذه الأمة التعسة وصدفت بهم عن الطريق المعبد والسبيل اللاحب، فتاهوا في بيداء طامسة الصوى والأعلام، وأوغلوا في تأويل الرؤى والأحلام، وخدعوا الناس بزهوالقول وزخرف الوعود دون الحث على القيام بالأعمال الجسام، اللهم عون، وغفرا، هل جنى من قبلنا من السياسة ما كان يطمحون إليه حتى تكون لنا أسوة حسنة بهم فنجد في السير على آثارهم ونقتفي سيرتهم فتكون متابعتنا لهم حذوالقذة بالقذة؟! اللهم لا.

فنهضة أيها القوم وأوفضوا سراعا وانسلوا من كل حدب إلى مهيع العلم الصحيح والتربية الصالحة، ولا يتم ذلك إلا بنشر التعليم الأهلي، وإن أهل الثراء وعاضدي العلم كثيرون بحمد الله في هذه البلاد، ولا نرى أنهم يرتضون لأنفسهم أن يكونوا دون جمعية الغسالات في فرنسا التي أنشأت مدارس كثيرة، أو دون تلك الفتاة الأمريكية التي أسست إحدى عشرة مدرسة كلية.

ولعلنا ننشر الفصل الذي في التقرير عن المعارف في المنار السابع.

***

(مبادئ الفلسفة القديمة)

مجموعة فيها كتاب (ما ينبغي أن يقدم قبل تعليم فلسفة أرسطو) وكتاب (عيون السائل في المنطق ومبادئ الفلسفة) تأليف أبي نصر الفارابي الفيلسوف الإسلامي الشهير من أهل القرن الرابع عنيت بنشرها المكتبة السلفية لصاحبيها محب الدين أفندي الخطيب وعبد الفتاح أفندي القتلان، طبعت بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣٢٨ وعدد صفحاتها ٣٥ وثمنها قرشان ونصف قرش، وتباع بمكتبة المنار

وبالمكتبة السلفية بمصر.

أهدت إلينا المكتبة السلفية هذا الأثر القديم لأحد فلاسفة الإسلام الأعلام مصدرا بترجمة حفيلة للمؤلف فيها بيان أصله ومنبته وطلبه للعلم، وحكاياته مع معاصريه من العلماء والأمراء، وذكر ملخص تأريخ الفلسفة في زمانه ومنحاه في الفلسفة، وبيان مصنفاته، وغير ذلك من الأشياء التي تعرف بالمؤلف تعريفا تاما ومما جاء فيها بعنوان (فلسفته) ؛ أي: فلسفة المؤلف ما نصه:

(ولم يكن للفارابي فلسفة خاصة به، أومذهب فيها أثر عنه، وغاية ما يمكننا التوسل به للوصول إلى معرفة آرائه ومبادئه هو مصنفاته التي كان أكثرها في الرقاع والكراريس المبعثرة والفصول والتعاليق كما ذكرنا.

ومن أهم ما صنفه كتاب في (إحصاء العلوم) والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، وقد قسم الفارابي العلوم في هذا الكتاب المختصر إلى ستة أقسام:

١- علوم اللغة

٢-علم المنطق وفيه الخطابة والجدل

٣- الرياضيات وتشمل الهندسة والحساب ومبحث النور وفن النجوم والموسيقى وجر الأثقال والأحجام، ويدخل في علم النجوم مباحث الفلك والتكهن والأحلام وعلم الجو والهواء.

٤-العلوم الطبيعية وهي عشرة.

٥- العلوم المدنية وتشمل القضاء والخطابة.

٦- علم الكلام وما وراء الطبيعية.

وهذا التقسيم كثير أوجه الشبه بتقسيم العلوم الذي اصطلح عليه علماء أوربا في العصور الأخيرة، والفارابي كما ترى يقدم المنطق والرياضيات وأكثر العلوم الطبيعية المحضة فالعلوم الاجتماعية، ويلاحظ قراء كتب الفارابي أنه قد ألم بالتمييز بين الأصول والفروع وذلك ما أسس عليه خطته في تقسيم العلوم ثم هذبه هربرت سبنسر ونقحه.

نقلنا هذه الفقرة؛ ليطلع عليها أهل الجمود الذين باتوا يحرمون ممارسة هذه العلوم والتوفر على دراستها؛ عسى أن يتزحزحوا عن مواقف جمودهم فيخرجوا من مأزق مناقشاتهم وتمحلاتهم النظرية إلى فضاء العلوم الصحيحة الدينية العلمية والدنيوية العملية، وإذا كان يعز عليهم احتذاء الأوربيين فلهم أسوة حسنة بأسلافهم العاملين.

والكتاب مفيد في بابه بل لا نظير له فهو كفهرس جامع لتعريفات الفلسفة القديمة وشرح وجيز لأصولها وله فهرس حاو لأسماء الأماكن والأعلام الواردة في الكتاب. وهذا من محسنات الكتاب، ومنها جودة الطبع والترتيب. فنحث الراغبين في تعرف الفلسفة القديمة على اقتنائه.

***

(القطار السريع لعلم البديع)

رسالة مختصرة في علم البديع ألفها حفني بك ناصف القاضي بالمحاكم الأهلية ومدرس علم الأدب بالجامعة المصرية تحقيقا لرغبة بعض طلاب مدرسة الحقوق.

وقد اختار المؤلف شرح بديعية تقي الدين لمكانتها من الشهرة ومنزلته بين الأدباء؛ ولأن في أبياتها ذكر الأنواع البديعية، مثال ذلك قوله في مطلعها مشيرا إلى حسن الابتداء **وبراعة الاستهلال:**

لي في ابتدا مد حكم يا عرب ذي سلم ... براعة تستهل الدمع كالديم

وقد أعجبنا هذا الكتاب أكثر من كل كتب البديع التي رأيناها فهو مختصر مفيد (إن لم يحفظ على الغيب، فإنه يوضع في الجيب) كما قال مؤلفه، ويمكن للطالب أن يضرب بسهم في علم البديع إذا قرأ هذا الكتاب فهو يغنيه عن الأستاذ.

أنا من كارهي علم البديع لا من محبيه ومع ذلك فإني أرى معرفته ضرورية لممارسي العلوم العربية؛ لأنه حلقة من سلسلتها فلا يحسن أن يبقى طالب هذه العلوم في محارة من فقدان هذه الحلقة ويصبح كمنتحلي مذهب دارون مضطربا متلمسا لحلقته المفقودة، على أن حفني بك قد أشرع السبيل للرغاب في علم البديع وأدناهم من هذه الحلقة، ولكن من أين للداروتيين بحفني بك آخر يدينهم من منتآهم الواسع.

وقد نشر هذه الرسالة السيد حسين رافع وطبعها طبعا متقنا وجعل ثمنها قرشا ونصف قرش. وتطلب من المكتبات المشهورة.

***

(الاستمناء)

ماذا يقول الملاحدة والكافرون بالله تقليدا في أمراض الأفراد والأمم الأدبية، وما رأيهم في علاجها يا ترى؟ هل يستسهلون الزعم أن تبيين أضرار هذه الأمراض وسوء عاقبتها للمبتلين بها يأخذ بشكائم نفوسهم ويزجرهم عنها؟! إن كانوا يزعمون هذا – وهم زاعمون – فلا مشاحة في أنهم مكابرون للحق مدابرون.

لا ريب في أن الاستمناء من أفتك تلك الأمراض الأدبية في عقول الشبان وجسومهم، ولئن انتهى عن ممارسته منته بتبيين ضرره في جسمه وعقله فقد يزدجر بإزائه مائة ممن تأدبوا بآداب الدين وتخلقوا بأخلاقه فالدين وحده هو العلاج الشافي من هذه الأمراض الوبيلة، لا سيما وأن الشبان يؤتون من ناحية الوجدان لا من ناحية الإقناع والبرهان وهم المبتلون بهذه العلة التي تتأصل في كثيرين منهم تأصلا ينتهي بموته أو جنونه، لذلك كان حقا على مؤلف هذا الكتاب (الاستمناء) الدكتور هـ. فورنيه، أو مترجمه بالعربية الدكتور مقصود أن يشير إلى نهي الدين عن الاستمناء وإيعاد مزاوليه بأشد العقوبات، والنصوص مستفيضة في الدين الإسلامي على تحريم الاستمناء وعده من الموبقات الكبائر، ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن الكتاب فني صحي؛ فإن الغرض منه الفائدة لا الدراسة.

وفي الكتاب فوائد كثيرة أبلغها عظة ذكر مصير ممارسي الاستمناء، وما مصيرهم إلا الموت بالسل أو بعد الجنون المطبق وهم في زهرة الشباب ونضارة العمر، وقد انتقدنا في هذا الكتاب ذكر طرق الاستمناء الكثيرة التي يتعلم منها الشبان ما كانوا يجهلون، هذه غائلتها فما فائدتها؟!

وهو يباع بعشرة قروش صحيحة في جميع المكتبات.

***

(القضاء والنواب)

كراسة صغيرة تقع في ١٨ صفحة بحجم المنار لمؤلفها شكري أفندي العسلي الدمشقي (قائمقام) الناصرة. ألم فيها بتأريخ القضاء في الإسلام وأدواره وأقسامه بعد بحث ودرس. قال: (وقد أنشأت هذه المقالات بعد أن طالعت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين وتكملته والأشباه والنظائر والأحكام السلطانية وتاريخ الطبري وتاريخ الكامل لابن الأثير ورحمة الأمة في اختلاف الأئمة والميزان للشعراني وسراج الملوك وغيرها) .

وهي مفيدة في بابها فنشكر للمؤلف صنعه ونحمده على هديته.

***

(معنى الحياة)

كتاب لطيف الحجم والشكل يقع في ١٥٠ صفحة بالقطع الصغير تأليف اللورد أفبري من أعضاء مجلس الأعيان الإنكليز وقد عني بترجمته بتصرف وديع أفندي البستاني، أودعه مؤلفه نصائح لنابتة قومه؛ ليكونوا باتباعها سعداء في الحياة الدنيا، ومن آكد تلك النصائح وأجلها تربية قوة الإرادة وصدق العزيمة والشجاعة والثبات وغير ذلك من كرائم الأخلاق وفضائل الشيم التي يستفيد ذووها ويفيدون، وقد أرشد إلى فوائد مراعاة الاقتصاد واحتجان الأموال وكون هذين هما أساس مجد الأمم، وقد أنكرنا على المتجر ترجمته لبعض الفصول بالشعر، وتمنينا لو كان أحكم إنشاء وأصح عبارة، ويطلب من مكتبة المعارف بمصر وثمنه ثلاثة قروش صحيحة.

***

(النصيحة الإحسانية)

قصيدة طويلة للسيد عبد الله بن علوي بن عبد الله العطاس يحث فيها على ممارسة العلوم والأعمال العمرانية، وحبذا هذا الصنع من الأستاذ الناظم وعسى أن يكثر من هذا النصائح نظما ونثرا.

***

(الاتحاد الإسلامي)

جريدة إنكليزية أصدرها في طوكيو عاصمة اليابان أحمد أفندي فضلي الضابط

بالجيش المصري قبلا ومحمد بركة الله أفندي الروسي. وقد أخذا على عاتقهما تفهيم اليابانيين حقائق الإسلام، فنعم العمل عملهما، وحبذا الصنع صنعهما. وقيمة اشتراكها شلنان في العام أوعشرة قروش صحيحة، وهي قيمة تافهة لا تكاد تفي بنفقات البريد فنحث القراء على الاشتراك فيها ومساعدتها بما في الإمكان.

حسين وصفي رضا

---

(١) المنار: الصواب أن يقال: استبدال (خيالة) بكلمة (سينماتوغراف) .." [1]

"يجدون من الصور الحاضرة بسبب الصنعة أو التوغل أو الألفة أو الأحتياج، ولا أقل من لف منديل من تلك الصنعة برأسه، أو الانصباغ بلون ما. وما تجده في ديباجة الكتب من **براعة الاستهلال** من اظهر امثلة هذه المسألة.

ثم ان اسلوب الكلام قد يكون باعتبار خيال المخاطب كما في أساليب القرآن الكريم فلا تنس. ثم ان مراتب الاسلوب متفاوتة فبعضها ارق من النسيم اذا سرى يرمز اليه بهيئات الكلام. وبعضها اخفى من دسائس الحرب لايشمه الا ذو دهاء في الحرب؛ كاستشمام الزمخشري (١) من (من يحيي العظام وهي رميم) (٢) اسلوب "من يبرز الى الميدان". وان شئت فتأمل في الآيات المذكورة تر فيها مصداق هذه المسائل بألطف وجه. وان شئت زر الامام البوصيري (٣) وانظر كيف كتب "رجتته" (٤) باسلوب الحكيم في قوله:

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم

ورمز الى الاسلوب بلفظ الحمية. او استمع هدهد سليمان كيف أومأ الى هندسته (٥) بقوله: (الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض) (٦) .

المسألة الرابعة:

اعلم! ان الكلام انما يكون ذا قوة وقدرة اذا كان اجزاؤه مصداقا لما قيل:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

(١) هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى جار الله. ولد بزمخشر سنة ٤٦٧هـ، توفي بعد رجوعه من مكة المكرمة سنة ٥٣٨هـ. إمام عصره في اللغة والتفسير، له "الكشاف عن حقائق التنزيل " و

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٤٥٩/١٣

"الفائق في غريب الحديث " و "المفصل في النحو " و "اساس البلاغة " وغيرها.

(٢) سورة يس: ٧٨.

(٣) (٦٠٨ - ٦٩٨هـ) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله البوصيري المصري. شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني، له ديوان شعر مطبوع، واشهر شعره البردة المشهورة بـ "بردة المديح " (كشف الظنون ١/٢٨٨ الاعلام ٦/١٣٩) .

(٤) وصفة طبية.

(٥) ومعرفته الماء تحت الارض (الكشاف) .

(٦) سورة النمل: ٥٢.." [١]

"(الألفاظ الكتابية - ط) وله (صفو الراح من مختار الصحاح - خ) معجم، في دار الكتب (١) .

أبو الوجاهة المرشدي

(٩٧٥ - ١٠٣٧ هـ = ١٥٦٧ - ١٦٢٨ م)

عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، أبو الوجاهة العمري المرشدي: مفتي الحرم المكي، وأحد الشعراء العلماء في الحجاز. ولد بمكة وولي ديوان الإنشاء في ولاية الشريف محسن بن الحسين ابن أبي نمي، وإمامة المسجد الحرام وخطابته والإفتاء السلطاني سنة ١٠٢٠هـ ومات الشريف محسن فخلفه الشريف أحمد بن عبد المطلب، فقبض على المرشدي ونكبه، فتوفي في سجنه مخنوقا. من كتبه (زهر الروض المقتطف ونهر الحوض المرتشف) في التاريخ، و (الترصيف في فن التصريف) أرجوزة في علم الصرف، طبعت مع شرحها المسمى (فتح الخبير اللطيف) وله (شرح المرشدي على عقود الجمان - ط) في المعاني والبديع والبيان، للسيوطي، جزآن، و (تعميم الفائدة بتتميم سورة المائدة) و (الوافي في شرح الكافي - خ) في العروض، و (مناهل السمر في منازل القمر) رسالة، و (**براعة الاستهلال** وما يتعلق بالشهر والهلال - خ) و (التذكرة - خ) في خزانة الرباط (٤٤٩ كتاني) (٢) .

---

(١) الإعلام لابن قاضي شهبة - خ. وفهرست ابن النديم ١٣٧ ومعجم المطبوعات ١٨٩٧ ومكتبة الأوقاف العامة ١٤٦ ودار الكتب ٢: ٢٠ ومشاركة العراق، الرقم ٤٣٩ وفيه أن كتاب (الألفاظ الكتابية)

---

(١) إشارات الإعجاز بديع الزمان النورسي ص/١٢١

طبع وهما بعنوان (ألفاظ الأشباه والنظائر) ونسب إلى عبد الرحمن الأنباري.

قلت: انظر دار الكتب ٢: ٤.

(٢) خلاصة الأثر ٢: ٣٦٩ - ٣٧٦ ونظم الدرر - خ. ونزهة الجليس ٢: ١٨٣ - ١٩٧ ومعجم المطبوعات ١٧٣٣ وإيضاح المكنون ١: ٢٩٩ وفهرست الكتبخانة ٥: ٢٢٩ ودار الكتب ٢: ٢٤٥.." [١]

"بهذا تبين لنا كيف أن كل سورة منها قد اختصت بغيرما اختصت به الأخرى من مقتضيات الحمد، وكيف أنها رتبت ترتيبا محكما، فكانت (أم الكتاب) جامعة للمحامد وكانت الأنعام للإيجاد الأول الذى يسبق الإبقاء الأول الذى كانت له (الكهف) وكان الإيجاد الثانى بسورة (سبأ) وكانت آخر السور الخمس (فاطر) للنعمة العظمى والأخيرة (الإبقاء الثانى) . (١)

وبهذا يتبين لك عظيم دلالة الاستهلال على المقاصد المتصاعدة في السياق القرآني، فلا يكون بملك أحد من العالمين أن يقدم سورة على أخرى ﴿قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ (النساء: من الآية٧٨)

(بيان الفصل بين هذه السور)

قد يكون الالتفات إلى دلالة استهلال هذه السور بالحمد ميسرا، فينبعث القلب إلى التبصر والتدبر، غير أن من اللطافة بمكان فصل السياق الترتيلى بين سورة (الفاتحة) وسورة (الأنعام) بأربع سور: (البقرة،وآل عمران، وان نساء، والمائدة) وهي جميعها مدنية بين مكيتين

---

(١) –كنت قد تناولت شيئا من القول في استهلال هذه السور الخمس بالحمد في فصل من فصول بحثي لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) سنة: ١٤٠٣هـ، وهي لما تنشر في الناس بعد =؟ ؟ == فراجعه في كلية اللغة العربية بالقاهرة إن احببت، أوراجع كتابي: (الإمام البقاعي: جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم) وهومنشور، وأنا أشرف الآن على دراسة للعالمية (الدكتوراه) في بلاغة القرآن الكريم في كلية اللغة العربية بالمنوفية موضوعها (براعة الاستهلال بالحمد في السور الخمس: دراسة تحليلية) يقوم لها الباحث " شحاته عبد الرزاق " المدرس المساعد بقسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالمنوفية.." [٢]

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٣٢١/٣

(٢) العزف على أنوار الذكر محمود توفيق محمد سعد ص/٧٤

المفهوم.

مما سمى البقاعي به تفسيره:" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وهي تسمية يقصد إليها قصدا من أن من أصوله التى يتخذها علاقة الاسم بالمسمى، وعده التسمية من **براعة الاستهلال** الموحى بما هو مكنون في المسمى، وسوف ننظر في أصله هذا في موضعه اللائق به إن شاء الله تعالى

وأنت تراه قد جعل عمله " نظم درر" في موضوع " تناسب الآيات والسور" ولعله ناظر إلى ما بين النظم والتناسب من علاقات اتفاق وافتراق، فكل تناسب نظم، وليس كل نظم تناسبا

في التناسب ـ كما سيأتى إن شاء الله تعالى ـ ما ليس في النظم:

" التناسب " من أصول ثلاثة:" ن / س / ب" تدور على معنى: " اتصال شيء بشيء" كما يقول " ابن فارس" في مقاييس اللغة"

وهذا الاتصال إنما يكون اتصالا جوهريا، فهو قائم على علائق جوانية تجري في كنه المتناسب، وتضبط برانيه وهذا ما أنت تراه في عالم الإنسان: علاقة النسب فيهم علاقة جوهرية تجري في أوصالهم، وتشكل سماتهم المعنوية والحسية،وهى علاقات أبدية

وعالم البيان من عالم الإنسان، الكلمة فيه كالفرد من عالم الإنسان، وهذان العالمان: البيانى والإنساني يسيران على نهج سواء في كثير من أحوالهما

وهذا المصطلح: " التناسب " ذو دلالة على مدلوله غير دلالة " النظم " على مدلوله الذي اتخذه "عبد القاهرالجرجاني " لنظريته

دلالة مصطلح النظم على مدلوله يفتقر بيانها إلى احتراز من أن يدخل فيه ما ليس مقصودا إليه، ومن ثم تجد الإمام " عبد القاهر" يقول:

"ومما يجب إحكامه ... الفرق بين قولنا: حروف منظومة وكلم منظومة

وذلك أن " نظم الحروف " هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان: " ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى الفساد.." (١)

---

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن محمود توفيق محمد سعد ص/١٤٠

"ينزعون من الرغبة عن القول بالتكرار اللفظي والدلالي للكلمات في سياقات مختلفة، وأن الكلمة وما فوقها لاتأتي إلا مرة واحدة وليس لها إلا موضع واحد، فإذا أقيمت في مقام آخر فما هي بالتي كانت من قبل، وهذا يعنى أن الوجود الدلالي للكلمة يتجدد بتجدد مواقع الكلمة وما فوقها، وأن القول بالتكرار البياني في الخطاب العالي فضلا عن الخطاب العلي المعجز إنما هو قول مفتقر إلى التحرير العلمي، ومن ثم لايعرف عالم البيان التناسخ بين مكوناته ومكنوناته، فهو عالم قائم من متجددات، وكأن لعالم البيان من عالم الجنة مثلا: تتشابه ثماره ولا تتوحد بل تتجدد وتتعدد: ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ (البقرة: من الآية٢٥)

وعلى هذا يكون جديرا بمن يقوم للإبحار في قماميس التأويل البياني للقرآن الكريم أن يكون على ذكر من أن البيان القرآني خلاء من التكرار التأكيدي الذي لايضفي جديدا حميدا على ما سبق تأسيسه.

وأن يكون على ذكرمن أن البيان القرآني ذو خصيصتين عظيمتين

الأولى: خصيصة تناسل المعنى القرآني وتصاعده

والأخرى: خصيصة التصريف البياني.

هاتان الخصيصتان أراهما من أشمل خصائص الإعجاز البياني للقرآن الكريم من بعد خصيصة إقامة الشعور بجلال القائل في قلب المتلقى المعافي من داء الغفلة.

.

المعلم الرابع.

براعة الاستهلال وعلاقته بمقصودالسورة

لكل سورة من سور القرآن الكريم ولاسيما الطول والمئين مفتتح من الآي يكون استهلالا بديعا مشيرا إلى جوهر المعنى الكلي الذي يقوم في السورة." (١)

"عظم وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة (١٢٩)

الفارض لتكفير ابن الفارض (١٢٩)

قدح الزند في سقط الزند لأبي العلاء المعري (١٢٩)

---

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن محمود توفيق محمد سعد ص/٢٢٤

قدح الفكر وتنوير البصر بأجوبة الشهاب ابن حجر (١٢٩)
القول الفارق بين الصادق والمنافق (١٣٠)
القول المعروف في الرد على منكري المعروف (١٣٠)
القول المفيد في أصول التجويد (١٣٠)
كفاية القارئ وغنية المقرئ في رواية أبي عمرو (١٣٠)
مختصر السيرة النبوية وثلاثة من الخلفاء الراشدين (١٣١)
المقصد العالي في ترجمة الإمام الغزالي (١٣١)
الملتقط من معجم الطبراني الوسط (١٣١)
منتقى الغريب العاني من الترغيب للأصفهاني (١٣٢)
النكت الوفية بما في شرح الألفية للعراقي (١٣٢)
وشي الحرير في اختصار ابن جرير (١٣٢)
١١٩

مؤلفات لغيره نسبت إليه خطأ (١٣٣)
١٣٣

الباب الثاني: منهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم (١٣٥)
المدخل إلى المنهج: (١٣٧) التناسب القرآني عند البقاعي
١٣٥

الفصل ال أول: منهاج تأويل بلاغة النص القرآني (تناسب السور)
١٤٩

تبيان الغاية العظمى والمغزى الرئيس للقرآن الكريم
١٥١

بيان تصاعد مقاصد السور ومعانيها

١٥٧

علاقة فاتحة كل سورة بما قبلها

١٦٥

رد المقطع على المطلع

١٧٨

الفصل الثاني: منهاج تأويل بلاغة القرآن الكريم في بناء السورة

١٨٣

تحقيق مقصود كل سورة وتصاعد معانيها

١٨٥

علاقة اسم السورة بمقصوده

١٩٩

تأويل البسملة على وفق مقصود السورة

٢٠٥

براعة الاستهلال وعلاقته بمقصود السورة

٢١١

رد مقطع السورة على مطلعها

٢١٧

علائق الآيات في بناء المعقد

٢٢٣

تأويل النظم في القصص القرآني

٢٣٢

بيان النظم الترتيبي للجمل في بناء الاية القرآنية

٢٤١

تدبر النظم التركيبي لبناء الجملة

٢٤٨

تأويل التصريف البياني للمعاني

٢٧٢

التوجيه البياني للقراءات القرآنية

٢٧٨

تبيان مدلول ودلالة الكلمة القرآنية

٢٨٧

الفاصلة

٣٢٧." (١)

"وتسمى بالرسائل الأهلية، ومنها ينطلق الكاتب بحرية تامة معبرا عما في نفسه، فيبسط الكلام دون قيود أو تكلف، ومن أنواعها: رسائل الشوق، والتعرف قبل اللقاء، الهدايا، والاستعطاف.

---

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن محمود توفيق محمد سعد ص/٣٨١

٢- الرسائل الأدبية١: أما النوع الثاني فهو الرسائل الأدبية، وهو الذي عمدنا إلى إيراد نموذج له، وهذ النوع من الرسائل يكون عادة متبادلا بين الأدباء، ولا يخلو من بحث قضية أدبية أو الإشارة إلى مسألة نقدية أو علمية، وقد يكون هذا النوع مقصورا على تبادل المشاعر الودية.

٣- الرسائل الرسمية٢: أما الرسائل الرسمية فهي أنواع مختلفة، منها ما يسمى بالرسالة الإدارية، ومنها رسائل المناسبات، وكان لها في القديم رسوم وقواعد أتى على ذكرها القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى"٣ ومنها: **براعة الاستهلال** أي: الإيحاء في بداية الرسالة بموضوعها، فإذا كانت في التهنئة أتى في المقدمة بما يدل على أنها في هذا الموضوع.

ومنها مراعاة مواقع آيات القرآن الكريم، وأبيات الشعر وغيرها من الاستشهادات، وقد أرشد إلى ضرورة وجود مقدمة تخدم الموضوع، إذا كانت الرسالة في المقاصد الجليلة أي: ذات الخطر، أما الموضوعات العادية فلا ضرورة للمقدمات فيها، وقد عني الأدباء والموظفون من أسلافنا بالإشارة إلى ما يجوز فيه٤ الكتابة وما لا يجوز.

كيف تكتب الرسالة؟

فيما يتعلق بالرسائل الخاصة فإنه ليس ثمة قواعد وأصول يجب اتباعها

---

١ وكان من أغراضها التفكه والترويح عن النفس، أو الوداد والمحبة بشكل عام كما في رسالة يحيى بن زياد، وفي الرد على ابن المقفع.

٢ وكانت تسمى الرسائل الديوانية.

٣ الجزء السادس ص ٢٧٦.

٤ ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢-٤/٢١١٤/٢١٣.." (١)

"علماء السلف عند المسلمين، فإنه قد طرح أغراضا أخرى سائدة، لم يعرف عنه التطرق إليها، مثل: الغزل والهجاء، والمديح والرثاء، وإن كانت له قصائد أثنى فيها على الملك عبد العزيز، والملك سعود يرحمهما الله.

ولكنه بمديحه هذا، ينطلق من حماسته الدينية، حيث يرى لهما فضلا- بعد الله- في تجديد الدعوة، والحرص على نشر العلم، وتطبيق الشريعة.

---

(١) فن التحرير العربي محمد صالح الشنطي ص/١٧٥

وإذا كان الشعراء المجيدون، يهتمون بمطلع القصيدة، **وبراعة الاستهلال**، ويراعون حسن الاختتام، وفنية الانتقال من غرض لآخر، فإن الشيخ حافظا، قد وسم قصائده ومنظوماته بمطلع شبه ثابت، وهو حمد الله، والثناء عليه سبحانه، مهما كانت المناسبة إذ أن نفسه الشعري الطويل، وقدرته على النظم الفائقة، وتداعي المعاني عنده، كل هذا أعطاه قدرة في حسن التعريج على أغراضه واحدا بعد الآخر، بأسلوب سلس، وعبارة سهلة.

ومع هذا لا ينسى الالتزام بما أصبح سمة في شعره، حيث يظهر أمام المتابع لأشعاره أنه يختم كل قصيدة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن نماذج ذلك:

١ - قال. في عام ١٣٦٨ هـ قصيدة في حفل عيد الأضحى، الذي أقامه الأمير مساعد السديري، تبلغ واحدا وأربعين بيتا، مطلعها:." (١)

"ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا [الكهف: ٢١ - ٢٢].

ثم تأتي المناسبة للتوجيهات في ثنايا القصة وأعقابها على طريقة القرآن في قصصه: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا (٢٣) إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا (٢٤) ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا (٢٥) قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا (٢٦) واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا [الكهف: ٢٣ - ٢٧] «١».

ب- التنويع في الاستهلال بالقصة ووضع المدخل إليها:

من أبرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية تنوع طريقة العرض في ابتداء القصة، وذلك أن عنصر التشويق أمر أساسي في القصة، فينبغي أن يتجلى بأبهى مظاهره في مطلعها، حتى ينشد القارئ إلى متابعة حلقاتها، ويفتح آفاق ذهنه وجوانب نفسه إلى استطلاع أغراضها ومقاصدها. وأهم مظاهر **براعة الاستهلال** في القصة القرآنية هي:

١ - البداءة بأغرب مشهد يلفت النظر فيها؛ حتى لو كان هذا المشهد متأخرا في سلسلة الحوادث؛ لأن المشهد الغريب من شأنه أن يثير الانتباه أكثر من غيره، حتى إذا تفتح الذهن وأقبل على القصة، عمد البيان إلى استدراك ما فات من المشاهد، وتحين المناسبة لعرضه بشكل متناسق ومتساو مع جمال العرض وأداء

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٤٨/١٧٨

الغرض.

وخذ مثالا على ذلك قصة موسى عليه السلام في سورة (طه) حيث افتتحت

---

(١) انظر في تحليل بقية الأمثلة (التصوير الفني في القرآن) (ص ٤٧ و ١٥٦) وما بعدهما.." [١]

"لله، والثناء عليه شكرا له على ذلك التأليف الذي هدى إليه.

وثانيها، إظهار الخضوع له، وبيان أنه لا عون إلا منه سبحانه.

وثالثها، الالتجاء إليه بالدعاء لاستمداد ذلك العون.

ويجب أن تشتمل، مع هذا، على ما يسمى **براعة الاستهلال**، وهي أن يؤتى قبل الشروع في المقصود بما يشعر به، ليدرك القارئ الغرض من وضع الكتاب، ويكون على بصيرة به قبل الشروع فيه.

وقد اشتملت هذه السورة على هذه الأركان الثلاثة. فجاء في أولها بسم الله الرحمن الرحيم (١) الحمد لله رب العالمين (٢) الرحمن الرحيم (٣) مالك يوم الدين (٤) ، فافتتحت باسم الله والثناء عليه بهذه الصفات التي تفرد بها دون غيره. وقد كان العرب، في جاهليتهم يفتتحون كلامهم بقولهم: «باسمك اللهم» ، فاستبدل به القرآن بسم الله الرحمن الرحيم (١) ، إشارة إلى أن عهد الإسلام عهد رحمة، وهو العهد الذي يجب أن يشمل العالم كله، ويكون خاتمة العهود كلها. وهذا هو ركنها الأول.

ثم جاء فيها بعد ذلك ركنها الثاني بقوله تعالى:

إياك نعبد وإياك نستعين (٥) وفي ذلك إقرار بأنه لا معبود غيره، ولا عون إلا منه.

ثم جاء ركنها الثالث بقوله تعالى:

اهدنا الصراط المستقيم (٦) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧) .

وفي ذلك **براعة الاستهلال** المطلوبة، لأنه يشير إلى أن المقصود بالقرآن وضع دين جديد للخلق، يشتمل على أحكام لا عوج فيها ولا انحراف، ويصلح ما أفسده الناس في شرائع الله من قبل.

ولا شك أن هذه الفاتحة، بهذا الشكل، لم يسبق إليها كتاب قبل القرآن. وقد صارت بعده قدوة تتبع، وسنة تحتذى، وكفى ذلك دليلا على فضلها وحسن ترتيبها.." [٢]

---

(١) الواضح في علوم القرآن مصطفى ديب البغا ص/١٩٣

(٢) الموسوعة القرآنية خصائص السور جعفر شرف الدين ١/١٤

"المبحث الثالث أسرار ترتيب سورة «الفاتحة» «١»

افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة، لأنها جمعت مقاصد القرآن، ولذلك كان من أسمائها: أم القرآن، وأم الكتاب، والأساس «٢» . فصارت كالعنوان **ببراعة الاستهلال.**

قال الحسن البصري: إن الله أودع علوم الكتاب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتاب المنزلة. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان «٣» .

وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري، باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله، وعلى التعبد، والأمر والنهي، وعلى الوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور «٤» .

قال الإمام فخر الدين: المقصود من القرآن كله، تقرير أمور أربعة:

الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر.

فقوله تعالى: الحمد لله رب العالمين (٢) يدل على الإلهيات، وقوله: مالك يوم الدين (٤)

---

(١) . انتقي هذا المبحث من كتاب «أسرار ترتيب القرآن» للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ: ١٩٧٨ م.

(٢) . الكشاف ١: ٤ بولاق. ومن أسمائها: السبع المثاني، والقرآن العظيم، والوافية والكنز (الإتقان: ١: ١٨٩- ١٩١) .

(٣) . الشعب، ٧٢ ورقة ٨٧ أ. دار الكتاب المصرية.

(٤) . أنظر: الكشاف: ١: ٤ وفيه (التعبد بالأمر والنهي) .." [١]

"وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان:

مخلوقة لله، ومقدورة لهم، كالنسب والصهر، ولهذا افتتحت بقوله تعالى:

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها. وقال:

واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام [النساء ١] فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة، والافتتاح، **وبراعة الاستهلال**، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما في أكثر السورة من أحكام: من نكاح النساء ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام، وأنه ابتدأ هذا الأمر بخلق آدم، ثم خلق زوجته منه، ثم بث منهما رجالا كثيرا

ونساء في غاية الكثرة.

أما المائدة، فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع، ومكملات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة، ونهاية الدين، فهي سورة التكميل، لأن فيها تحريم الصيد على المحرم، الذي هو من تمام الإحرام.

وتحريم الخمر، الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين، الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات، الذي هو من تمام عبادة الله.

ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد (ص) والتيمم، والحكم بالقرآن على كل ذي دين. ولهذا كثر فيها لفظ الإكمال والإتمام «١» . وذكر فيها: أن من ارتد عوض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملا، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل «٢» لما فيها من إرشادات الختم والتمام. وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب. انتهى.

وقال بعضهم: افتتحت البقرة بقوله تعالى: الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه فإنه إشارة إلى الصراط المستقيم بقوله في الفاتحة: اهدنا الصراط المستقيم (٦) ، فإنهم لما سألوا الله الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم:

ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه، كما أخرج ابن جرير وغيره من حديث

---

(١) . وذلك في قوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي [المائدة: ٣] وأمثالها.

(٢) . أخرجه الحاكم في المستدرك عن عائشة: ٢: ٣١١ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه والإمام أحمد في المسند عن معاوية بن صالح عن عائشة: ٦: ١٨٨.." [١]

"عن حفص.

وإلى هذه الأحكام يشير العلامة المحقق الشيخ إبراهيم على شحاتة السمنودي في رسالته المخطوطة: "بهجة اللحاظ بما لحفص من روضة الحفاظ" فيقول بعد **براعة الاستهلال:**

وبعد فهذا ما رواه معدل ... بروضته الفيحاء من طيب النشر

بإسناده عن حفص الحبر من تلا ... على عاصم وهو المكنى أبا بكر

ففي البدء بالأجزاء ليس مخيرا ... لبسملة بل للتبرك مستقرى

---

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور جعفر شرف الدين ٧٢/١

ومتصلا وسط وما انفصل اقصرن ... ولا سكت قبل الهمز من طرق القصر

وما مد للتعظيم منها ولم يجئ ... بها وجه تكبير ولا غنة تسري

وفي موضعي آلان آلذكرين مع ... ءالله أبدلها مع المد ذي الوفر

وأشمم بتأمنا ويلهث فأدغمن ... مع اركب ونخلقكم أتم ولا تزر

وبل ران من راق ومرقدنا كذا ... له عوجا لا سكت في الأربع الغر

وبالقصر قل في عين شورى ومريم ... وفخم بفرق وهو في آية البحر

وآتان نمل فاحذف الياء واقفا ... كذا الألف واحذ من سلاسل بالدهر

وبالسين را بالصاد قل أم هم المصيد ... طرون وبالوجهين في فرده النكر

وفي يبصط الأولى وفي الخلق بصطة ... ويا سين نون ضعف روم كذا أجر

ولكن مع الإظهار صاد مصيطر ... وفي بصطة سين كذا يبصط البكر

وفتح لدى ضعف عن الفيل وارد ... وبالعكس عن زرعان والكل عن عمرو." [1]

"وقيل: هو نفي للقسم. والمعنى: لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه".

ومن معاني (الحل) : أنها تأتي بمعنى اسم المفعول، أي: مستحل، فعلى هذا يكون المعنى: وأنت مستحل قتلك لا تراعى حرمتك في هذا البلد الحرام الذي يأمن فيه الناس على دمائهم وأموالهم والذي يأمن فيه الطير والوحش.

جاء في (الكشاف) : "ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك، يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم. عن شرحبيل: يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك.

وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته.

أو سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد".

وجاء في (روح المعاني) : "وفيه تحقيق مضمونه بذكر بعض المكابدة على نهج **براعة الاستهلال**، وإدماج لسوء صنيع المشركين، ليصرح بذمهم على أن الحل بمعنى المستحل بزنة المفعول الذي لا يحترم، فكأنه

---

(١) غاية المريد في علم التجويد عطية قابل نصر ص/١٠١

قيل: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمته يستحل بهذا البلد ولا يحترم كما يستحل الصيد في غير الحرم ... وفي تأكيد كون الإنسان في كبد، بالقسم." (١)

"١٢- ففي نهاية سورة التوبة وهي سورة مدنية ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ .

وبعدها سورة يونس وهي سورة مكية بدئت بقوله تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم، أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين﴾ . فالحديث عن الرسول في الموضوعين.

النوع الثاني: مناسبة مضمون كل سورة لما قبلها

ومن وجوه المناسبات بين السور: أن ينظر إلى مضمون كل سورة ومضمون ما قبلها وما بعدها:

وقد ذهب الإمام السيوطي إلى أن كل سورة ورد فيها إجمال في شيء ما فإن السورة اللاحقة لها تأتي بتفصيل هذا الإجمال فمن ذلك:

- أن سورة الفاتحة قد جمعت مقاصد القرآن الكريم "فهي كالعنوان للقرآن الكريم **وبراعة الاستهلال** له".

أخرج البيهقي في "شعب الإيمان" عن الحسن البصري قوله: "إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ثم أودع علوم القرآن في المفصل ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة"١.

ففي سورة الفاتحة:

١- دعاء الذين خصوا الله بالعبادة والاستقامة في قولهم ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ وصراطه هو كتابه المبين كما قاله ابن مسعود وغيره. فقال الله سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ فاتبعوه فإنه الصراط المستقيم.

---

١ انظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي: ٧٤.." (٢)

---

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - كتاب فاضل صالح السامرائي ص/٢٤٥

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم ص/٨٤

"الفصل السابع عشر فواتح السور

حسن افتتاح الكلام من غاية البلاغة وأسباب القبول، لأنه أول ما يلامس أذن السامع، فإن كان بليغا جميلا استدعى انتباه السامع وإقباله، وإلا لم يكن له ذلك الوقع والتأثير.

وقد شهد أئمة البيان والبلاغة للقرآن الكريم أنه أتت فيه فواتح السور على أحسن الوجوه وأكملها، حتى أخذت منه فنون حسن الافتتاح **وبراعة الاستهلال**، كما أخذت من أساليبه سائر فنون البلاغة.

ويجد الناظر في فواتح السور تفننا عظيما في أنواع الافتتاحيات، أثارت انتباه البلغاء وعقدوا لها دراسات، ومؤلفات، لحسنها، وكثرة فنونها، ففيها الافتتاح بالتحميد، والتسبيح لله تعالى، والقسم، والنداء، والأمر، والجمل الخبرية، وحروف التهجي، وجمل الشرط، والاستفهام، والدعاء، والتعليل (١).

الافتاح بحروف التهجي:

وكان أعجب فواتح السور حالا، وإثارة للبحث، هي حروف التهجي، التي افتتحت بها سور كثيرة من القرآن، وعرفت باسم «الحروف المقطعة في فواتح السور»، مثل: «الم»، «المص»، «ألر»، «حم»، «ق»، «ن».

---

(١) انظر تفصيلها وبيان السور التي افتتحت بكل نوع منها في الإتقان، النوع الستين.." [١]

---

(١) علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر نور الدين عتر ص/١٥٥